نجيب أبو عز الدين

عشرون عاماً في خدمة اليمن

دار الباحث



عشرون عامًا
في
خدمة اليمن

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع
بناية اميل الاشقر - طلعة جنبلاط - كليمنصو
تلفون: ٢٦٨٥٢٥ - ٢٦٨٥٢٨ - برقياً: دالباحث
ص.ب ٥٦٦٠/١١٣ - بيروت - لبنان

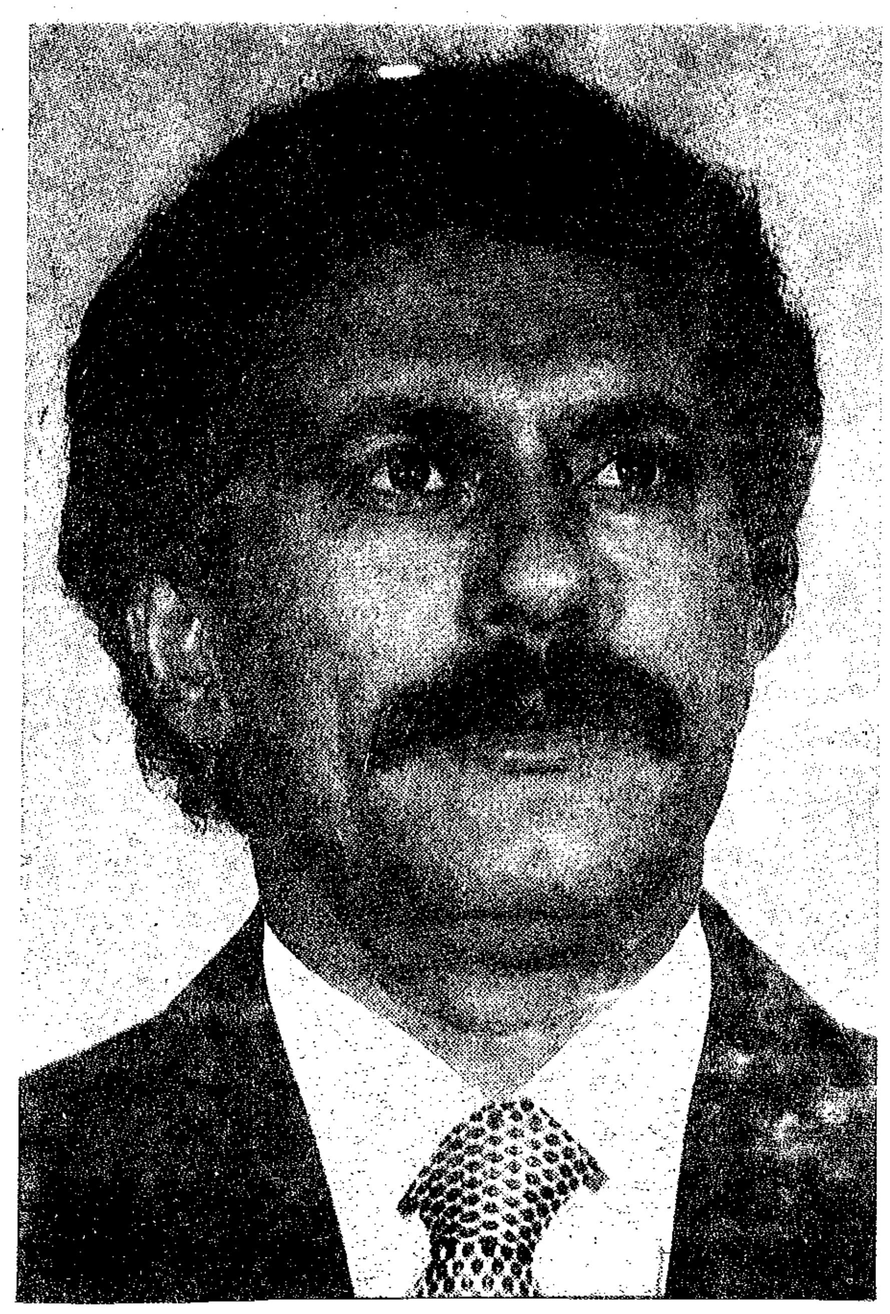
عشرون عاماً في خدمة اليمن

نجيب أبو عز الدين

دار الباحث



كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books



الفريق علي عبد الله صالح ـ رئيس مجلس الرئاسة، الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام ـ الجمهورية اليمنية

الفريق علي عبدالله صالح

رئيس الجمهورية اليمنية

لم يسعدني الحظ بلقاء هذا الرئيس العصامي خلال فترة عملي في صنعاء وتعز منذ ما ينوف على الثلاثين عاماً، وكان ولا شك آنئذ في مطلع شبابه وما سأذكره عنه الآن مستقى من أصدقاء أعزاء، لا أشك في صدق وإصابة تقويمهم للأشخاص والأمور.

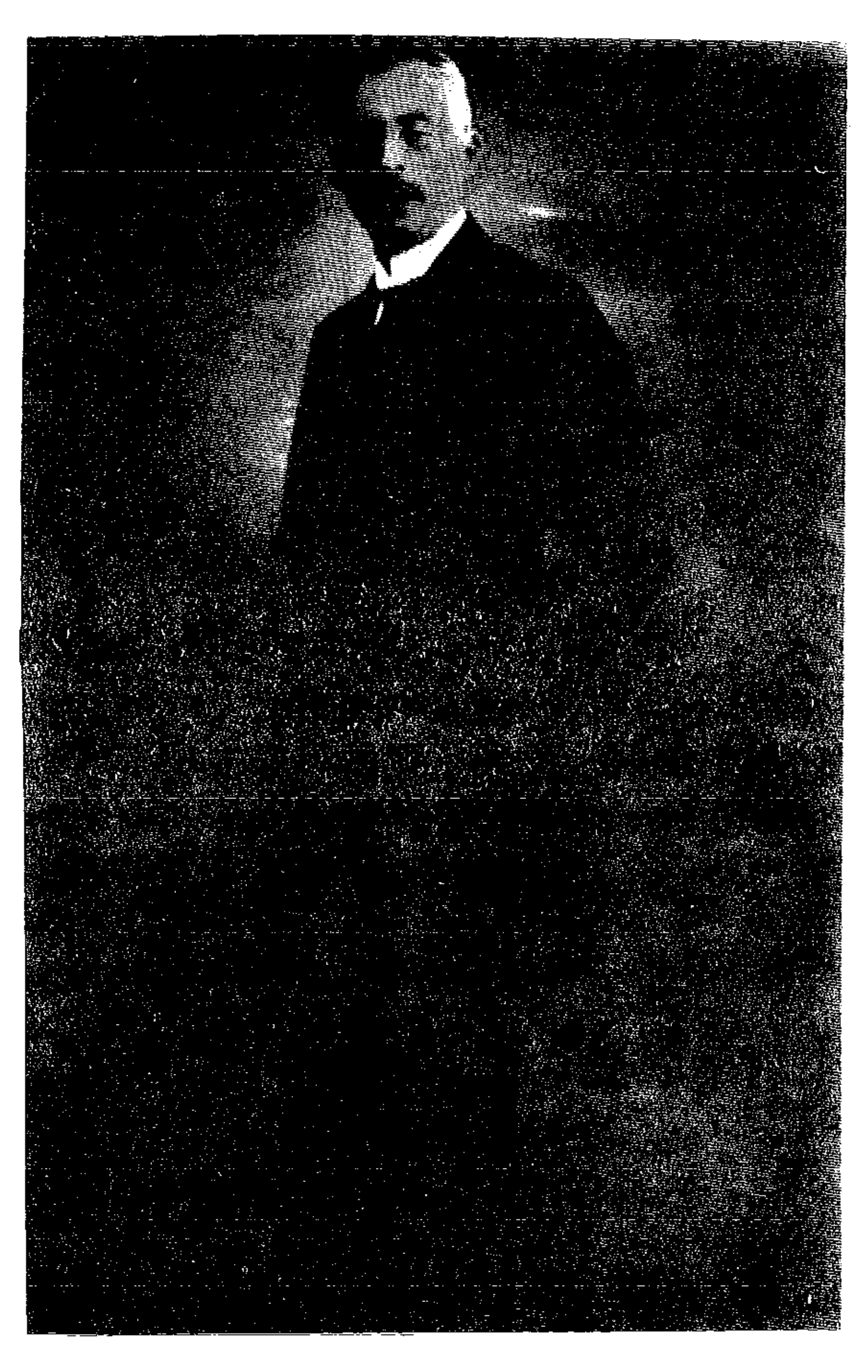
تميز هذا الرئيس المقدام بابتعاده عن كل ما يعود إلى المذهبية والعصبية التي كان يئن من جرائها أكثرية اليمنيين في الماضي - عرف بتواضعه ودماثة خلقه وابتعاده عن الأحقاد والانفعالات والتسرع، وهذا ما أكسبه محبة وثقة مواطنيه.

اعتدنا في بعض مناطقنا العربية وللأسف، أن يفتتح بعض الرؤساء والحكام عهدهم بشن الحملات على من سبقهم في الحكم من رؤساء ووزراء، حتى على أولئك الذين يكونون قد لاقوا وجه ربهم، والذين لربما سبق وساندوهم في اعتلاء سدّة الرئاسة. لقد قرأت في الصحف وسمعت من بعض الرؤساء والنافذين عن الترحيب والاحترام اللذين يلقاهما الرؤساء الأسبقون، من الفريق الرئيس الذي لا يتوانى عن تبادل الآراء معهم في شتى الظروف، ويقدر ما يبدونه من نصائح واقتراحات مفيدة. كما وأنه حرص على تأمين الحياة الكريمة للرؤساء السابقين ولمشايخ القبائل.

كان الفريق الرئيس ضابطاً سابقاً، في الجيش، وقد أكسبته الجندية مزية الحزم والانضباط والترفع عن مزالق السياسة ومطباتها، إضافة إلى ما يتحلّى به من ذكاء ونشاط وتواضع. بذل جهداً مشكوراً لدعم النهضة اليمنية الاقتصادية، وتأمين المجال لرؤوس الأموال اليمنية خاصة، والأموال العربية عامة، ولاستثمار الموارد المعدنية والنفطية؛ وأبدى اهتماماً خاصاً بالتنمية الزراعية وزراعة الحمضيات والحبوب والخضار والفاكهة. شجع انتشار وتعميم التعليم العالي والجامعي والمهني، ومن أهم تلك الجهود، فتح المجال أمام الفتاة اليمنية لالتحاقها بالجامعة لإتمام علومها في شتى الفروع.

توفق الرئيس في جمع الفئات الحزبية اليمنية المختلفة تحت راية واحدة، وفي بوتقة المؤتمر الشعبي اليمني العام، ولقد ساعد ذلك على ذوبان معظم الخلافات العقائدية تحت شعار «الولاء أولاً وآخراً».

أهم ما استرعى انتباهي، وأنا الذي عملت في وزارة الخارجية اليمنية فيما مضى، عندما كانت هذه الوزارة تتألف من راغب بك ومنّي، مدى اهتمام الحكم الجديد في اليمن، وعلى رأسه الفريق علي عبد الله صالح، بتقوية وإعادة تنظيم السلك الدبلوماسي اليمني، واختيار الأكفاء للقيام بتمثيله في الخارج من سفراء ومستشارين وقناصل يبرزون وجه الجمهورية اليمنية على حقيقتها المشرفة أمام العالم، ويشاركون في درس المشاكل العربية والدولية بفعالية، فأصبحوا مسموعين لا مستمعين، كما كانت الحالة سابقاً. وهكذا أصبح للجالية اليمنية في الخارج من يهتم برعاية مصالحها والمحافظة على كرامتها.



عطوفة الأمير شكيب أرسلان أمير البيان والجهاد في سبيل العروبة والإسلام

الاهداء

إلى ذكرى أمير البيان والجهاد في سبيل العروبة والاسلام

عطوفة الأمير شكيب أرسلان

اعترافاً بفضل رعايته الكريمة لي في مستهل حياتي العملية







نجيب أبو عز الدين باللباس الرسمي اليمني

تقديم

أيها القارىء الكريم

لقد بدأت بتدوين هذه المذكرات في أواخر عام ١٩٣٦ في العاصمة اليمنية صنعاء وعلى ضوء السراج الكازي نمرو (٤) الذي أمر لي به جلالة الامام يحيى وفي زمن كان يطلق على اليمن اسم «مقبرة الأتراك» وها انني الآن أختمها في العاصمة اللبنانية بيروت، عاصمة الاشعاع والحضارة والثقافة وفي شهر سبتمبر عام ١٩٨٩ أي بعد ٥٣ عاماً على ضوء سراج نمرو (٤) نظراً لما ألفناه من انقطاع التيار الكهربائي فسبحان من لا يحمد على سوء سواه.

لربما يستغرب القراء لجوئي الى استعمال مفردات وعبارات وأسماء وألقاب لم يعودوا يألفونها في عصرنا الحاضر من أمثال جلالة مولانا أمير المؤمنين ـ المقام الشريف ـ المخيم المنصور ـ المملوك لجلالتكم فلان ـ الجيش المظفر الخ. لقد حرصت على ادراجها كي يكون هؤلاء القراء مطلعين على الأجواء السائدة آنئذٍ وعلى علاقات الأئمة برعاياهم.

رجائي أن يقدر الشباب العربي المثقف الذي يعمل الآلاف منهم حالياً في بعض الدول العربية وعلى الأخص في مناطق النفط على ما عاناه من سبقوهم الى تلك المناطق في الماضي وما قاسوه من مصاعب وأمراض ـ أولئك الروّاد الذين اقتصرت وسائل تنقلاتهم على الخيل اذا كانوا من المحظوظين أو على الجمال والبغال والحمير وسكنهم في منازل خالية من كافة أسباب الرفاهية والراحة ـ أما شباب اليوم فلديهم السيارات والمنازل المبرّدة وساعات العمل المحددة والاجازات القانونية وشتى الضمانات الصحية والتقاعدية وغيرها ـ فليحمدوا الله على ما هم فيه من نعم.

« وبالشكر تدوم النعم ».



كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رغم أنه قد مضى على تركي خدمة الحكومة اليمنية والإدارة العدنية ما ينوف عن الثلاثين عاماً، فإنني حاولت قدر المستطاع تتبع أنباء وأحداث تلك المنطقة الغالية على قلبي، والتي أمضيت في ربوعها وخدمتها ربيع عمري. أذكر تلك الأعوام الملأى بالمشاكل والصعوبات العملية والصحية، التي استدعت إجراء أربع عمليات جراحية لي، إضافة إلى الحميات على أشكالها وألوانها، إذ إن الإنسان قد يجد لذة في الذكريات المؤلمة بعد اجتيازه لها.

ترددت كثيراً قبل الإقدام على وضع هذه المذكرات، وإنما نظراً لإلحاح ولديّ وبعض أصدقائي الذين كنت أتحدث إليهم مطولاً عن اليمن، اقتنعت بضرورة البدء بكتابتها ونشرها. أما سبب تردّدي فعائد إلى يقيني بأن اليمن الذي كان سعيداً قبل ألف سنة وأكثر، لم يكن كذلك بين سنوات ١٩٣٦ و١٩٥٦، عندما كنت في خدمته الفعلية، أو في النواحي الجنوبية المحتلة، أو موظفاً في سكرتيرية الأمم المتحدة (مجلس الأمن) ضمن «الكوتا» المخصصة له.

لقد طالعت منذ مدة في إحدى الصحف كتاباً من شاب يمني مهاجر، موجهاً إلى أحد كبار الزعماء اليمنيين الأحرار، يطالبه فيه بإلحاح نشر كافة التفاصيل المتعلقة بحركات التحرر اليمنية، لأن الجيل الصاعد من اليمنيين يريد ويجب أن يطلع على هذه الحقائق، وعن أسباب قيام الانقلابات في بلاده، نتيجة لمظالم الحكم الفردي، تأثرت لهذا الطلب من ذلك الشاب اليمني الناهض الذي نشأ وترعرع خارج أرض الوطن، ثم عاد إلى بلاده فور قيام الحكم الجمهوري فراعه ما

شاهده من معالم التأخر، وهو الذي عاش وتلقى علومه في بلد عربي مجاور، حيث العمـران قائم على قـدم وساق، وحيث العمـل والرفـاهية والعـدالـة مؤمنـة لجميـع السكان حتى للغرباء منهم. رجائي أن يجدهذا الشاب المقدام وأترابه من أبنـاء هذا الجيل الصاعد بعض الأجوبة على اسئلتهم العـديدة، ويـدركوا بعض أسبـاب تأخـر بلادهم في الماضي، وأهم من هـذا كله أن يقدروا أعبـاء التركـة المثقلة التي ورثها حكـام اليمن الجدد، وجُلُّهم من شبـاب اليمن الناهض والمتـطلع إلى العلياء، ومـا عليهم بذله من جهود متواصلة ومضنية لعدة سنوات قادمـة، لمساعـدة حكامهم على إخراج وطنهم ومواطنيهم من أجواء القرون الوسطى، التي فُرضت عليهم لعدة قرون خلت، وإدخـالهم إلى عتبة القـرن العشرين قبـل حلول القرن الحـادي والعشرين. يسـرني أن أطالـع في الصحف أن الشعب اليمني المجيد بقيـادة حكامـه الراشـدين الحـاليين قد بـدأ مسيرتـه الطويلة الشـاقة نحـو تحقيق أهدافـه الـراميـة إلى التقـدم والعمران.

يتّضح مما تقدم أن القصد من تسجيل هذه المعلومـات والوقـائع، ليس سـرد تاريخ اليمن والممالك التي تـوالت على حكمه قبـل الأئمة، الـذين استمر حكمهم نحو عشرة قرون، بل لذكر بعض ما عرفته وخبرتـه عن آخر ثـلاث أئمة عـاصرتهم، وهم الأئمة: يحيى وأحمد ومحمد البدر.

لن أتناول ما سبق لغيري أن كتب عنه مطولاً، كمناخ اليمن الجميـل، وأقسام البلاد الجغرافية والإدارية، أو عدد السكان، ولا عن سـد مأرب الشهيـر الذي يعتبـر مفخرة هندسية رائعة، وإن كنت سـأصف الخطوات الآيلة إلى إعـادة تعميره بفضـل أريحية سمو رئيس دولة الإمارات المتحدة الشيخ زايـد بن سلطان آل نهيان. أو عن الطرقات المستحدثة بمساعدة دول أجنبية، وطول كل منها، ولا عن صهاريج عـدن التاريخية، ولا عن البن اليمني الشهير الذي كثيراً ما ينسب خـطأ إلى ميناء تصـديره عدن، ولا عن مدن شبـوة والعبـر وعياد ومـا جاورهـا من مدن تـاريخية، أرجـو أن يتمكن علماء الآثار العرب من دراستها بعد التنقيب عما ردم منها على مرِّ السنين.

الذي يهمني فعلاً، هـو وضع ملخص تـاريخي للمطامـع الأجنبية في اليمن، وعلى الأخص في موانئه الجنوبية التي بدأت حوالى القرن الخامس عشـر ميلادي،

والتنافس بين الدول الأوروبية البحرية ذات الأساطيل الجبارة آنئذ، كالبرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا، والرحلات الاستكشافية العلمية ظاهراً والهادفة عملياً إلى احتلال واستثمار تلك المنطقة البكر الاستراتيجية والحساسة الواقعة على طريق الملاحة بين أوروبا والهند والشرق الأقصى وشرقي أفريقيا وغيرها، والتي كانت شركة الهند الشرقية البريطانية وشركة الهند الشرقية الهولندية في طليعتها، إضافة إلى بعثات دانماركية ونمساوية وبافارية وحملات عسكرية عثمانية ومصرية.

سأسرد بإسهاب وقائع الاحتلال البريطاني لإمارات اليمن الجنوبية، الذي اغتنم فرصة الصراع القائم بين الأئمة والعثمانيين والمصريين آنئذٍ للوثوب على ميناء عدن واحتلالها مع ما جاورها من مناطق حساسة متممة لها، ثم فرض معاهدات حماية على كل منها والشراء القسري لمناطق متصلة بها ثم إلحاق حكم هذه المناطق بالسلطات البريطانية في الهند، ثم حملها على عقد معاهدات الحماية والإستشارة، وإقامة اتحاد فدرالي بين المناطق المحميّة ومستعمرة عدن، ثم عن النزاعات اليمنية البريطانية الطويلة حول الجنوب المحتل، وما تبعها من مفاوضات صورية ممكنة السيطرة البريطانية التامة على الرؤساء المعاهدين. كما وإنني سأصف نظرة الحكم الإمامي إلى النواحي المحتلة، وما ألحقه بها من مظالم وأضرار. سأوجز كذلك وقائع انتفاضة الجبهة الشعبية في اليمن الجنوبي، وانتزاعها الحكم بالقوة من البريطانيين وإجبارهم على إخلاء البلاد، كما سأذكر باختصار تفاصيل وأسباب الانقلابات التي وقعت في اليمن شماله وجنوبه، وعن قيام الدولة الاتحادية (الجمهورية اليمنية الديمقراطية) في المناطق الجنوبية المحتله، والزيارات المتتالية التي قام بها رؤساء تلك المناطق إلى لندن بمعيّة مستشاريهم البريطانيين، ثم انخراط اليمن الشمالي في عضوية «اتحاد الدول العربية» بفضل تدخل وإصرار الأمير محمد البدر، الذي كان شديد التعلق والإعجاب بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر.

لقد اضطررت لأسباب قاهرة وخارجة عن إرادتي، إلى إصدار تفاصيل وقائع الاحتلال البريطاني للإمارات اليمنية الجنوبية، في كتاب منفرد وتحت عنوان «الإمارات اليمنية الجنوبية ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧».

سأورد أيضاً بعض المعلومات عن أعمال بعض الشخصيات اليمنية التي عرفتها وعملت معها وهي قليلة جداً، تكاد لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، وأرجو أن أؤكد أن عدم ذكر الشخصيات الأخرى المعروفة، سببه عدم امتلاكي معلومات وافية عنها، وهذا لا يقلِّل من قدرها، ومجرد إتياني على ذكر من عرفتهم شخصياً. لا يعني أنهم أفضل من العديدين غيرهم.



ظروف ودوافع التحاقي بخدمة الحكومة اليمنية وزيارة الأديب اللبناني أمين الريحاني لليمن ١٩٢٢

يجب أن أعترف أنني كأكثرية أبناء جيلي من شباب وطلاب العرب، لم أكن أعلم عن اليمن في أوائل الثلاثينات من هذا القرن سوى اسم حاكمه الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، واسم عاصمته صنعاء، وأن أفخر أنواع البن المعروف عالمياً «ببن المخا» تنتجه اليمن. كما وأنني كنت أسمع من المتقدمين في السن عن شجاعة الشعب اليمني وبسالته في مقاومة الاحتلال العثماني طوال سنين عديدة، وإلحاق الخسائر الفادحة في جنده، حتى أصبح اليمن يُعرف «بمقبرة الأتراك». كذلك كنت قرأت في بعض الكتب عن شجرة القات التي يمضغ اليمنيون أوراقها، بغية الحصول على النشوة والفرح ونسيان الهموم والمتاعب اليومية، كما كنت أسمع عن «سد مأرب» التاريخي، وعن أسباب انفجاره، وعن ثروات إمام اليمن الطائلة وكنوزه الثمينة المدفونة في أعالي الجبال، والتي يقوم على حراستها إضافة إلى الجن عدد من الحرس الإمامي الخاص.

أما اهتمامي الجدّي باليمن وأنبائه، فلم يبدأ إلا في العام ١٩٣٤ ميلادية لدى نشوب النزاع السعودي ـ اليمني حول منطقة عسير، عندما دخلت القوات السعودية بقيادة سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز تهامة، واستولت على ميناء الحديدة وجوارها. كنت أتابع تلك الأنباء في الصحف، خصوصاً بعد تأليف وفد للصلح رفيع الشأن قوامه سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، وعطوفة الأمير شكيب أرسلان، وفخامة الرئيس هاشم الأتاسي ومحمدعلي علوية باشا، الذين سافروا إلى جدّة وصنعاء للتوسط، فكان النجاح حليفهم، إذ تمكنوا من وضع حدٍّ للقتال بين البلدين العربيين الشقيقين، ولإراقة دماء المسلمين على أيدي

المسلمين، وجرت عقب ذلك مفاوضات طويلة نتج عنها عقد معاهدة «الطائف».

كان الإمام يحيى معجباً بشخصية الأمير شكيب أرسلان وجهاده الطويل في الدفاع عن الحقوق العربية والإسلامية، وكانت المراسلات متواصلة بينهما حتى قبل زيارة الأمير إلى صنعاء في عام ١٩٣٤. ورغم أن جلالة الإمام يحيى لم يكن من الذين يستجيبون بسهولة لنصائح الأصدقاء، تمكّن الأمير شكيب من إقناعه إلى حد ما، بأنه لا يجوز بقاء اليمن على ما هو عليه من تخلف ظاهر في شتى الميادين، وأنه من الضروري الاستعانة بمجموعة من شباب العرب الوطني والمثقف، كما سبق، وفعل جاره جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وذلك للبدء في إقامة إدارات حكومية عصرية تساعد على النهوض باليمن لاستعادة مجده وحضارته واستحقاقه للقبه التاريخي «العربية السعيدة».

وعد الإمام الأمير شكيب بأنه سيأخذ نصائحه بعين الاعتبار، وطلب مساعدته لإيجاد الأشخاص الأكفاء لدرس إمكانية استخدامهم في الوقت المناسب. وقد استغرب الأمير شكيب عدم وجود من يتقن لغة أجنبية في اليمن آنئذٍ، باستثناء وزير الخارجية القاضي محمد راغب بن رفيق، التركي الأصل الذي تقلب في وظائف دبلوماسية وإدارية عدة في الحكومة العثمانية، إحداها في طرابلس لبنان وآخرها كمساعد لوالي اليمن العثماني.

اتصل الأمير شكيب بعدد من أصدقائه في لبنان، ومن جملتهم بعض أفراد عائلتي مستفسراً عن إمكانية إيفاد شبان مثقفين للخدمة في حكومة اليمن، خصوصاً وأن عدداً غير يسير من آل أبو عز الدين وأنسبائهم كانوا قد أدوا خدمات جلّى لحكومتي مصر والسودان لمدة نصف قرن تقريباً، وأن عليهم ألا يبخلوا على اليمن حتى ولو بواحد أو اثنين من أبنائهم، لكون اليمن حالياً بحاجة أمسّ لتلك الخدمات من مصر والسودان.

كنت آنئذٍ (عام ١٩٣٥) أعمل سكرتيراً لمشروع حمامات الحمة المعدنية في فلسطين، الذي كان يملك أكثر أسهمه ويديره الوطني المعروف سليمان بك نصيف، اللبناني ومن أبناء المختارة ـ الشوف. كتب لي والدي عن اتصال الأمير شكيب به وبأحد أعمامي حول إمكانية تطوعي للخدمة في حكومة اليمن، ولو لمدة قصيرة،

وطلب إليّ الكتابة إلى الأمير للحصول على معلومات إضافية منه، هذا إذا كنت أرغب في الالتحاق بخدمة الحكومة اليمنية. لم أشعر من مضمون كتاب والدي أنه متحمس لهذه الفكرة، لأنه كان خلال سنوات خدمته الطويلة في حكومة السودان قد اجتمع ببعض اليمنيين، الذين بدوا ناقمين على الحالة العامة في بلادهم.

بادرت بالكتابة إلى الأمير شكيب وأخبرته عن اتصال والدي بي، وإنني رغم المعلومات الضئيلة وغير المشجعة التي أملكها عن اليمن، فإنني أود معرفة رأيه قبل اتخاذ أي قرار، لأنني مرتاح لعملي الحالي وألقى كل تقدير وتشجيع من صاحب المشروع سليمان بك نصيف، الذي تربطه بعائلتي صداقة قديمة تعود إلى أيام العمل سوية في حكومتي مصر والسودان، لم استلم جواب الأمير إلا بعد ستة أشهر، وفيه يخبرني أنه كتب إلى جلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الذي لم يجبه بعد بصورة نهائية، وإنما تلقى منه الكتاب التالي:

حاوي خير الى الامير شكيب ارسلان حفظه الله

تأملنا حاويكم وما وصفتم به اسرة نجيب ابي عز الدين

وما يرغب فيه وكنا نود ان يكون الجواب حاويا

للاسعاف لو توفرت الدواعي الى مثله ولكنا

الآن نسعى لترتيب مقدمات نتائج نافعة ان شاء الله

وعند الاكمال واللزوم سنفيد الى حضرتكم ولن الغني

عن البيان ان روابط اليمن وجيرته للشيء مع الاحوال

اللازمة ولا تتركونا من افاداتكم المحبوبة والسلام عليكم

وإنه سيبلغني جوابه فور استلامه قراره النهائي، وأضاف أن جلالة الإمام كثيراً ما يتأخر في الإجابة على الرسائل التي تصله، وإنه شبه متأكد أن جوابه سيكون إيجابياً، وشجعني على مطالعة بعض الكتب عن اليمن، كما وإنه لم يخفِ عليّ أمر صعوبة العيش والعمل فيه، حيث يجب التحلي بصبر أيوب وبالقناعة والتقشف، لكون اليمن بلداً فقيراً والحياة فيه لا تخلو من المشقة، رغم أن ضروريات الحياة متوفرة ورخيصة، وأن جلالة الإمام الذي يقدره ويحترمه سيوفر لي الراتب والمسكن اللائقين، وأنه علي أن أتطوع للخدمة في حكومة جلالته ولو لعام واحد يكون بمثابة التجنيد الإجباري المتوجب على كل عربي. وهكذا بدأت باتباع نصيحة الأمير بقراءة ما تيسر من كتب ومجلات، وما أقلها عن اليمن.

إن المدة التي أمضيتها في خدمة الحكومة اليمنية، وفي المناطق الجنوبية المحتلة، والتي أفسحت لي المجال للتعرف على كبار رجال الحكم فيها، قد أثبتت لي حقيقة ما يتمتع به أميرنا المجاهد الراحل شكيب أرسلان من جاه وتقدير لدى الطبقة المثقفة في جنوب غربي الجزيرة العربية، نظراً لجهاده الطويل والدؤوب في خدمة قضايا الأمة العربية والإسلام، ولما قاساه من معاناة نظراً لقرارات الاستعمار الغربي بإبعاده عن وطنه لبنان، وعن أكثر البلدان العربية التي كانت خاضعة لذلك الاستعمار آنئذٍ.

فلقد كان أول سؤال وجهه لي الإمام يحيى وولي العهد سيف الإسلام أحمد وسيف الإسلام الحسين بن يحيى هو «كيف حال أمير العروبة والإسلام صديقنا المجاهد الأمير شكيب؟». أذكر أن السلطات الفرنسية كانت قد منعت الأمير شكيب من دخول لبنان لزيارة والدته الجليلة المريضة، ولدى سماع الإمام يحيى بذلك أمر وزير خارجيته محمد راغب بك بإرسال برقية مستعجلة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، يرجوه فيها السماح للأمير بمعاودة الأميرة والدته في لبنان، فاستجاب الرئيس الفرنسي لرجاء جلالة الإمام وعاد الأمير إلى لبنان.

كما وأنه جرى خلال الثلاثينات من هذا القرن استفتاء في جامعة «عليكار» الإسلامية في الهند، حول «من هو أعظم شخصية سياسية إسلامية؟» فكان اختيار الأمير شكيب أرسلان بشبه الإجماع، وهذا مبعث فخر واعتزاز للعرب عامة ولمنطقتنا خاصة.

في حمامات الحمة المعدنية - فلسطين

لما كانت الكتب عن اليمن شبه مفقودة، فقد تمكنت من الحصول على كتاب الفيلسوف اللبناني أمين الريحاني «ملوك العرب»، الذي قام بزيارة اليمن برفقة الأديب اللبناني قسطنطين يني في عام ١٩٢٢، حيث أمضيا مدة في ضيافة جلالة الإمام. طالعت الجزء المخصص لليمن في الكتاب المذكور بكل إمعان، وقد أعجبت بوصف الأستاذ الريحاني الدقيق لكل ما شاهده وعاناه في اليمن وما رافقه من إشاعات واتهامات في الحل والترحال، جعلته يعتقد أنه ورفيقه سجينان لا ضيفان على جلالة الإمام، وإنني أعترف أنه كان لكتاب الريحاني هذا الفضل الأكبر في إيقاد رغبتي في زيارة اليمن والعمل فيه لأقصر مدة ممكنة. لذا سأورد موجزاً لتلك الزيارة في مذكراتي هذه.

لقد كان من حسن طالعي أن يزور الأستاذ الريحاني وبرفقته الشاعر اللبناني المعروف الدكتور نقولا فياض حمامات الحمة في النصف الثاني من عام ١٩٣٥ للاستشفاء، ولا يمكنني وصف سعادتي وسروري بلقياهما، وخصوصاً بالأستاذ الريحاني الذي كنت لا أزال أدرس كتابه والذي كنت أنوي زيارته في لبنان في أول فرصة تتاح لي للاستزادة من معلوماته عن اليمن وعما إذا كان ينصحني بالاستخدام في حكومته. مكث الأستاذ الريحاني في الحمة ما يقارب الثلاثة أسابيع كنت أقضي معظم أوقات فراغي إلى جانبه مستمتعاً بحديثه الطلي وبما لديه من معلومات قيمة كنت بأشد الحاجة إليها. لقد كنت أجلس أمامه وبيدي كتابه «ملوك العرب» فيطلب مني أن أتلو على مسمعه جزءاً من القسم المخصص لليمن ثم يزودني بمعلومات إضافية ويجيب على أسئلتي العديدة.

كما سبق لي وفهمت من رسالة الأمير شكيب، ورغم سرور الأستاذ الريحاني

بما أبديته من رغبة في خدمة الحكومة اليمنية، فقد أكد لي أن المعيشة والعمل في اليمن شاقان، وأنه يحسبهما نوعاً من الجهاد في سبيل تأسيس إدارة حكومية لائقة بمتطلبات القرن العشرين، كما وأن الشعب اليمني وعلى الأخص سكان العاصمة صنعاء والمدن الكبرى الأخرى، ينظرون بحذر وارتياب إلى كل وافد من الخارج، حتى ولو كان عربياً، وعزا ذلك إلى الحروب العديدة الطويلة التي خاضها الشعب اليمني ضد القوات العثمانية الغازية، كانت نصيحته لي بأن أقبل الوظيفة التي قد تعرض عليَّ وإنما لمدة أقصاها السنة الواحدة، كي أتمكن من مغادرة اليمن إذا تبين لي آنئذٍ أن استمراري في الخدمة لم يعد ممكناً.

بعد نحو أسبوعين من مغادرة الريحاني للحمة، وصل إليها الوجيه الطرابلسي اللبناني المعروف السيد مصطفى عز الدين ومن خلال الاجتماعات اليومية به واطلاعه على عزمي على السفر إلى اليمن لإشغال وظيفة هناك أخبرني أن وزير خارجية اليمن القاضي محمد راغب بن رفيق صديق حميم له منذ كان هذا الأخير يشغل وظيفة قائمقام طرابلس في عهد العثمانيين، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ـ أكد لي السيد عز الدين أن القاضي راغب رجل جليل ومثقف، وإنني دون شك سألقى منه كل رعاية ومعاملة حسنة، إذا تعينت مساعداً له في وزارة الخارجية وسلمني يوم عودته إلى لبنان كتاباً إلى القاضي المذكور موصياً بي، ومما جاء في كتابه أن عدداً قليلاً جداً من شبابنا المثقف يقدم على هكذا مغامرة في بلد يكاد لا تعرف عنه أكثرية العرب سوى النزر القليل «وأنه بناء على ذلك يستحق هذا الشاب الطموح لخدمة بلاده العربية كل رعاية وتقدير».

مضت عدة شهور لم أستلم خلالها أي خبر عما وصلت إليه معاملات تعييني إلى أن استلمت أخيراً كتاباً من الأمير شكيب، ضمنه رد جلالة الإمام القاضي بتعييني في وزارتي الخارجية والمواصلات في قسم المراسلات والعلاقات الأجنبية، على أن أكون مسؤولاً لدى الوزيرين مباشرة وقد حدّد المعاش الذي سأتقاضاه في السنة الأولى من خدمتي، وأن ذلك قابل للتعديل بعد اجتياز مدة الاختبار. كما طلب مني جلالة الإمام الاتصال بوزير خارجيته القاضي محمد راغب وإعلامه عن موعد وصولي إلى اليمن.

رغم أن المعاش المخصص لي كان ضئيلاً بالنسبة لما أنا مقدم عليه من قفزة جريئة في المجهول، فقد قررت الاستقالة من وظيفتي في الحمة وعدت إلى بلدتي في لبنان في شهر يوليو سنة ١٩٣٦ للاستعداد للسفر، ولإقناع أهلي للموافقة على قراري. لم تكن الوالدة لتوافق بسهولة على سفر ولدها إلى بلد عرف بأنه «مقبرة الأتراك»، كما وأنها خشيت ألا يناسب طقس اليمن صحتي، خصوصاً وأن التسهيلات الصحية كانت شبه معدومة، وأن عدد الأطباء في كافة أنحاء اليمن لم يكن ليتجاوز عدد أصابع اليدين.

زيارة الأستاذ اللبناني أمين الريحاني
لعدن واليمن خلال شهري ابريل ومارس ١٩٢٢

كما سبق وذكرت كان للأستاذ أمين الريحاني الفضل الأكبر في ترغيبي بالسفر إلى اليمن، وحثِّي على وجوب إقبال الشباب العربي المثقف على خدمة ذلك البلد العربي العريق، الذي كان فيما مضى مهداً للحضارة العربية، وإليه ترجع أنساب وجذور العديد من العائلات العربية، وفي مقدمتها اللبنانية منها، إضافة إلى ذلك، فالمهمة الجليلة التي انتدب الأستاذ الريحاني نفسه للقيام بها آنئذٍ، تدل على صدق عروبته وغيرته على بني قومه، وقد حمل قضيتهم إلى ديار الغرب، حيث حاول الدفاع عنها بكل إمكانياته في وقت كان النزاع على أشده بين الملك حسين بن علي ملك الحجاز وشريف مكة والسيد محمد بن أحمد الإدريسي المؤسس للحكم الإدريسي في منطقة عسير، وبين الملك والإمام يحيى بن محمد حميد الدين، الذي كان بدوره على خلاف مع الإدريسي، وفي وقت كانت فيه أصابع الدهاء البريطاني المسيطرة على مستعمرة عدن والمحميات تلعب دورها التقليدي المعروف في إذكاء نار الفتنة بين هؤلاء الحكام العرب بغية تنفيذ مآربها ومطامعها.

حاولت السلطات البريطانية الحاكمة في عدن تجسيم الأخطار التي قد يتعرض لها الأستاذان اللبنانيان المسيحيان ظناً منها بأنها قد تتمكن من ثنيهما عن إكمال السفر إلى صنعاء، لأنها أدركت ولا شك بأن الريحاني ذاهب في مهمة تهدف إلى إصلاح ذات البين بين ملك الحجاز وإمام اليمن والسيد الإدريسي حاكم عسير، مما قد يضر بالمصالح والمطامع البريطانية في المنطقة. لذلك بثوا الإشاعات داخل عدن بأن الريحاني هو رسول الملك حسين إلى الإمام يحيى، وأنه جاء من أميركا لمحاولة الحصول على امتيازات من ملك اليمن للشركات المالية الأميركية، وأنه في الوقت نفسه مثل حزب النهضة العربية في مصر، وقد جاء لبث مبادئها التحررية ولإستثارة العرب على الإنكليز.

الوصول الى صنعاء

وصـل الزائـران إلى صنعاء ظهـر يوم ١٩ نيسـان سنة ١٩٢٢، فقـابلهما على مدخل العاصمة فريق من رجال الإمام وثلة من جيشه، وساروا بهما إلى دار الضيافة المعـدة لنزولهمـا في بئر العزب، كان الإمـام آنئذ غـائباً عن العـاصمـة. زارهمـا القاضي عبدالله العمري في اليوم التالي، والعمري يد الإمام اليمنى ورئيس وزرائه، وأكثرهم لطفاً وتواضعاً. ونظراً لغياب الإمام عن عاصمته لم يسمح لهما بالتجول في المدينة ولا بقبول زيارة أحد قبل عودته.

زار الريحاني ويني جلالة الإمـام عقب عودتـه إلى صنعاء فصـافحهما ورحب بهما، فهنأه الريحاني بسلامة العودة ثم قال:

«جئت من وراء البحار وأقاصي الديار عمـلاً بعاطفـة، لا قوة للقـومية بسـواها ولا عز للأمم بدونها، فإننا مهما استرسلنـا في حب الإنسانيـة المطلق، لا ننسى إذا كنـا منصفين حب الوطن الخـاص، وهـذا الحب يحملني اليـوم على السيـاحـة في البلاد العربية فإني وإن كـان لبنان وطني الصغيـر وسوريـا وطني الكبير، أنتسب إلى البلاد العربيـة وطني الأكبر. وإني وإن كـانت المسيحية ديني ودين أجـدادي، أدين بدين كل من أقام حقاً وأزهق باطلاً - بل أدين بدين فلاسفة العرب وشعرائها الكبار، بل أدين بدين كل من قال بالوحدة العربية وتجديـد مجد العـرب. فمن أعز العـرب أعز يا مولاي الإسلام. ولا غرو إذ جئت بلاد اليمن حاجاً هذه الكعبة المباركة، وقد منعت عني تلك المقدسة، كعبة الإسلام الأولى، جئت يرافقني بإذن جـلالة الملك الحسين صديقي العزيز الشيخ قسطنطين يني، وهـو في حب العرب والعـروبة على جانب عظيم من الغيرة والإخلاص والبلاد اليمانية مهد العرب».

وبعد أن شكر الإمـام الريحـاني على كلمته البليغـة وقف قسطنـطين يني وتلا قصيدة نالت استحسان الإمام:

اخفض الطـرف رهبة واحتـرامـا ... وتكلـم إذا استطـعـت الكـلامـا
وتقـدم للعـرش واجثـو لـديـه ... لتحيـي عـن الحجـاز الإمـامـا
سيـد إن يستنفـر القـوم لبّـوا ... أو يقـل كـان قـولـه إلـهـامـا

بـاسمـه يخضعـون كـل مـريـد | فاسمه بـات في الوغى صمصاما
يطلبـون الممات في الحـرب لكن | تبصـر المـوت عنـهم يتـعـامى
يتمنـون أن يـعيشـوا كـراماً | مستقليـن أو يمـوتـوا كـراما
هكـذا علـم الإمـام رعـايـا | ه فكـانـوا لـعـرشـه خـداما
وطـأ الملـك بـالعـدالـة والملـ | ـك على العـدل إن أقيم استقاما
قد وعى العلم والبراعـة في حكـ | ـمتـه والـدهـاء والإقـداما
دق فـوق المُـلك للعـرب مجـداً | مشمخـراً يطـاول الأجـراما

أما قصيدته الثانية التي انتقد فيها القات بناء على إلحاح الريحاني الـذي كان يمقت القات ورؤية ماضغيه فهي التالية:

القـات فيـه عجـاب | كمـا يقـول الصحـاب
درت بـه الشـالـة لمـا | أن طـاردتـهـا الـذئـاب
ذاقتـه فـاسـتـعـذبتـه | وسـال فيـهـا اللـعـاب
وأمسـى يجمـع منـه | حتـى تملـى الجـراب
مشـى يحـدث عنـه | وفـي الحـديـث الصـواب
فصـدقـوه وذاقـو | ه مثلـه واستطـابـوا
مـا نفـعـه أنبئـونـي | هـل عنـد شخص جـواب؟
جـربتـه واختبـاري | يجـدي بـه الإسـهـاب
تنتـاب جسـم الفتـن | قشـعـريـرة والتـهـاب
وفيـه يفـعـل مـا لا | يقـوى عليـه الشـراب
والصـدر فيـه من الـوخـز | والـعـذاب خـراب
والنسـل يضـعـف منـه | مـا فـي كـلامـي ارتيـاب
لا نفـع فـي القـات لكـن | فيـه الشقـا والـعـذاب
وتـزهـق النفس منـه | والقلـب والأعصـاب
والجفـن يـذبـل حتـى | يـغشى الـعيـون سحـاب
وسـوء هضـم وقبض | منـه يـغيـب الصـواب
والـرأس يثقـل وطئـاً | وبـالـدوار يصـاب

ويعتري بعد هذا المفاصل والاضطراب
لم يبق أرخت ريبا القات للقتل باب

قوبلت هذه القصيدة بالنقمة من بعض الذين اطلعوا عليها لتجاسر الشاعر على ذم القات، وبعد بضعة أيام أرسل الإمام قصيدة من نظمه وخط يده رداً على قصيدة قسطنطين:

عشر مزايا للقات:

فللعيون جلاء للضعف منه ذهاب
وللثغور صباح زمردي يذاب
أحسن بثغر مليح له المذاب رضاب
يا ما أحيلاه ظلما تشفى به الأحباب
وللنفوس مديح وللنشاط انجذاب
ويشحذ الفكر حتى يخاف منه التهاب
ويطرد النوم عن من له الجليس كَتاب
أما الذي قاله قسطنطين فهو سراب
أليس من جاوز الحد أكله والشراب
يكون عرضة خسر ويعتريه اكتئاب
والأكل والشرب ما لا به الكرام تعاب
وإنما العيب إسراف منه يبدو العجاب
هذا الملفق يا قسطنطين منا جواب
يهدي إليك عليه من الحياء نقاب
لأنه ليس كفوءاً للدر وهو تراب
فاستر ملفق يحيى فالسِّتر فيه ثواب



كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

الفصل الثاني

السفر الى اليمن

الوصول الى عدن ثم الحديدة وصنعاء

أبحرت في الرابع من سبتمبر سنة ١٩٣٦ من بيروت إلى بور سعيد، حيث استقليت المركب البريطاني «أورنساي» ووصلت إلى عدن في ٩ منه. أمضيت في عدن ثلاثة أيام، تعرفت خلالها على الوجيه المعروف السيد عبدالله علوي الجفري نجل السيد علوي الجفري المستشار الأول للسلطان عبد الكريم بن فضل بن علي العبدلي سلطان لحج. سألني السيد عبدالله إذا كنت أود زيارة عظمة السلطان للتعرف عليه، فرحبت بالفكرة وقمنا معاً بزيارته في قصره في عدن. رحب السلطان بي وأكرم وفادتي وأبدى ارتياحه وسروره لالتحاقي بخدمة دولة عربية عريقة هي بأمس الحاجة إلى المئات من أمثالي، نظراً لما هي عليه من تأخر وفوضى، وشكا من تصرفات عمال وحكام وجنود الإمام، وقساوتهم وظلمهم لرعاياهم ولرعايا النواحي اليمنية المحتلة، مما يبعد الجميع عن الولاء لجلالة الإمام الذي يكنون له كل احترام. ورجاني أن أقوم بإبلاغ جلالته أنه يجب أن يضع حداً لمظالم حكامه وجنده لرعايا اليمن الجنوبي المحتل، إذ لا يجوز لهم وهم حكام أمير المؤمنين أن يعاملوا مؤمني الجنوب بذلك الشكل الجائر والمستنكر الذي يجعلهم ينفرون من مجرد سماعهم اسم اليمن وإمامه.

تلطف السيد عبدالله بإقامة حفلة على شرفي، دعا إليها العديدين من وجهاء عدن ومثقفيها الذين سررت بلقياهم واستطلاع آرائهم حول مهمتي في اليمن. كانت ملاحظات القليل منهم مشجعة ولم يتورع البعض الآخر عن إبداء دهشتهم واستغرابهم لقبولي العمل في اليمن، وأنا الذي أنتمي إلى بلد الرقي والإشعاع

لبنان في الوقت الـذي يتردد فيـه المثقفون منهم في قبـول أي عمل هنـاك، رغم أن عدن هي بوابة اليمن، وأن ما يعرفونه عن ظلم وجور حكام الإمام لرعايـا الضواحي الجنوبية يجعلهم يرفضون مجرد التفكير في زيارة اليمن.

أبديت أسفي لما سمعتـه من أمور غيـر مشجعة، وأكـدت لهم تصميمي على القيـام بالتجـربة التي أنـا في صـددهـا، رغم يقيني بـالصعـوبـات التي سـأواجههـا وأجابهها، لأنني لا أزال شاباً في مطلع حياتي العملية، وعليّ كما على أبنـاء جيلي العربي، اعتبار هكذا مهمات كواجب وطني موازٍ لواجب «خدمـة العلم» المفروضـة في عدد من البلدان. ودَّعت الحاضـرين وشعرت أنهم رغم إعجـابهم بالجـرأة التي لمسوها فيّ فإنهم قرنوا ذلك بنوع من الشفقة عليَّ.

الوصول الى الحديدة

غـادرت عدن إلى الحـديدة، الميـنـاء الرئيسي في اليمن في ١٢ سبتمبـر سنة ١٩٣٦ على مركب صغير تابع لشـركة «كـوسنجي دنشو» الهنـدية لا تتجـاوز حمولتـه الستماية وخمسون طناً، كمـا قيل لي، ووصلت إلى مينـاء الحديـدة في مساء اليـوم التـالي. رسا المـركب الصغير على مسـافة نحـو كيلومتر واحـد من رصيف الميناء، وبعد قليل جاء مدير الميناء في سنبوك ذي مجاذيف لاستقبالي وللكشف على أوراق الباخرة. نـزلت وإياه إلى سنبـوكه الـذي توقف على بعـد نحو مـائة متـر من رصيف الميناء وكان الوقت ليلاً. تقدم نحونا أربعة أشخاص يحملون كرسيـاً كبيراً، فقفـزت إليه من مقدمة السنبوك وسـار بي الفرسـان الأربعة بـاتجاه الـرصيف وأنا أردد تـلاوة الفاتحة وسط ترقب تعثر أحد هؤلاء الحمالين المساكين وسقوطي في المـاء، وأنا لا أحسن السباحة.

وصلت إلى درج الـرصيف سالمـاً بفضل العنـايـة الإلهيـة وجهـود الحمّـالين المشكورة، وإنما كنت قـد بدأت أشعـر بنوع من «الـدوار» وسط الظلام. استـرحت لفترة وجيزة على الرصيف، ثم تابعت سيـري نحو دار الضيـافة الـرسمية المجـاورة للرصيف، دخلت الغرفة المخصصـة لي في الطابق الأعلى من البنـاية، ولـم أتمكن من تناول العشاء نظراً لما كنت أشعر به من إرهاق، واستسلمت لرقـاد عميق بعد أن

شكرت موظفي الدار على كريم اهتمامهم بي وتوفير ما أمكن وتيسر من أسباب الراحة لي، ففهمت منهم أن أمير اللواء السيد عبدالله بن الوزير قد تلقى برقية من جلالة الإمام للاعتناء بي.

استيقظت مبكراً في اليوم التالي ورحت أرقب المناظر والحركة في الميناء أمامي، وبعد تناولي طعام الإفطار دخل عليَّ مدير دار الضيافة ليخبرني أن سعادة أمير لواء الحديدة السيد عبدالله بن الوزير قد حدد الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم موعداً لاستقبالي. ففي الوقت المحدد وصلت إلى باحة دار الضيافة سيارة سعادة أمير اللواء مصحوبة بأربعة من جنود الهجانة، فاستقليتها إلى مقر الأمير في ضواحي الحديدة. وبينما أنا أهمّ لركوب السيارة وقع نظري على عمود مرتفع في منتصف الطريق بين دار الضيافة والأسكلة، تتدلى من أعلاه يد بشرية وجهاز طرب محطم (غرامفون)، راعني ذلك المنظر وحاولت أن أخفي حقيقة شعوري ودهشتي، فسألت الضابط المرافق لي إذا كان ما أراه هو يد بشرية حقيقية، فأجابني بالإيجاب وأضاف أن تلك اليد هي يد لصّ شرِّير دأب على التعرض للمسافرين وسلبهم بضائعهم وأموالهم، فقبض عليه وأمر جلالة الإمام بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء به، وأن الغرامفون قد وجد في منزل أحد تجار الحديدة فجرى تحطيمه وسجن صاحبه لأن هذه الآلة الشيطانية تلهي الناس وتصرفهم عن القيام بواجباتهم الدينية وتحملهم على الانصراف إلى اللهو والطرب. لم أبدِ أي ملاحظة على ما فسره لي الضابط، وحاولت التحدث إليه في موضوع آخر، فما كان منه إلا أن سألني عن سبب اصفرار وجهي لدى رؤيتي العمود وما يتدلّى منه، فقلت له: إنني أرى ذلك للمرة الأولى، وإنني أعتقد أن اللص قد نال العقاب الذي يستحقه.

لدى وصولي إلى مقر الأمير خارج المدينة، أدخلني سكرتيره إلى غرفة انتظار جانبية، وذهب مع الضابط المرافق لي لإعلام الأمير عن وصولي، ويظهر أن الضابط أخبر الأمير عن ارتباكي لدى رؤيتي اليد البشرية المدلاة من العمود. عاد السكرتير إليّ بعد نحو عشر دقائق، ورافقني إلى مجلس الأمير، فرأيته جالساً وسط أعوانه وفي مكان مرتفع من القاعة الفسيحة التي يتخذ الأمير ومساعدوه منها مكاتبهم.

استقبلني أمير اللواء السيد عبدالله الوزير بما عرف عنه من بشاشة وحفاوة، ثم سألني عن سفرتي، وعما إذا كانت مريحة أو متعبة، ثم عن بلدي لبنان وعن فلسطين ومطامع الصهيونية والاستعمار في ذلك القطر المقدس من الوطن العربي الأكبر، ثم قال: «وكيف وجدت الحديدة عاصمة تهامة، وهل أعجبتك وهل لديك أي ملاحظات تريد أن تبديها عما شاهدته فيها»؟ استدركت فوراً أن الأمير يهدف إلى استدراجي للكلام عن اليد المبتورة والغرامفون المعلقين وسط ساحة الميناء، فحاولت التهرب بقولي: إنني لم أر بعد سوى القليل من مدينة الحديدة، وإنني أرجو أن أتمكن من زيارة باقي أحيائها بعد الظهر إذا سمحت لي الظروف، وإذا لم يكن لديه من مانع، ثم شكرته على حسن استقباله لي وعلى الاهتمام الذي لقيته من القيمين على دار الضيافة. لم يقتنع الأمير بجوابي وسألني عما خالجني من شعور لدى رؤيتي اليد المبتورة، وما جاورها، فأجبته أن رأيي هو ما سبق وقلته للضابط المرافق الذي ولا شك قد نقل إليه ذلك، وهو أنه طالما أن صاحب هذه اليد هو لص مجرم قام بالاعتداء على المسافرين الآمنين مستعملاً العنف والسلاح، وطالما أن الشريعة السمحاء تقضي بما ناله من عقاب، فعسى أن يكون ذلك عبرة لغيره ممن قد تسوّل لهم نفوسهم اقتراف الجرائم. ظننت لأول وهلة أن استجواب الأمير لي قد انتهى، وإنما خاب ظني لدى مبادرته بسؤالي عن العقاب الذي يلقاه اللصوص الذين يعتدون على المسافرين بقوة السلاح، أو يقتلون الأبرياء في لبنان، فأجبته: إن في بلدي محاكم مدنية تحكم بموجب القوانين الجزائية التي غالباً ما تقضي بالسجن لمدد متفاوتة طبقاً للوسائل التي يستعملها السارق، وأما المتهم بالقتل العمدي، فقد يكون حكم الموت شنقاً من نصيبه. ختم الأمير استجوابه بالقول: إنه لو كنا ننفذ أحكام شريعة الله لما حصل ذلك العدد الوافر من جرائم القتل والاعتداء على الآمنين في بلادنا.

شعرت ببدء زوال الكابوس عن صدري عندما انتقل الأمير إلى موضوع آخر غير السرقة والقتل والبتر، وأخبرني أن جلالة الإمام أمير المؤمنين قد أمره بالاهتمام بي، كون صديق اليمن الكبير الأمير شكيب أرسلان قد اختارني للعمل في حكومته التي هي بحاجة ماسة إلى عشرات الموظفين العرب الأكفاء، وشدد على وجوب

تقيد الذين تستدعيهم حكومة اليمن لخدمتها بأهداب الدين الحنيف والشريعة السمحاء، والابتعاد عما لا يرضي الله ورسوله من تعاطي الفسق والكحول، وأن يكونوا قدوة صالحة لاخوانهم اليمنيين. وبعد أن بلغني أمر «الحضرة الشريفة» بوجوب متابعة السفر إلى صنعاء بالسيارة في الغد نظر إلي قائلاً: «يحسن على القادم للعمل في اليمن أن يلتحي احتراماً لعادات البلاد، لأن اللحية رمز الرجولة تميز الرجل عن المرأة، فأكدت له أنني مصمم على احترام عادات البلاد الجوهرية وودعته وعدت إلى دار الضيافة، بعد أن أمر بتجهيز سيارة لائقة وسائق ماهر لنقلي إلى صنعاء.

عدت إلى دار الضيافة حيث وجدت أحد التجار السوريين الذين يعملون في الحديدة بانتظاري، فتجولت وإياه في المدينة وزرنا العشش السكنية المحيطة بها والمخصصة لسكن الفقراء والأخدام وعرجت على متجره.

ولما كان الصديق اللبناني يوسف بك حسن من بلدة بتلون الشوفية، الذي عمل كقائمقام ضاحية القماعرة اليمنية في زمن الحكم العثماني، قد أعطاني كتاب توصية إلى أحد أصدقائه في الحديدة، علمت فور وصولي أنه كبير تجار المدينة، ذهبت مع الصديق السوري المذكور لزيارته فرحب بي وأكرمني، ثم سألني عن الدوافع التي حملتني على القدوم إلى اليمن، وأبدى استغرابه لعدم وجود من ينصحني بعدم الإقدام على هكذا مغامرة وإنه رغم ذلك يدعو لي بالتوفيق مؤكداً أنني لن أتمكن من البقاء في صنعاء أكثر من شهر أو شهرين على أبعد تقدير.

عدت إلى دار الضيافة للاستراحة استعداداً للسفر في صباح الغد إلى العاصمة صنعاء.

لم أكد أنتهي من الغداء، حتى دخل عليّ أحد الحراس وأخبرني أن أحد نزلاء الدار، وهو عربي غير يمني، يريد مقابلتي للسلام عليّ، فطلبت إدخاله فوراً لأنني كنت قد بدأت أشعر بالوحدة وبالحاجة لمن يؤنسني ويشجعني على متابعة المهمة التي حضرت من أجلها، ورجوت أن تكون زيارة هذا الصديق المجهول البلسم الشافي لما يعتريني من هواجس وحيرة. وصل الزائر الكريم الذي بدا على

وجهه الهمّ والإرهاق، وبعد تبادل التحيات أخبرني أنه قدم إلى اليمن قبل ثلاثة شهور للعمل كمستشار لإحدى دوائر الحكومة، وأنه طيلة مدة إقامته في صنعاء لم يتمكن من القيام بأي عمل مفيد، نظراً لعدم تعاون المسؤولين معه، والذين ساءهم قدومه، وهو خريج إحدى الجامعات الفرنسية، ويحمل دكتوراه في الآداب، وهم ليسوا على شيء من العلوم العالية والثقافة العصرية. أنهك ذلك الموقف السلبي منه أعصابه، ثم ما لبث أن أصيب بحمى الملاريا، وقضى مدة طريح الفراش فلم يلقَ حسب قوله أيّ اهتمام من المسؤولين. لذلك بادر فور شفائه إلى تقديم استقالته وبقي قابعاً في منزله حتى سمح له بالعودة إلى بلاده.

نظر إلي ذلك العائد البائس نظرة ملؤها الشفقة وقال: «إذا كان لديك تذكرة سفر للعودة فنصيحتي الأخوية لك هي في عودتنا معاً إلى بلدينا من هنا، وقبل الوصول إلى صنعاء حيث تنتظرك كافة أنواع المشاكل والمصاعب والمشاكسات، ابتداء من رؤسائك وانتهاء بمرؤوسيك. ودّعني وانصرف على أن يعود لزيارتي ثانية في المساء. طبعاً لم يكن حديث هذا الصديق الجديد إلا ليزيدني تشاؤماً وبدا المستقبل حالكاً أمام عينيّ.

زارني الصديق العائد ثانية في المساء ليكمل حديثه الصباحي، وبدأ يندب حظي وما أنا قادم عليه من أمراض ومضايقات. شعرت عندئذ بأن كيلي قد طفح، ورجوته الكف عن إحباط ما تبقى من عزائمي، مؤكداً له أنني مصمم على إكمال سفري إلى صنعاء، والبقاء فيها أطول مدة ممكنة، والتمتع بما تبقى في «العربية السعيدة» من سعادة. وكانت آخر نصيحة نصحني بها الصديق المذكور هي عدم المبيت في مدينة العبيد في طريقي إلى صنعاء، لأن هذا المكان موبوء وينتج أشهر وأخبث أنواع الملاريا، شكرته على نصيحته وأويت إلى فراشي وأنا في أسوأ حالات التشاؤم. لقد تساءل الأصدقاء الذين لقيتهم في عدن عن أسباب إقدامي على هكذا مجازفة، وكذلك عظمة سلطان لحج وحاشيته، وفي الحديدة أتحفني الصديق العائد بما زاد الطين بلّة، وقضى على ما تبقى في خاطري من آمال. فبينما كنت أحاول الاستسلام للرقاد، جاءني أحد الحرس وأخبرني أن أحد كبار اليمنيين يريد مقابلتي لأمر هام جداً. أسرعت بإعادة ارتداء ملابسي وخرجت لاستقباله، فإذا

بي أمام شاب في نحو الخامسة والعشرين من العمر علمت فيما بعد أنه ينتمي إلى عائلة رفيعة المقام في صنعاء، وأنه قد أبعد إلى الحديدة وحجز في دار ضيافتها لارتكابه بعض المخالفات الدينية، وأنه يمضي وقته في كيل الشتائم لحكام صنعاء.

عندما تقدمت لمصافحة الزائر الثائر صاح بي قائلاً: «إذا كانت الأقدار القاسية والغاشمة قد قضت علينا بأن نعيش تحت سيطرة هذا الحكم الفردي الظالم، وأن نقاسي شتى أنواع العذاب والمحن لكوننا من أبناء هذا البلد، فما الذي حملك على القدوم من نعيم لبنان إلى جحيم اليمن»؟

طبعاً لم أجبه، ثم استرسل في توجيه النقد اللاذع والشتائم إلى أركان دولته. حضر لدى سماع صياحه عدد من حرس الدار وطلبوا منه النزول إلى غرفته في الطابق الأسفل، وبينما هو عائد إلى مكانه سقط من على السلالم وأصيب ببعض الجروح في رأسه مما حمل ضابط الدار على إعلام أمير اللواء بما حصل، فأرسل الأمير أحد القضاة للتحقيق، وكانت النتيجة اتهام الشاب الثائر بأنه كان ثملاً وأنه يجب إحالته إلى المحكمة الشرعية بتهمة تعاطي المسكرات والذم بالحضرة الشريفة وحكامها. فقد قيل للقاضي المحقق إن الشاب المتهم كان في زيارتي قبيل سقوطه، ولذلك ارتأى القاضي أخذ إفادتي في صباح اليوم التالى، وبالفعل حضر إلى غرفتي وسألني إذا كنت متيقناً بأن الشاب كان ثملاً خلال زيارته لي. أجبته بأنني آسف لأن ابدأ عملي في حكومة اليمن كشاهد في قضية أجهلها، لأنني لست ولله الحمد ممن يعاقرون الخمرة. وسألني القاضي إذا لم أشم رائحة الخمرة لدى تبادل السلام معه، فأكدت لحضرته أن واجب السلام اقتصر على المصافحة وأنني لاحظت أن الشاب كان في حالة مؤسفة من الهيجان، وهذا كل ما يمكنني الإدلاء به، وعليّ أن أغادر الحديدة فوراً إلى صنعاء. اعتذر القاضي على إزعاجي وتمنى لي سفراً سعيداً. وهكذا أضفت إلى جعبتي ما سمعته من الشاب الارستقراطي الثائر وما حدث له في حضوري.

السفر إلى صنعاء ـ لا بد من صنعاء وإن طال السفر

كان من المفروض أن أغادر الحديدة إلى صنعاء فجر يوم ١٥ سبتمبر سنة

١٩٣٦، وإنما لسبب ما لم تصل السيارة المعدة لنقلي إلى أمام دار الضيافة إلا حوالي الساعة العاشرة صباحاً. كان قصدي من السفر الباكر هو تجنب المبيت في مدينة العبيد الشهيرة بالملاريا، وقد وعدني سائق السيارة في حضور مدير دار الضيافة بأننا لن نبيت في ذلك المكان الموبوء. فبعد مسيرة ما يقارب الثلاث ساعات توقفنا لتناول الغداء، ثم بدأ السائق ومساعده والحارس المرافق استعداداتهم لعملية مضغ القات التي تلي الغداء. لم ترقني عملية المضغ هذه، وكنت قد علمت الكثير عن مضار هذه الآفة، ولما سألت السائق عن سبب التوقف أجابني بحدة أن لا أحد يسافر في الوقت المخصص للقات، ذكرته بأمر مدير دار الضيافة بوجوب متابعة السير وعدم المبيت في مدينة العبيد فلم يكترث لرجائي. عمدت إلى إغرائه بما تبقى في جيبي من الريالات فتلطف بقبولها دون أي كلمة شكر وعاد إلى المضغ وأنا أراقبه على مضض.

وصلنا مدينة العبيد مساء فأوقف السائق السيارة وأخبرني بأننا سنمضي ليلتنا فيها نظراً لصعوبة السفر ليلاً، ولأنه بحاجة للراحة، وسارع إلى إخراج مقعد السيارة وطلب مني أن أحاول النوم قرب السيارة، ولما لم أجد وسيلة لإقناعه بمتابعة السير طبقاً للأوامر الصادرة إليه من المسؤولين في الحديدة، أسلمت أمري إلى الله وجلست على المقعد ملتحفاً معطفي وبطانيتي. لم أستطع النوم تلك الليلة المشؤومة، إذ هاجمتني كثبان البرغش والحشرات، ورغم أنني كنت أغطي نفسي من أعلى رأسي حتى أخمص قدمي بالبطانية، فقد شعرت بلسعات تلك الحشرات في قدمي، ولا أعلم كيف تمكنت من التسلل إلى داخل البطانية، ومن ثم التسرب إلى وجهي ويدي ورجلي، فبدأت بالحك وأيقنت أن الملاريا آتية ولا ريب في حينها استجرت بالسائق وبمعاونه فاستغربا ادعائي واتهامي لحشرات مدينة العبيد المضيافة وقالا بكل سماجة: إنها هرعت للترحيب بالضيف اللبناني الكريم ولتذوق دمه الطازج، ثم عمد السائق إلى قطع بعض أغصان الشجر وأشعلها أمام مضجعي كي تبعد الحشرات عني، بعد أن كانت قد ارتوت من دمي.

وعدني السائق بأننا سنستأنف السفر في ساعة مبكرة من صباح الغد، أي في ١٦ سبتمبر فلم أصدقه وأفهمته ذلك، وبالفعل لم نترك مدينة العبيد إلا حوالي

الساعة العاشرة صباحاً، وذلك بعد أن هددت السائق بأنني سأشكوه إلى رؤسائه فور بلوغي صنعاء، وكالعادة لم يكترث لكلامي، إذ كان يوقف السيارة لأتفه الأسباب، وطبقاً لمزاجه الغريب خصوصاً بعد فترة الغداء وحلول موعد مضغ القات، عندما حصل نقاش حاد بيني وبينه. قلت مخاطباً السائق: «يا سيد لقد وعدتني بأننا سنصل إلى معبر قبل حلول الليل والظلام وأنك تريد الآن مضغ القات لمدة ساعتين، أي أننا لن نصل إلى معبر قبل منتصف الليل». انتفض السائق غضباً وهددني بأنه سيشكوني إلى جلالة الإمام لأنني ناديته بعبارة «يا سيد»، لأن السادة هم عترة رسول الله (صلعم)، ومناداتي لسائق مثله هو احتقار للسادة الكرام، ثم نظر إلى مساعده والجندي المرافق طالباً منهما أن يشهدا أمام جلالة الإمام الذي سينزل بي ولا شك عقاباً شديداً. رجوت السائق أن يرفع شكواه فور وصوله إلى صنعاء، وأبديت استغرابي لتلك المعاملة الوقحة التي يلقاها ضيف جلالته.

وأخيراً وصلت إلى مدينة معبر ليلاً، وأنا منهوك القوى. فتح لنا حارس دار الضيافة باب المدخل الكائن قرب مسكن العامل، وأخبرني أن حضرة العامل انتظرني وقتاً طويلاً ثم توجه إلى منزله، ظناً منه بأنني لن أصل قبل صباح الغد، وأنه سيخبره فوراً عن وصولي. دخلت غرفة النوم وبدأت بخلع ملابسي استعداداً لرقاد عميق، بعد أن أمضيت الليلة السابقة في عراك مستمر مع حشرات مدينة العبيد، ولما كنت على وشك إطفاء سراج الكاز الذي ينير القاعة قرع الحارس الباب لينبئني أن حضرة عامل القضاء ومعاونيه في طريقهم لزيارتي والسلام عليّ، وكانت الساعة آنئذ حوالي العاشرة مساء. ارتديت معطفي وجلست أنتظر قدومهم، ولدى وصولهم رحب العامل بي باسم جلالة الإمام أمير المؤمنين الذي تفضل وأبرق له بالاهتمام الكلي بي.

سألني حضرة العامل عن رحلتي، فسردت له سلسلة المصاعب التي لاقيتها وانزعاجي لاضطراري إلى المبيت في مدينة العبيد والمعاملة غير اللائقة التي خصني بها السائق، فسارع حضرته للتأكيد لي أن كل من يمضي ليلة في تلك المدينة الموبوءة يصاب بالملاريا. أجبته مبدياً دهشتي لعدم تشديد حكومته على سائقي سياراتها الأميرية (سيارات بيت المال) لعدم التوقف والمبيت هناك والامتناع

عن الاستخفاف بالمسافرين من ضيوف جلالة الإمام، وافق العامل على كلامي وأردف قائلاً بأن سائقي هذه السيارات قد ألفوا الملاريا وحشراتها، وأصبح لديهم مناعة ضدَّها من كثرة ما أصيبوا بها، فأكدت لحضرته أن القادمين إلى اليمن من أمثالي لم يألفوا ذلك بالطبع، ويلزم أخذ ذلك بعين الاعتبار. أمر العامل في الحال استحضار جرعة من الكينا التي تناولتها بعد العشاء. رجوت العامل أن يعفيني من تناول العشاء نظراً لحاجتي الماسة للنوم والراحة، فأجابني بأن أوامر جلالة الإمام تقضي بتقديم العشاء لي والاهتمام بي وبراحتي، وبتسهيل سفري إلى صنعاء، وأن عليه تنفيذ أوامره، طبعاً شكرت اهتمام جلالته بي ورضخت لأوامره.

ظننت بعد تناول العشاء أن الفرج قد أصبح قريباً، وأنني سأتمكن من النوم فوراً، وإنما شاء مضيفي الكريم أن يستفسر عن الحالة في فلسطين، وعن سفور النساء في بعض البلدان العربية، وأنه إذا صح ذلك فهو علامة تأخر لا تقدم، فأجبته بإيجاز، إننا في بلادنا نحاول أن نستعيض عن الحجاب الحريري بحجاب أمنع، من الثقافة الأخلاقية والتربية القويمة، وإنما لا أعتقد أن حضرته كان مقتنعاً بجوابي.

لدى انصراف العامل وصحبه قبيل منتصف الليل أسرعت إلى فراشي ونمت نوماً هنيئاً، واستيقظت في الصباح الباكر من ١٧ سبتمبر، وبعد تناولي الترويقة السخية التي أعدها لي القيم على دار الضيافة، توجهت إلى دار العامل لرد الزيارة له قبل استئناف السفر. كان العامل في منتهى اللطف وودعني داعياً لي بالتوفيق في عملي الجديد، وأكد لي بأنه سيبرق إلى ديوان جلالة الإمام ينبئهم عن موعد وصولي إلى صنعاء. شكرته على حسن وفادته ووعدته بأنني سأطلع جلالة الإمام على الاستقبال الحسن الذي لاقيته، وذلك بعد أن همس في أذني راجياً إبلاغ جلالته ذلك. وبخ العامل السائق على تصرفاته الفظة معي، ثم انطلقنا في المرحلة الأخيرة من السفرة المضنية.

سرنا باتجاه صنعاء، وقد لمست أن السائق يزداد لطفاً ورقة كلما اقتربنا من العاصمة. لقد أبدى عتبه عليَّ لأنني شكوته للعامل، ورجاني بألا أشكوه لجلالة

الإمام أو لمأمور النقليات، فأكدت له بأنني لن أفعل ذلك رغم سوء تصرفه خلال السفرة.

الوصول إلى صنعاء

وصلت صنعاء ظهراً، وأمام باب اليمن توقفت السيارة، فجاء الضابط المسؤول وسألني إذا كنت الموظف المصري الجديد المنتظر وصوله اليوم، لأن لديه أوامر لاستقباله، فأجبته أنني موظف جديد وعربي من لبنان، وليس من مصر، فارتبك المسكين وطلب مني الانتظار ريثما يتصل برؤسائه، وعاد بعد نحو ربع الساعة ليرحب بي وليأذن بدخولي العاصمة، طالباً من السائق إيصالي إلى بيت «أفلاطون»، حيث سأنزل مع الطبيب السوري أحمد سامي السمان. توقفت السيارة أمام باب السبح المدخل الرئيسي بين صنعاء القديمة والحي الجديد المسمى «بئر العزب»، ولم يطل انتظاري هذه المرة إذ أخبر السائق الحرس بأن في السيارة موظف عربي جديد في حكومة جلالة الإمام، وسينزل في بيت أفلاطون، فسمحوا لنا بالدخول دون التدقيق فيما إذا كنت مصرياً أو لبنانياً، وبعد نحو ثلاث دقائق وصلت إلى محط الرحال في بيت أفلاطون القريب من منزليّ عامل صنعاء السيد حسين بن عبد القادر، وأمير الجيش المظفر السيد علي بن إبراهيم.

كان الدكتور أحمد سامي السمان طبيب «الجيش المتوكلي المظفر»، في انتظاري في المنزل. ولن أنسى ما حييت ترحيب وأنس ذلك الصديق الكريم، الذي كان لي نعم الأخ والرفيق طيلة المدة التي أمضيتها في صنعاء. لقد شاءت الأقدار أن يلاقي هذا الطبيب الإنساني الشهم مصرعه فيما بعد، وهو في طريقه إلى بلده دمشق لتمضية إجازته فيها إثر حادث اصطدام قطارين قبل ساعات قليلة من موعد وصوله إلى بلده وذويه ـ رحمة الله عليه.

بعد استراحة قصيرة تم الاغتسال الذي كنت بأشد الحاجة إليه، بعد تلك الرحلة الشاقة، جلست أتمتع بحديث الصديق الطبيب وأصغي لنصائحه القيمة التي بدأها بما يجب عمله أو تجنبه، وهذا ما يتحتم على كل وافد إلى العربية السعيدة حفظه عن ظهر قلب، قبل البدء بالعمل وبالمعاطاة مع اليمنيين. أطلعني الدكتور

على أوامر جلالة الإمام القاضية بنزولي معه في بيت أفلاطون، وأنه (الدكتور سمان) يرحب بهذه الأوامر الشريفة وبقدومي، وأن الشعور بالوحدة هو أصعب ما ينتاب القادم إلى اليمن، لأن كثرة الاختلاط باليمنيين تسبب لهذا القادم الجديد مشاكل ومخاطر هو في غنى عنها. كما أخبرني الدكتور أنني سأكون ضيف الإمام لمدة ثلاثة أيام، يتوجب عليّ خلالها عدم مغادرة المنزل، وأن جلالته قد أمر بإرسال ما يلزم من طعام ومفروشات وسراج كاز كبير مع كمية محددة من الكاز، وتعيين جندي للحراسة مع حصان وسائس للتنقل بين المنزل والمكتب.

رجع الصديق الطبيب إلى عمله في المستشفى العسكري بعد تناول الغداء، وبقيت في لمنزل مع الطاهي الكهل، الذي ألحقه الإمام بخدمة الطبيب، والذي سبق له أن خدم كطباخ في زمن العثمانيين، ويحسن طهي الأطعمة التركية. وصل بعد قليل مدير دار الضيافة المركزي مرحباً بي باسم الإمام، وأخبرني أن جلالته قد أمر بتوفير كل ما يلزمني، كما طلب مني البقاء في المنزل إلى أن يأمر جلالته باستقبالي خلال ثلاثة أيام. رجوته تقديم شكري لجلالة الإمام، وأنني أتوق لبدء العمل فور صدور الأوامر الشريفة، لأن الوحدة والفراغ تضايق كل قادم جديد

عاد الدكتور سمان إلى المنزل قبيل الغروب، فاغتنمت الفرصة للاستزادة من معلوماته وخبرته. صارحني بما لم يكن خاف عليّ من أن المعيشة والعمل في اليمن صعبان لا بل شاقان، نظراً لاتباع الحكم النظم البدائية القديمه والبالية، ولكون معظم القيمين على إدارات الدولة المختلفة لا كفاءات لهم، وأنني إذا ما تحليت بصبر أيوب ـ كما سبق وفعل هو ـ فقد أتمكن من تحقيق بعض لا كل ما أصبو إليه. كان الطبيب ملتحياً وهذا ما حملني على سؤاله إذا كان التلحي من إحدى واجبات الوظيفة، فطمنني أن ذلك وإن كان مستحسناً، فإنه غير محتم؛ ولما ذكرت له ما سمعته من السيد عبدالله بن الوزير أمير لواء الحديدة عن ذلك، أخبرني أن المعروف عن السيد عبدالله المذكور أنه من المحافظين المتشددين، وأن جلالة الإمام قد يكون أكثر تسامحاً منه في هذا المضمار.

اتفقت مع الصديق الدكتور سمان، رغم أنه لم يكن قد مضى على تعارفنا سوى ساعات قلائل على السكن معاً، وعلى القيام بالواجبات الدينية في أوقاتها،

والحرص على عدم التدخل بما لا يعنينا، لأننا مراقبون والجندي المرافق هو ليس لحراستنا فقط، بل لينقل إلى رؤسائه تقريراً يومياً عن حركاتنا وأقوالنا، وإنه يجب معاملته بالحسنى كي لا يحيك لنا الدسائس. كما وإن علينا الحذر من المقربين من الديوان الإمامي، الذين قد يحاولون استدراجنا لانتقاد حكم الإمام وأساليبه البالية بغية الإيقاع بنا لدى جلالة الإمام وكبار معاونيه.

زارني في المساء وزير الخارجية اليمنية القاضي محمد راغب بن رفيق المعروف محلياً «براغب بك»، وقد سحرني بلطفه وتهذيبه ونزاهته، ثم توالى على زيارتي عدد من موظفي وزارة المواصلات، وجلهم من بقايا العهد العثماني. أخبرني راغب بك بأنه قد طلب موعداً من جلالة الإمام لتقديمي إلى جلالته، وأنه سيمر علي لدى استلامه جواب الحضرة الشريفة.

وفي اليوم الثاني لوصولي جاءني سائق السيارة، الذي سبب لي عدة مشاكل في الطريق بين الحديدة وصنعاء، وهو يرزح بالسلاسل الحديدية التي أمر مدير النقليات بوضعها في رجليه، وعندما رآني صاح باكياً «أهكذا تعاقبني يا أستاذ بعد أن وعدتني بأنك لن تشكوني لأحد؟». تأثرت كثيراً لرؤيته، وأكدت له بأنني لم أتصل لا بمدير النقليات ولا بغيره، وأنني لم أصل إلى اليمن لإلحاق الأذى بأحد حتى ولو أساء إليّ. أعطيته كتاباً إلى مدير النقليات رجوته فيه الصفح عنه، لأنه زارني واعتذر عما بدر منه نحوي. استجاب المدير المذكور لطلبي، وأمر بفك السلاسل، وفهمت فيما بعد أن مساعد السائق هو الذي شكاه إلى المدير، لأنه لم يعطه شيئاً من النقود التي ابتزها مني، رغم أنه كان قد وعده بذلك.



كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

الفصل الثالث

تقديمي الى جلالة الامام
مهامي الأساسية والأعمال الاضافية

بعد ظهر اليوم الرابع من وصولي إلى صنعاء مرَّ علي القاضي راغب وزير الخارجية فصحبته إلى مصيف الإمام في الروضة خارج صنعاء، وقد أطلعني في الطريق على دقائق بروتوكول السلام على صاحب الجلالة الإمام، وكيفية تقبيل الأيادي والركبتين الملكيتين فلم ترقني هذه الأخيرة. وصلنا إلى المقر الصيفي ودخلنا المفرج الواسع ذو الفرش البسيط، فاستقبلنا الضابط المسؤول وأسرع لإعلام جلالته عن وصول القاضي راغب والموظف الجديد، ثمَ عاد ودعانا للدخول.

كان جلالة الإمام يجلس على مرتبة مرتفعة قليلاً وسط بهو الاستقبال، الذي يتخذه مكتباً له، وإلى يمينه بعض الأمراء سيوف الإسلام، وإلى يساره رئيس الوزراء القاضي عبدالله بن حسين العمري وكتبة «المقام الشريف». دخلنا القاعة بعد خلع أحذيتنا، وكان جلالته يطلع على عريضة بين يديه، فتوقفنا حتى نظر إلينا فتقدم منه القاضي راغب، وقبل يديه وركبته وقدمني إليه قائلاً: «هذا هو الأستاذ نجيب أبو عز الدين اللبناني الذي اختاره صديقكم الكبير الأمير شكيب أرسلان للعمل في خدمة جلالتكم في وزارتي الخارجية والمواصلات»، ولدى انتهاء القاضي من مهمة التقديم والتعريف بلغته العربية ـ التركية الجذابة، وبلباقته المعروفة، أفسح لي المجال لتقبيل يديه. ولما حاولت الوصول إلى الركبة الكريمة لتقبيلها رفع جلالته رأسي بيديه وهكذا حال مشكوراً دون قيامي بما لم أكن أشتهيه. سألني عن صحة وأحوال الصديق الأمير شكيب ثم أشار إليَّ بالجلوس بقرب القاضي راغب في الصف المقابل لجلالته.

انصرف الإمام بعدها لمطالعة الأوراق والعرائض المكدسة أمامه وكان بين الحين والآخر يجول بنظره حول الغرفة مردِّداً: «الحمد لله رب العالمين». والجدير ذكره في هذا المقام أنه لا يجوز لأيٍّ كان الكلام في حضرة الإمام إلا إذا وجه إليه أيَّ سؤال من جلالته، كباقي الحاضرين، جلست القرفصاء وإنما لما كنت غير معتاد على ذلك شعرت بأن ساقيّ قد تيبسا، وبدأت أفكر في كيفية وصعوبة النهوض والإقلاع بعد انتهاء المقابلة. نظر إليَّ الإمام بعد قليل وسألني مبتسماً عن رحلتي بين عدن والحديدة وصنعاء، وعن الطريق بين الحديدة وصنعاء، فتلعثمت في الإجابة لأن تلك الطريق كانت في حالة من الخراب يصعب وصفها، إذ أنني لا أعتقد أنها عبدت منذ مغادرة العثمانيين اليمن سنة ١٩١٨ في نهاية الحرب العالمية الأولى، وإنما سارع جلالته بالإجابة نيابة عني قائلاً إنها ولا شك بحاجة إلى الإصلاح.

كانت هذه الزيارة كما سبق وذكرت في فترة بعد الظهر، وكان أكثر الحاضرين في المقام الشريف من أمراء ووزراء وموظفين، يمضغون القات المكدَّس أمامهم، وكان هذا المنظر الجديد علي يسترعي أكثر انتباهي، وعلى الأخص رؤية الأفواه المنتفخة في إحدى جانبيها والسائل الأخضر الذي يتسرب من شفتي «المخزّن» حسبما يسمى ماضغ القات. لاحظ جلالة الإمام أنني كنت أنظر باستغراب ودهشة إلى المخزنين، فنظر إلى القاضي عبدالله العمري رئيس وزرائه وقال: «الأستاذ نجيب مندهش من مضغكم للقات، ولربما يجهل أن القات هو شاي الإسلام». كان جلالته قد توقف عن المضغ منذ مدة لأسباب صحية.

وجه الإمام إليَّ عدة سؤالات عن الحالة في فلسطين، وأبدى استنكاره لعدوان الصهاينة على سكانها العرب الأصليين، ولمساعدة الاستعمار البريطاني لهم. ثم أمرني جلالته الشروع في العمل ابتداء من الغد في مبنى وزارة المواصلات لأنه لم يكن لوزراء الخارجية أي مبنى آنئذٍ، وكانت أعمالها تصرف في قاعة الاستقبال في منزل القاضي راغب. نهض راغب بك فتبعته وانصرفنا بعد تقبيل أياديه.

البدء بالعمل في وزارتي الخارجية والمواصلات

خصص لي مكتب في الطابق الأسفل من بناية وزارة المواصلات، يطل على باحة قصر السعادة التي يجلس جلالة الإمام في وسطها لسماع شكاوى رعاياه. كان من الصعب عليّ القيام بأعمالي الكثيرة في بادىء الأمر نظراً لضجيج وصراخ الشاكين، كما وأنه كان يقع على بعد نحو خمسين متراً من مكتبي قفص كبير داخله نمر وفهد، يتجمع حولهما الداخلون إلى ميدان القصر أو الوزارة، بالإضافة إلى مجموعات من الصبية لرؤيتهما، وغالباً لمشاكستهما، فيبدآن الزئير مما يجعل العمل وحصر الأفكار شبه مستحيل. كما وأن زوار وزارة المواصلات وإدارة البرق والبريد الذين سمعوا عن قدوم موظف جديد من لبنان، كانوا يعرّجون على مكتبي للسلام والتعرف عليَّ. كنت في بادىء الأمر أبدي كل لطف وبشاشة للزائرين، ولكن عندما طفح الكيل وتكدّست الأوراق على مكتبي، بدأت بالاعتذار لهؤلاء الزوار لعدم تمكني من استقبالهم، لأن أعمالي كثيرة، فكل المراسلات الأجنبية ترسل إليّ للترجمة، ثم لوضع الأجوبة عليها قبل إحالتها إلى الوزير المختص الذي يحيلها بدوره إلى ديوان جلالة الإمام لأخذ موافقته عليها، لأنه لا يمكن إرسال أي رسالة إلى الخارج دون الحصول على موافقة الحضرة الشريفة، وكلمة «لا بأس» المؤثرة لتلك الموافقة السنية. لقد حاولت إقناع هؤلاء الزوار بأنني موظف، ووقتي ملك للدولة وعليَّ واجبات يلزم القيام بها على أحسن وجه. كان بعض هؤلاء الزوار لا يتورّع عن أخذ الأوراق الرسمية من على مكتبي محاولاً قراءتها كأنهم جاءوا للتفتيش على أعمالي.

شكاني بعض الوجهاء البارزين الذين لم يكونوا مولجين القيام بأي عمل مفيد سوى توزيع الزيارات للتسلية وقتل الوقت، إلى سمو وزير المواصلات سيف

الإسلام القاسم، الذي دعاني إلى مكتبه للاستفسار عن أسباب طردي لزائري مكتبي، وأن ذلك لا يجوز، وقد يسبب لي شتى المتاعب. قلت لسموه: إن الأوراق التي تحال إليّ تتعلق بشؤون الدولة وأسرارها، وإذا كان سيطلع عليها كل زائر لمكتبي، فمن المسؤول عن الضرر الذي سينتج عن ذلك؟ ثم حاولت إفهامه أن كافة إدارات الدولة اليمنية ترسل لي كل المراسلات التي تستلمها من الخارج، ولذلك تكدست أمامي ثلة من الأوراق والكتب، التي يعجز عن القيام بدرسها والإجابة عليها خمسة من الموظفين، وأعطيته مثالاً على ذلك، ما استلمته صباح ذلك اليوم، أي كتاب من أكثر من ٤٠٠ صفحة عن مستحضرات طبية وأدوية تنتجها إحدى الشركات، وكتاب آخر من أكثر من ٣٠٠ صفحة بعنوان «كيف نعبد الله»؟ تأليف أحد رجال الدين المسيحيين، وكتاب ثالث عن أدوات هندسية وميكانيكية مع عدة رسائل دبلوماسية حولت كلها «للترجمة وإعداد الأجوبة اللازمة، لعرضها على معالي الوزير قبل رفعها إلى المقام الشريف». أكدت لسمو الأمير أن لا مانع لديَّ من استقبال حضرات الزوار وتحويل مكتبي إلى دائرة للتشريفات، إذا تفضل وأصدر لي أوامره الكريمة بذلك، وأن على الدولة أن تجد عدة موظفين آخرين يتقنون لغات أجنبية للاهتمام بالرسائل العديدة، التي تصل للحكومة من الخارج. لم يكن سموه مقتنعاً ولا راضياً عما سمعه مني، كما وإني شعرت بأنني لن أكون مرتاحاً للعمل تحت إشرافه بعد أن لمست تغيراً في معاملته لي.

لقد تبين لي فيما بعد أن سبب المعاكسات التي بدأت ألقاها من بعض الأمراء، هو المديح المتواصل الذي كان يكيله لي وزير الخارجية القاضي راغب إلى جلالة الإمام، وعن أعمالي واجتهادي، ونظراً لأن العلاقات بين هؤلاء والقاضي راغب لم تكن ودِّية فإنهم عمدوا مع آخرين من رجال الحكومة لمعاكستي نكاية بالقاضي راغب في الدرجة الأولى.

بعد وصولي بنحو عشرة أيام أرسلت كتابا إلى القاضي عبدالله العمري، رئيس مجلس الوزراء طالباً موعداً لمقابلته، لأنني أعتبر ذلك واجباً محتماً عليَّ بعد أن قابلت جلالة الإمام والأمراء الوزراء الذين لعملي علاقة بوزاراتهم. أجابني رئيس الوزراء وهو رجل الدولة القوي، أنه كان مسروراً برؤيتي لدى تقديمي لجلالة

الإمام وبما يبلغه عن اجتهادي في عملي، وإنما يخشى أن تكون مقابلتي له ضارة بي، إذ إنها قد تغضب رئيسي المباشر وزير الخارجية القاضي راغب، الذي قد يتعمّد الإساءة إلي. أجبت دولته على الفور أن القاضي راغب هو الذي حثني على طلب مقابلته بصفته رئيس الحكومة، وتساءلت عما إذا كنت موظفاً عند راغب بك أم لدى حكومة جلالة الإمام. وافق القاضي العمري على الزيارة في صباح اليوم التالي، وكان في منتهى اللطف والبشاشة، واعتذر عن التأخر في استقبالي. لقد تبين لي فيما بعد أن لكلٍّ قطب في الدولة رجاله وحوزته يحبون من يحب ويعادون من يعادي، أو بالدارج كان كل منهم «فاتح لحسابه»، وأن ثناء القاضي راغب على عملي وأخلاقي قد سبب لي المشاكل، مما جعلني أشكره على إطرائه ومديحه، وأرجوه أن يكف عن ذلك في المستقبل، فوافق على ذلك بعد أن وصف مبغضيه بما أعف عن ذكره في هذا المقام، ولم تكن لفظة «أدب سز» أقساها.

استدعاني لمقابلة سموّ ولي العهد

يظهر أن الذين شكوني إلى وزير المواصلات فعلوا نفس الشيء لدى سمو ولي العهد سيف الإسلام أحمد، المشرف على إدارات الدولة، والذي يهابه الجميع نظراً لما عرف عنه من شغف بالبطش. ولقد قال لي أحد كبار الموظفين فيما بعد: إن لليمن إمامين كبيرهما في تعز (أي ولي العهد سيف الإسلام أحمد). قابلني سموه ببشاشة ولطف، وأجلسني إلى جانبه، وسألني عن أحوال الأمير شكيب أرسلان وعن الحالة في فلسطين، وعما إذا كان جو اليمن والعمل فيه يناسباني، فشكرت له كريم اهتمامه ووعدته بأن أقوم بأقصى الجهد لإتمام واجباتي على أكمل وجه ممكن إذا لقيت بعض التعاون من المسؤولين. انتفض سموه في مكانه وقال: «أخبرني من يعرقل أعمالك وهل لا تزال تستقبل عدداً وافراً من الزائرين؟». طبعاً لم يكن بإمكاني تسمية من يعرقل أعمالي وهم أقرب الناس إليه، وإنما أكدت له أنه بفضل اعتذاري عن مقابلة من لا عمل لهم معي فقد أصبح باستطاعتي إنجاز أكثر أعمالي اليومية. أوضحت لسموه أنني مسؤول ومؤتمن على سرية المراسلات الأجنبية التي تحوّل إلى مكتبي، وأن عدداً من الزوار كان يقدم على أخذ الرسائل بغية الاطلاع عليها، ولما قمت بمنعهم شكوني لسمو أخيه وزير المواصلات الذي

لامني على تصرفي هذا. ثم رجوت سموه إعادة تأثيث مكتبي حيث الطاولة والكراسي التي خلّفها العثمانيون هي في حالة يرثى لها وملأى بالحشرات الضارة. قاطعني سموه قائلاً: «إعادة تأثيث سيتم حالاً، وسأصدر الأوامر كي يقف جندي أمام باب مكتبك لمنع من لا عمل له لديك من الدخول، وطبعاً لن تمانع في استقبال مدراء المواصلات والبريد إذا جاءوا في مهمات رسمية». أكدت لسموه أنني أرحب بزيارة كل مسؤول، وشكرت الزملاء إذا جاءوا لزيارتي في منزلي للتعرف وعرض خدماتهم علي. كذلك استرعيت انتباه سموّه إلى أن مهمتي الأساسية هي استلام المراسلات الأجنبية من دولية وخاصة، ونقلها إلى العربية، وإعداد الأجوبة عليها توطئة لرفعها إلى المقام الشريف، وإنني منذ وصولي وأنا أستلم مجلدات تتناول منتوجات شركات أجنبية من الأدوية والأدوات الطبية والميكانيكية، وعلى الأخص ما يتعلق بالسيارات إلخ... مما يستغرق ترجمة المجلد الواحد منها شهوراً عديدة، وهذا ليس ضمن حقل اختصاصي، كما وإن الكلمات والتعابير الميكانيكية والتقنية الأجنبية لا مقابل لها في لغتنا العربية، وإنني بالكاد أتمكن من الاهتمام بالمراسلات السياسية، كما وإنني بحاجة إلى عدد من المساعدين كي أقوم بواجبي على الوجه الأفضل. وعد سموه بالعمل على تلبية الممكن من طلباتي وقال إنه قد سمع من جلالة مولانا الإمام أن ما أطلعه عليه من أخبار عالمية ودولية وعربية هو في غاية الفائدة، وإن على المسؤولين الاطلاع على ما يجري في العالم، وطلب مني إعداد نشرة إخبارية يومية تتضمن أهم أحداث وأنباء الساعة، وإرسال نسخاً منها إلى جلالة الإمام وإليه وإلى رئيس الوزراء ولوزير الخارجية. قلت لسموه إنني سأقوم بتنفيذ أمره الكريم وإنني سعيد جداً لكون ما أرفعه إلى جلالة الإمام من أخبار وأحداث يلقى استحسانه، وإنما رجوت سموه وضع حد للمجلدات والكتب الهندسية والطبية والميكانيكية التي أتحف بها للترجمة والإفادة». ضحك سموه وقال: «خير إن شاء الله».

فهمت من سمو ولي العهد أنه بلغه ما سبق وقلته عندما إعتذر القاضي عبدالله العمري رئيس الوزراء عن استقبالي، بحجة عدم إثارة رئيسي المباشر راغب بك بأنني موظف في حكومة جلالة الإمام فقط، وإنه قد أعجب بذلك وشجعني على

الاستمرار في اعتماد هذا الموقف المصيب، وطلب مني إعلامه عن كل معاكسة أو عراقيل قد ألقاها، وإنه لن يتساهل مع فاعليها. بالاختصار كان سموه في غاية اللطف، وعندما جاء الخدم بالقات بعد أن حان وقت المضغ والتخزين، ناولني قليلاً منه فاعتذرت عن مضغه لأسباب صحية، فأكد لي سموه ما سبق وسمعته من أن القات هو «شاي الإسلام»، وأن فيه ميزات طبية مفيدة. ولما كان موضوع القات وكل ما يتعلق به لا يروقني، استأذنت بالانصراف فكرر سموه الترحيب بي في وطني الثاني اليمن، وألح عليَّ بوجوب إطلاعه على أي صعوبات قد ألقاها، وعن أي شيء قد أحتاجه. وختم بوجوب اهتمامي بالنشرة الإخبارية اليومية. فقلت لسموه: «هذه وحدها يا مولاي تحتاج إلى موظف خاص بها». أما كيفية إعداد النشرة والإذن بالاستماع إلى نشرات الراديو الإخبارية فسأوضحها في فصل لاحق.

الوظائف الاضافية

تدريس اللغة الانكليزية

كنت في مقابلتي الأولى لسمو سيف الإسلام أحمد ولي العهد، قد رجوته درس إمكانية تعيين مساعدين لي في فرعي الترجمة والمراسلات الخارجية، وظننت أن طلبي سيلبى في وقت قريب، وقد صعقت لدى استدعائي من قبل سمو وزير المعارف سيف الإسلام عبدالله الذي أطلعني على أمر شريف جديد صادر عن جلالة الإمام، يقضي بوجوب تدريسي اللغة الإنكليزية لساعتين يومياً في دار الأيتام وللصف الزراعي، إضافة إلى ما سبق وأسند إليّ من مهام الترجمة، والإجابة على المراسلات الأجنبية، والاهتمام بالوافدين إلى اليمن من عرب وأجانب، ولإعداد نشَرة إخبارية يومية بما فيه يوم العطلة الرسمية «الجمعة». أجبت سموه أن أوامر جلالة الإمام هي على الرأس، وإنما بدأت أشعر بالإرهاق، وأنني أعمل نحو عشر ساعات في اليوم، وأن ذهابي ليلياً إلى قرب دار السعادة للاستماع للأنباء من محطة باري الإيطالية، ثم العودة لإعداد النشرة الإخبارية وطبعها لتوزيعها صباحاً، تأخذ نحو ثلاث ساعات يومياً، وهذا ما لا طاقة لي عليه ـ أجابني سموه بحزم أن لا مراجعة لأوامر مولانا، وكنت قد تعرفت على سموّه في مكتبه في وزارة المعارف، وشعرت بأنه يتمتع بعطف وإعجاب والده، وأنه أنفذ أولاد الإمام وأقربهم إلى قلبه.

اختاروا لي في بادىء الأمر عدداً من الطلبة المتقدمين في السن وغير الراغبين في تعلم أي لغة أجنبية، فأبدوا سخطهم عليَّ وعلى قدومي إلى اليمن، إذ لولا ذلك لما فرض عليهم ذلك العبء الثقيل في نظرهم، والشيء الوحيد الذي سرني من مهمتي الجديدة هو وجود الطالب اللامع أحمد البراق، الذي كان أحد طلابي في بادىء الأمر، ذلك الشاب المتوقد حماساً وغيرةً ووطنية، مما أدى إلى استشهاده فيما بعد عام ١٩٤٨.

بعد حوالي الثلاثة أسابيع من بدء التدريس في دار الأيتام والدورة الزراعية،

زرت جلالة الإمام في المقام الشريف كالعادة في كل أسبوع، بعد تأدية صلاة الجمعة وحضور استعراض الجيش المظفر سألني جلالته عن مدى تقدم طلاب اللغة الأجنبية في دروسهم، وعن الموعد الذي سيتقنون فيه تلك اللغة الهامة مستشهداً بالمثل القائل «من عرف لغة قوم أمن شرهم». ولا شك أن جلالته كان يقصد شر الإنكليز، الذين ظلوا هاجسه الأكبر حتى تاريخ وفاته. أجبت جلالته أنه لم يمضِ على بدء تدريسي لهذين الصفين اللذين اختارهما سمو وزير المعارف سوى أسبوعين، وبالطبع لا يمكن لأي شخص أن يدعي إتقان أي لغة أجنبية إلا بعد عدة سنوات من الدرس والمطالعة والتدرب على التكلم بها. لم أكد أنهي جوابي هذا حتى انبرى أحد كتبة المقام الشريف مستأذناً بالكلام ومبدياً استغرابه لقولي إن إتقان اللغات الأجنبية يستغرق عدة سنوات قائلاً: إنه قد قرأ إحدى الصحف المصرية أن المغفور له الإمام محمد عبده، الذي لم يكن يعرف كلمة واحدة في اللغة الإفرنسية، تمكن من إتقان تلك اللغة خلال سفره في باخرة إفرنسية بين الإسكندرية ومرسيليا. كان تعليق جلالة الإمام على ذلك منحصراً في ترديد عبارة «ما شاء الله» رغم أنني شعرت أن جلالته وأكثر من ضمَّهم مجلسه لم يكونوا واثقين من صحة هذا الخبر الغريب. طلب مني الإمام إبداء رأيي، فلم أتمكن من إخفاء ابتسامتي فقال: «لربما تستغرب هذا النبأ». أجبت جلالته أن الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده طيب الله ثراه كان ولا شك رجلاً ملهماً وغير عادي، وأنه بإمكان الله جلّ جلاله الإتيان بالعجائب على أيدي الأتقياء الصالحين امثال الشيخ المذكور، وإنما حيث إنني أدرس طلبة ليسوا من عيار أو طراز الشيخ محمد عبده فإنني أكرر ما سبق وقلته من أن إتقان اللغات الأجنبية يحتاج إلى سنوات عدة من الجد والاجتهاد، ثم أضفت بأنه إذا كان القاضي العلامة الذي نقل إلينا هذا الخبر الأعجوبة متأكداً من صحته، فقد يحسن درس إمكانية استئجار باخرة بريطانية لنقل الطلاب من ميناء الحديدة إلى إحدى الموانىء البريطانية، فيعودون إلينا أساتذة في اللغة الانكليزية. ضحك الإمام طويلاً وألح عليَّ بوجوب الاستمرار في التدريس ووعد باستقدام عدد من الأساتذة لمساعدتي في المهمات المسندة إليَّ، وإنه راضٍ جداً عن عملي وبالأخص عن النشرة الإخبارية اليومية التي أعدها والتي يستهل عمله اليومي بمطالعتها.

كما سبق وذكرت لقد ارتأى الإمام إسناد مهمة إضافية إليَّ، ألا وهي الذهاب في كل ليلة وفي تمام الساعة الثامنة مساء إلى مبنى المستشفى القديم في ساحة شرارة، وعلى مقربة من قصري الإمام «دار السعادة» و«دار الشكر»، حيث يوجد جهاز الراديو الوحيد المسموح به لغير الأمراء والنافذين في الدولة والاستماع لمحطة باري الإيطالية التي تبث نشرة إخبارية باللغة العربية. كنت أعود بعد ذلك إلى المنزل الجديد الذي خصص لي وللدكتور أحمد السمان واللواء مصطفى وصفي والدكتور هاشم الحسيني النائب اللبناني حالياً، والأستاذ فوزي عبد الواحد، والواقع على مسافة كيلومتر واحد تقريباً من مكان وجود جهاز الراديو. حاولت طلب شراء جهاز خاص لاستعماله في منزلي ولتوفير عناء السير على الاقدام والوقت أيضاً، وإنما لم يكن ذلك ممكناً لأن اقتناء جهاز كهذا يشغل الناس عن القيام بواجباتهم الدينية، وهذا أمر غير مسموح به للعموم وإن كان مجازاً للكبار ولأصحاب الحظوة.

بعد السماع لنشرة الأخبار، كنت أعود إلى منزلي لإعدادها وطبعها على الآلة الكاتبة التي اصطحبتها معي من لبنان، والتي كانت موضع إعجاب الكثيرين ممن لم يروا مثلها أو يسمعوا عنها من قبل، على نور سراج الكاز الصغير المخصص لي من ضمن شروط استخدامي، وهكذا كان يأخذ سماع وإعداد هذه النشرة نحو ثلاث ساعات يومياً، بما فيها قطع المسافة بين المنزل ومكان جهاز الراديو ليلاً، مما حرمني من الاستمتاع بقضاء السهرات مع الأخوان الذين أسكن وإياهم في نفس البناء المؤلف من طبقات أربع.

الطريف في الأمر هو كيفية إصدار الأمر لي للتوجه إلى دار المستشفى القديم في شرارة للاستماع لنشرة الأخبار. فخلال وجودي في مجلس الإمام في أواسط الأسبوع الثاني لوصولي إلى صنعاء أبلغني جلالته أنه يريدني أن أعد له صباح كل يوم نشرة أخبار مفصلة لأهم أنباء وأحداث الساعة على أن أرسل نسخاً منها إلى بعض الأمراء والوزراء. استدعى جلالته أحد كتاب «المقام الشريف أو المخيم المنصور» كما كان يسمى ديوان جلالته، وأمره بأن يحرر أمراً إلى مدير المستشفى ليأذن «للاستاذ نجيب أبو عز الدين بالدخول إلى غرفة جهاز الراديو للاستماع إلى

نشرة الأنباء العالمية، بين الثامنة والتاسعة من مساء كل يوم، مع العلم أنه يحذر على الأستاذ نجيب الاستماع إلى الموسيقى والطرب الله الله». ثم رفع الأمر إلى جلالته ليوقعه، الكلمتان الله الله في آخر سطر من الأمر الملكي الكريم معناها وجوب المراقبة الشديدة والحذر ثم الحذر من مخالفة هذا الأمر، أي تهديد واضح. ففي ذات يوم تأخر الجندي المعين لمرافقتي ليلاً عن الوصول في الوقت المحدد وقد أنبته على ذلك، وما كان منه إلا أن هددني بأنه سيقول لجلالة الإمام بأنني أحاول سماع الموسيقى والأغاني، مع أن كثرة الواجبات المسندة لي لم تكن تسمح لي بمجرد التفكير بسماع الموسيقى.

استدعاني جلالة الإمام ذات يوم، وبعد أن أبدى ارتياحه، كما في كل مناسبة لنشرتي الإخبارية، والتي تشمل حسب رأيه ورأي أصحاب السمو والمعالي موجزاً مفيداً لأهم الأنباء العالمية، لامني لعدم ذكر نبأ الحادث المؤسف الذي جرى لأحد الأمراء العرب، الذي سرت الإشاعات عن سقوطه من على صهوة جواده، مما استدعى إدخاله المستشفى، وأن هذا الخبر انتشر في صنعاء، وأنه كان علي إعلامه بذلك كي يبادر بالإبراق للاستفسار عن حالة سمو الأمير، والدعاء له بالشفاء العاجل. أكدت لجلالته أن محطة باري لم تذكر شيئاً عن ذلك، وأنني لا أعتمد على أخبار السوق الذي نادراً ما أخرج إليه، ولا أثق بما ينشره رواده من أخبار ملفقة أو مجسمة، وإنني لا أضمن نشرتي سوى الأخبار الموثوق بصحتها وبمصدرها. أبرق جلالته إلى وكيله التجاري في عدن للاستفسار عن مدى نصيب هذا النبأ من الصحة، فوصله الجواب بأنه مختلق ولا أساس له من الصحة.

كنت آنئذ قد بدأت أشعر بالإرهاق من جراء عملي المتزايد دوماً، وبالألم في عيوني بسبب استعمال سراج الكاز الصغير، كما وإن لسعات حشرات مدينة العبيد كانت قد بدأت تأتي مفعولها وتبرهن عن أصالتها، فأصبت بالملاريا ولزمت الفراش لمدة أسبوعين كنت خلالهما موضع اهتمام الصديقين الكريمين الطبيبين السمان والحسيني. زارني القاضي راغب مراراً مستفسراً عن صحتي وملحاً عليَّ بوجوب الإخلاد إلى الراحة التامة، وعدم الإسراع في العودة إلى العمل طالما أن التقدير شبه معدوم، إذ لم يستنسب أحد من الرؤساء مجرد السؤال عني أو استفقادي،

وجل ما بلغني أن جلالة الإمـام وبعض الأمراء يفتقـدون نشرتي الإخبـارية اليـومية، ويهمُّهم معرفة متى سأعود لمـزاولة عملي. أمـا سموّ الأميـر أحمد ولي العهـد فكان أكثرهم عطفـاً وتقديـراً لدى اعتـرافه أمـام سكرتيـره الخاص بـأن مرضي نـاجم عن الإرهاق وعن المهام الإضافية التي تسند إليَّ باستمـرار، وأنه يـريدني أن أقـابله فور شفائي.

بعـد استعادتي بعض عـافيتي ونشـاطي، وتلبيـةً لأوامـر سمـو سيف الإسـلام أحمـد، توجهت لمقـابلته وكلي تفـاؤل وآمـال بـأن حـالـة وشـروط عملي ستتحسن وستخف المعاكسات والوشايات ضدي، فهنأني على شفائي مكرراً تقديره لإجتهادي وعلى الأخص النشرة الإخبارية، التي كان قد ذاع صيتها في صنعـاء، ثم طلب مني إطلاعه على ما ألاقيه من صعوبات، وما لديَّ من مطالب للاستمـرار في العمل، إذ كان قد بلغه بأنني أنوي تقديم استقالتي مما أثار اهتمامه.

أفهمت سمـوه بـأنـه لن يكـون في استـطاعتي الاستمـرار في تـدريس اللغـة الإنكليـزية، ولا في تـرجمة الكتب الـطبية والهنـدسية وغيـرها من مـواد الدعـايـات التجارية، وأن اختصاصي هو المـراسلات الأجنبيـة واستقبال الشخصيـات الرسميـة الزائرة، وهنا قاطعني سموه قائلاً: «ونشرة الأخبار» طبعاً، فأكدت له ذلك طـالما أن سموه راضٍ عنها. كـذلك بحثت معـه بخصوص المعـاش الضئيل المخصص لي، والـذي بإمكـاني الحصول عليـه في وطني وبين أهلي، فأكـد لي أنه سيعقـد جلسة خـاصة مـع جلالـة الإمام لإقنـاعـه بـوجـوب تحسين ظـروف عملي وزيـادة مـرتبي واستحضار مدرسين ومساعدين لي كي يهتموا بتدريس اللغات الأجنبية، وبخصوص ما بلغه عن تفكيري بالاستقـالة، قـال سموه ضـاحكاً «بـإمكـانـك ترك العمـل لتكون مؤهلاً لدخول السجن» فأجبته قائلاً: «حاشا على سموك أن تأمر بسجن من يعمل ما يزيد عن العشـر ساعـات بأمـانة وإخـلاص، ومن لـم يقترف جـرماً يستحق العقـاب عليه». جوابه كان «ولهذا ستبقى في عملك»!

لم أستبشر بما وعدني به لعلمي بأن بعض الأمراء الذين لم يرقني تعاليهم لن يوافقوا على تحسين شروط عملي.

بلغ اهتمام جلالة الإمام بالنشرة الإخبارية اليومية حداً جعله يستدعيني للاستفسار وطلب المزيد من المعلومات عن بعض نقاط كانت ترد فيها، وكنت أصطحب معي أحياناً الخرائط الجغرافية لأوضح لجلالته موقع البلد المتعلق بالنبأ الذي يستوضحني بشأنه، وأذكر أنه قال لي ذات يوم: «إنك متضايق من التدريس وترجمة الكتب، فعسى ألا تتضايق أيضاً من كثرة سؤالاتنا واستفساراتنا عما تتضمنه نشرتك الإخبارية». فأكدت لجلالته أن القيام بهذه المهمة هو مبعث فخر وسعادة لي، وكم كنت أود الاستفاضة في التعليق على الأنباء العالمية لو سمح لي الوقت، ولو أمكن تخصيص الساعتين اللتين أصرفهما يومياً في تدريس طلبة لا رغبة لأكثرهم في تعلم لغات أجنبية في التعمق بدرس أهم شؤون الساعة.

أراد جلالته استيضاحي أيضاً عن كيفية إعدادي للنشرة، وخصوصاً كتابتها على الآلة الكاتبة، وإخراج عدة نسخ عنها فشرحت له ذلك وقلت: «كل هذا أفعله يا مولاي على ضوء قنديل كاز صغير سيؤثر ولا شك على بصري في المستقبل». كانت الآلة الكاتبة شبه مجهولة في اليمن وقد أخبرني آنئذ سيف الإسلام الحسين أنه كان قد اشترى واحدة من القاهرة منذ سنوات، وأن الصدأ قد أكلها نظراً لعدم وجود من يحسن الكتابة عليها. طلب مني جلالته أن أحضر إلى مقامه الشريف في اليوم التالي ومعي تلك الآلة العجيبة، ففعلت وفتحت الماكينة أمامه ثم جهزت ستة أوراق وضعت، بين كل اثنتين منها، ورقة كاربون للاستحصال على عدة نسخ وكتبت وأنا جاثم على منكبي أمام جلالته وعيوني محدقة به ما يلي:

«جلالة مولانا الإمام يحيى بن محمد حميد الدين أمير المؤمنين ـ ملك اليمن المعظم» ولم تستغرق العملية أكثر من خمس ثوانٍ. لا يمكنني وصف دهشة جلالته والحاضرين في مجلسه أولاً من الكتابة بدون النظر إلى الحروف، وثانياً إخراج خمسة نسخ دفعة واحدة. سلمت هذه الأوراق إلى جلالته فوزعها على الحاضرين لرؤيتها لأن جلالته، رغم أنه كان يطالع النشرة الإخبارية يومياً، إنما لم يكن قد رأى الماكينة الكاتبة. سمح جلالته للحاضرين بتوجيه الأسئلة إليَّ، فسألني أحدهم كيف أستطيع الكتابة دون النظر إلى الحروف، فأجبته أن ذلك جاء نتيجة تدريب وتمرين

عدة شهور. سألني آخر عن كيفية طبع ستة نسخ دفعة واحدة، فأجبته أن الفضل في ذلك يعود إلى ورق الكربون، ووضعت واحدة بين يديه وشرحت له كيفية استعمالها، انتقد أحدهم صغر حجم الحروف رغم جمالها ووضوحها وسألني إذا لم يكن باستطاعتي تكبير هذه الحروف كي تصبح قراءتها أكثر سهولة كما في جهاز الراديو، الذى يمكن معه رفع الصوت وخفضه طبقاً لإرادة المستمع، فأجبته أن ماكينتي هي من الحجم الصغير، وحروفها متفق على حجمها بين المصانع التي تنتجها، وأن هذه المصانع قد تفكر في إنتاج ماكينات ذات حروف أكبر في المستقبل، كما سألني آخر عن كيفية تزويد الماكينة بالمداد، فأريته الشريط الكائن وراء الحروف، والتي يزودها بالمداد اللازم للورقة الأولى، وأن الأوراق والنسخ الأخرى فتستمد مدادها من ورق الكربون.

بالاختصار كان الإعجاب بالماكينة الكاتبة شديداً لدى جلالته، الذي كان يردد عبارات «عجيب عجيب، ما شاء الله». حمدت الله أن ماكينتي الكاتبة قد رفعت معنوياتي لدى جلالته بعد الخيبة التي انتابتني يوم سقوطي من على جوادي على مرأى من جلالته أمام مدخل الجامع الكبير عندما قال لي: «أنت يا أستاذ نجيب فارس الماكينة الكاتبة وليس فارس الجواد».

بلغ إعجاب جلالته بهذه الماكينة الكاتبة حداً جعله يأمر مدير الخزينة بوجوب الإسراع في شرائها بعد التحري عن قيمتها وهكذا كان. لدى انتهائي من العرض الذي قمت به بناء على طلب جلالته، تقدمت منه لتقبيل أياديه وللاستئذان بالعودة إلى مكتبي لإنهاء باقي أعمالي، فشكرني على الشرح المفيد الذي قدمته عن عدة أمور، وأكد لي أن سمو ولي العهد سيف الإسلام أحمد، قد راجعه بخصوصي وأنهما متفقان على وجوب استخدام عدة شباب عرب لمساعدتي في أعمالي في لمستقبل القريب، كي أتفرغ لعملي الرئيسي في وزارة الخارجية وللاهتمام باستقبال الوفود العربية والأجنبية الزائرة وبراحتها خلال إقامتها في ضيافة الحكومة، كما وأنه ألمح إليّ اقتناعه بوجوب تعديل شروط استخدامي بعد أن أضافوا عدة مهمات ووظائف إليها. ونتيجة لمراجعات عدة من وزير الخارجية القاضي راغب، ومن سمو ولي العهد أصدر جلالة الإمام أمره إلى المالية لزيادة معاشي زيادة طفيفة

شهرياً بعد أن حرص على إضافة مهمة جديدة لي ألا وهي تدريب طلبة دار الأيتام على الأناشيد الوطنية، فاعتذرت عن قبولها لكوني غير ملم بفن الغناء والموسيقى، وأن صوتي لا يسر أحداً سماعه بمن فيهم أنا بالذات، وقد رجوت جلالته إلغاء الزيادة والمهمة الفنية الجديدة معاً، ورفع هذا الكابوس الجديد عن كاهلي. كما وأنني أطلعت وزير الخارجية بأنني أود الاستقالة فور وصوله من يمكنه أخذ مكاني، ورجوته إبلاغ ذلك إلى جلالة الإمام.

صلاة الجمعة - الجواد الأصيل يسقط فارسه
العرض العسكري وعرض الزواج

صلاة الجمعة

أمر جلالة الإمام بعد أن قدَّمني وزير الخارجية القاضي راغب إلى جلالته في مصيفه في الروضة، بتعيين جندي لمرافقتي وحراستي وبجوادٍ عربيٍّ أصيلٍ لتنقلاتي.

كان عليَّ وعلى رفيقي الدكتور السمّان تأدية صلاة الجمعة في جامع صنعاء الكبير، ثم الانضمام إلى موكب جلالة الإمام في طريق عودته من المسجد الكبير إلى مقره في دار السعادة، حيث يجلس في مقصورته الخاصة المطلة على الساحة التي يجري فيها العرض العسكري الأسبوعي بعد الصلاة. يستقل جلالة الإمام عربته التي تجرها أربعة من الخيول المطهمة من أمام قصره في دار السعادة، فيجلس في وسط المقعد الخلفي ويجلس أمامه وباتجاهه اثنان من أبنائه، أو أحفاده، كما يقف جنديان وراء المقعد الخلفي للحراسة، ويرتدي الجميع أبهى الملابس والحلل.

يتقدم الموكب الإمامي رجال العكفة (الحرس الملكي)، بألبستهم المنيلة البراقة، ويسيرون متشابكي الأيدي بخطوات موسيقية منشدين المدائح والأهازيج القبلية (الزامل)، في مديح الإمام أمير المؤمنين، ويتبعه كبار رجال الدولة على

خيولهم لتأدية فريضة صلاة الجمعة بمعيته. ففي الجامع الكبير باب خاص لدخول وخروج جلالة الإمام وهو كناية عن باب ملكي.

بعد تأدية الصلاة يعود جلالته في موكبه الرسمي إلى مقصورة الاستعراض أمام دار السعادة، وتتبعه فصائل من الجيش المظفر. فلدى خروج جلالته من باب المسجد ودخوله عربته صدحت موسيقى الجيش بأنغامها العثمانية القديمة، بينما كنت أنا وصديقي الدكتور السمان نحاول امتطاء صهوتي جوادينا استعداداً للانضمام إلى مؤخرة الموكب الإمامي، وما كدت أمسك اللجام حتى بدأ حصاني، الذي أدخلت الأنغام الموسيقية الصاخبة النشوة إليه، بالقفز ورفع رجليه الأماميتين، ظناً منه أن فارسه الجديد الذي لم يألف ركوب الخيل من قبل، هو من أقران فارسه الأول الذي اشتهر بفروسيته كما قيل لي. جرى ذلك وعربة جلالة الإمام تمرّ على مقربة من الموقع الذي سقطت فيه وأصبت ببعض الجروح، ولدى مشاهدة جلالته ذلك الحادث المضحكِ والمؤسف معاً، أمر السائق بالوقوف فاقتربت من جلالته وشكرت كريم عطفه، فطلب من الدكتور السمان الاهتمام بي وتضميد جراحي، فيما كان جوادي لا يزال يقوم بحركاته البهلوانية قبل تمكن الجنود من الإمساك به.



المؤلف مع الجندي والسائس

لم أتمكن من الانضمام إلى موكب جلالة الإمام ولا من حضور الاستعراض العسكري في ذلك اليوم، إذ عدت مع الدكتور إلى منزلنا حيث جرى تضميد جراحي، وقد شعرت بالخجل خصوصاً وأن سقوطي من على جوادي حصل على مرأى من جلالته ومن المصلّين، الذين كانوا يجهلون اسم وهوية الفارس الجديد. ولا أزال أذكر أنه عندما قابلت جلالته في الأسبوع التالي وبعد الاستعراض، أنه خاطبني قائلاً: «وكيف حال الفارس»؟

كما سبق وذكرت يعود جلالة الإمام بعد تأدية صلاة الجمعة في جامع صنعاء الكبير إلى دار السعادة في موكب رسمي تتقدمه العكفة (الحرس الخاص)، بأهازيجها المألوفة (الزامل)، والتي يصعب على غير اليمنيين فهم كلمة منها، ثم يدخل مقصورة القصر المطلة على الساحة الإمامية التي يجري فيها العرض، فيجلس على مقعد مرتفع ويبدأ بتلاوة ما تيسر من الآيات البينات ومن الابتهالات، لينصر الله جيشه ويحفظ بلاده من كيد الأعداء، ويقف إلى جانبه من حضر من سيوف الإسلام وكبار رجال الدولة ووجهاء العاصمة. يتقدم قائد العرض ممتطياً جواده إلى أمام المقصورة الإمامية وبعد تأدية التحية العسكرية يستأذن جلالته للبدء في العرض.

يبدأ العرض العسكري هذا بأنغام الموسيقى العسكرية، ثم يتوالى مرور فرق الجيش المشتركة يتقدمها قادتها على الجياد أو البغال بنسبة أهميتهم، وأمامهم حاملو علم اليمن الأحمر اللون. يؤدي هؤلاء الضباط التحية العسكرية بالسيوف لدى مرورهم أمام المقصورة الملكية، بينما يكتفي الجنود بإدارة وجوههم باتجاه المقصورة هذه، يتبع فرقة حملة الأعلام الحرس الخاص (العكفة)، ثم مجموعات دار الأيتام، ثم المشاة والفرسان، ثم فرق المدفعية الرشاشة والجبلية تجرها الجياد والبغال.

يشاهد هذا العرض الأسبوعي عدد كبير من أهالي صنعاء وعلى الأخص زوار العاصمة من عرب وأجانب، الذين يحاولون أخذ الصور الفوتوغرافية للوحدات المارة أمامهم، وطبعاً يتلافون تصويب عدساتهم الفوتوغرافية باتجاه المقصورة الملكية لكون ذلك محرماً.

إن سقوطي عن ظهر جوادي في الأسبوع الماضي، حرمني من مشاهدة العرض الذي حرصت على حضوره في الأسبوع التالي برفقة الدكتور السمان، حيث سمح لنا بالوقوف ونحن ممتطين خيولنا أمام المنصة الملكية، لكوننا موظفين في الدولة وضيوف اليمن. كان أشد ما استرعى انتباهي هو سير بعض الجنود وهم

حفاة وبملابس منوعة وغير نظيفة، وما آلمني أكثر هو ارتداء عدد قليل من الضباط معاطف فضفاضة قديمة اشتروها من تجار الألبسة المستعملة في عدن، لا يزال مكتوباً عليها باحرف بارزة ذهبية أو فضية اللون اسم الفندق الذي كان يرتديها حجابه، مثل فندق «كارلتون» و«رويال» و«دورشستر» إلخ في لندن. قد يكون منظر كهذا ولا شك مضحكاً للمشاهدين الأجانب، الذين لربما تساءلوا عن علاقة معاطف حرس الفنادق البريطانية بالجيش اليمني المظفر وضباطه، شاركني في شعوري وألمي الصديق الدكتور السمان، الذي كان يشغل وظيفة طبيب الجيش، وقد بحثنا الأمر مع كبار مساعدي أمير الجيش ورجوناهم وضع حد لهكذا مهازل مؤلمة تسيء إلى سمعتنا في الخارج وتجعلنا عرضة للسخرية.

عرض الزواج

خلال الشهر الأول من وصولي إلى صنعاء، زارني العديدون من موظفي وزارتي المواصلات والمالية من يمنيين وأتراك، الذين تقع مكاتبهم على مقربة من مكتبي، بقصد التعرف وعرض خدماتهم علي. كانوا بالفعل في منتهى اللطف، وإنما ترددهم المستمر هذا كان يأخذ الكثير من وقتي، مما اضطرني كما سبق وذكرت رجاء سمو ولي العهد بإصدار الأمر بعدم السماح لأحد بدخول مكتبي إلا لعمل رسمي، وهذا ما حمل البعض على انتقادي، بحجة أن القصد من زياراتهم لي هو لتسليتي، في حين كان لديَّ من الأعمال ما يسليني طيلة النهار وحتى ساعة متأخرة من الليل.

كان أول سؤال يطرحونه عليَّ هو «هل أنت متزوج؟» وشد ما كان استغرابهم لدى علمهم بأنني لا أزال عازباً، وأنني سأظل كذلك حتى عودتي إلى بلدي. كان أكثرهم يشرح لي فوائد الزواج الباكر وضرورة الزواج في بلد كاليمن، وعلى الأخص للغريب الذي لا أقارب ولا معارف له، إذ إن الزوجة تنسيه آلام الغربة، وتجهز له الطعام الشهي، وترتب له المنزل إلخ. كنت أشكر لهم نصائحهم الغالية وأحاول إقناعهم بأن الزواج من خارج بلادي ليس وارداً إطلاقاً لدي، وإن اتفاقية استخدامي في الحكومة اليمنية هي لسنة واحدة فقط، سأعود بعدها إلى وطني، وقد أفكر عندئذ في موضوع الزواج.

جاءني في أحد الأيام موظف كبير في إدارة البريد ليؤكد لي أنه من صالحي التفكير جدياً بالزواج، وأنه إذا قررت ذلك فإنه يضع خدماته تحت تصرفي، ويبحث لي عن فتاة جميلة ومن عائلة محترمة، ولفت نظري إلى أن اليمنيين قد يسيؤون الظن بي ويوجهون لي الاتهامات المؤلمة إذا بقيت عازباً، إذ إن بعضهم لن يصدق بأنني رجل شريف وعفيف، وأن أكثرهم لا يمكن أن يتصور بأن رجلاً مثلي وبسني، يمكن أن يستغني عن النساء، وأنه يدرك أن جلالة الإمام يحبذ فكرة زواجي، وأنه مستعد لدفع كافة النفقات لأنه يريد إبقائي في اليمن.

راعني سماع أقوال هذا الرجل المسؤول، وعلى الأخص ما زعمه بأن جلالة الإمام مهتم بذلك، وبكل هدوء ورزانة أكدت له بأنني لن أتزوج إلا في بلدي، ورجوته وجميع المهتمين بهذا الأمر، أن يتفضلوا بعدم التدخل في حياتي الخاصة، وأنني واثق من سلوكي وعفتي ولدى جلالة الإمام رقيب دائم عليَّ هو الجندي الذي لا يفارقني إلا لدى دخولي غرفة نومي، والذي يرافقني كخيالي في كافة غدواتي وزياراتي. ثم إن عقد خدمتي لا ينص على إلزامي بالزواج، وإلا لما كنت قدمت إلى اليمن. أضفت أنه إذا كان جلالة الإمام قد كلفك ببحث هذا الموضوع الشخصي معي، فأرجو رفع شكري إلى جلالته على كريم اهتمامه بي، وإعلامه بأن ظروفاً خاصة تمنعني من التفكير بالزواج، وأن تلك الظروف تحتم عودتي إلى وطني لبنان فور انتهاء مدة عقد استخدامي، وأنه إذا كان الزواج محتم على الموظف في اليمن، فإنني آسف لعدم إبلاغي ذلك قبل قدومي، وإنني على كل حال مستعد للاستقالة إذا لم يرفع هذا الكابوس نهائياً عن صدري. وإنني أحمد الله على امتناع الأصدقاء الغيورين عن مفاتحتي في هذا الموضوع بعد ذلك.

وصول بعثات دبلوماسية وسياسية إلى صنعاء

بعثة فرنسية دبلوماسية في صنعاء

وصلت إلى صنعاء في أول فبراير سنة ١٩٣٧ بعثة فرنسية رسمية برئاسة السيد «ميغريه»، وزير فرنسا المفوض في المملكة العربية السعودية، يرافقه الأميرال «فرنييه» وعشرة ضباط بحريين، على ظهر مدمرة فرنسية رست في ميناء الحديدة. كان الهدف من هذه الزيارة الحصول على توقيع حكومة جلالة ملك اليمن على المعاهدة المعقودة بين البلدين في شهر إبريل سنة ١٩٣٦، بعد توقيعها من الحكومة الفرنسية، والقاضية بتدعيم الصداقة والتبادل التجاري بين البلدين. نزلت البعثة في دار الضيافة المركزي في ميدان شرارة في بئر العزب.

لم يتمكن الإمام من مقابلة البعثة إلا في الرابع من فبراير، نظراً لانحراف صحته مما مكنهم من القيام بعدة جولات داخل مدينة صنعاء وفي جوارها. وصلت البعثة إلى ديوان جلالته في المقام الشريف في الساعة العاشرة صباحاً، فجرى لها استقبال رسمي، وأخذت لها ثلة من الجيش اليمني التحية العسكرية، وكان وزير الخارجية القاضي راغب وأنا، في استقبالها على مدخل بناء الديوان الملكي، ورافقناها إلى داخل الديوان. دخل الإمام قاعة الاستقبال ووقف في وسطها، يحيط به عدد من الأمراء، والقاضي عبدالله العمري رئيس مجلس الوزراء، وضابطان من الحرس الإمامي. قدّم القاضي راغب إلى جلالته رئيس وأفراد البعثة، وبعد أن صافحهم جميعاً أخذ مكانه على منصته المغطاة بالطنافس والسجاد، وأذن لضيوفه بالجلوس. كان البروتوكول الذي يعتمده الإمام في استقبال البعثات والشخصيات

الأجنبيـة، يقضي بأن يـدخل قـاعة الاستقبـال بعد الضيـوف ويغادرهـا قبلهم كي لا يضطر للوقوف لهم.

بعد ترحيب جلالة الإمام بالبعثة والسؤال عن صحة فخـامة رئيس الجمهـورية الفرنسية، وكيل المديح والثناء للسياسة الودِّية والحكيمة التي تتبعها حكـومة الـدولة الفرنسية الصديقة، وقف رئيس البعثة المسيو «ميغريه» وتـلا كلمة أشـاد بها بحكمـة جلالة الإمام وبسياسة عدم الانحيـاز التي يلتزمهـا في علاقـاته مـع الدول الغـربية، وبـالأمن والهدوء اللذين تنعم بهمـا الدولـة اليمنية في ظـل حكمه الـرشيد، وأبـدى استعداد بلاده لتقديم كل مساعدة ممكنة إلى دولة اليمن الصديقة في حقـول التجارة والثقافة والعمران، ثم قدم إلى جلالة الإمام نسخة المعاهدة الموقعة والمصـدقة من الحكومة الفرنسية والموضوعة داخل غلاف معدني مذهب، واستلم بدوره من جلالة الإمام النسخة الممضية من حكومة اليمن.

بعد تناول البعثة للمرطبـات وقف جلالـة الإمام وودع زائـريه الـذين استأذنـوا للسفر في صباح اليوم التالي، فتمنى لهم جلالته سفراً سعيداً، وكلفهم إبلاغ فخامة الرئيس الفرنسي تحياته وتمنياته، وغادر القاعـة مع حـاشيته، وعـادت البعثة إلى دار الضيافة للاستعداد للسفـر بعد أن قـدم لهم جلالتـه هدايـا من البن اليمني الفاخـر، وهي الهدية اليمنية التقليدية.

ممـا استـرعى انتبـاهي ودهشتي، ولـربمـا استغـراب أفـراد البعثـة الفـرنسيـة نفسهم، هو إقدام جلالة الإمام على وضع الغلاف المعدني المذهب تحت سجادة المرتبة التي يجلس عليها. فبعد أن رافقت البعثة حتى دار الضيافة عدت إلى مقابلة وزير الخارجية القاضي راغب للبحث معه في النقاط التي يجب أن يتضمنها تقريري عن هذه الزيارة، والذي يلزم تقـديمه إلى الإمـام، بادرني بـالسؤال عما إذا كـان قد استرعى انتباهي أي شيء خـلال استقبال جـلالته للبعثـة، فابتسمت ولم أجبـه على سؤاله، فما كان منه إلا أن صاح قائلاً: «هل يجوز أن يخبىء جلالة ملك عظيم مثل الإمام، معاهدة تحت مقعده لكونها داخل غلاف مـذهب، وأمام بعثـة أجنبية عـالية الشأن، وكأنه يبرهن لها عن خشيته من قيام أحدنـا بسرقـة المغلف الذهبي هـذا؟!»

ثم نظر إليَّ قائلاً: «إذا احتجت يا ولدي لمراجعة هذه المعاهدة في المستقبل فما عليك إلا الذهاب إلى المقام الشريف والتماس جلالته بأن يرفع رجله الكريمة، كي تتمكن من سحب الغلاف المذهب للاطلاع على المعاهدة، ثم إعادتها إلى قواعدها سالمة مع غلافها الذهبي طبعاً!».

كرسي العرش

لاحظت خلال زيارة البعثة الدبلوماسية الفرنسية لجلالة الإمام في ٥ فبراير سنة ١٩٣٧، ثم البعثة الإيطالية في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٧ أن أفرادها كانوا يجلسون على مقاعد أكثر ارتفاعاً من الأريكة التي يجلس عليها جلالة الإمام والمكوّنة من فراشين مغطيين بالسجاد، فكان عليه لدى مخاطبتهم وهو قصير القامة أن ينظر إليهم إلى الأعلى، فتأثرت من ذلك المنظر لاعتقادي أن مقعد الإمام يجب أن يكون على مستوى أرفع من مقاعد البعثات الزائرة.

استرعيت انتباه القاضي راغب وزير الخارجية لذلك، فأبدى موافقته التامة على ما اقترحته، وإنه قد سبق له وبحث ذلك مع جلالة الإمام الذي كان في كل مرة ينفر من لفظة «كرسي العرش»، بحجة أن العرش هو لله وحده سبحانه وتعالى، وإنه على الأئمة تجنب مظاهر الأبهة والشموخ. وعد القاضي راغب بناء على إلحاحي بمراجعة جلالته مرة أخرى بالأمر، وطلب مني إعداد مذكرة موجزة عن اقتراحي. أعددت التقرير وسلمته إلى القاضي الذي سلمه بدوره إلى الإمام الذي حسبما فهمت فيما بعد، حبذ الفكرة قائلاً: «لا بأس من درس الموضوع بدقة ووضع تصميم لكرسي الدولة». وكنت قد تجنبت ذكر (كرسي العرش) واستعضت عنها (بكرسي الدولة).

ففي الأسبوع التالي وبينما كنت أقوم مع رفاقي الأطباء بزيارة جلالته الأسبوعية التقليدية، عقب صلاة الجمعة، والاستعراض العسكري الذي يليها، سألني وأنا أهمّ للسلام عليه، عما وصل إليه مشروع «كرسي الدولة». أجبته بأنني أنتظر أوامره، فبادر إلى الطلب من سكرتيره الأول القاضي عبد الكريم المطهر بإعداد أمر إلى الأمير صمصام: كبير عبيد الإمام المحررين، ومدير الورشة

(الأشغال)، بأن يجمعني بالمهندسين الإيطاليين لوضع تصميم مناسب «لكرسي الدولة»، ويلح عليه بوجوب الإسراع في ذلك. سلمني جلالته الأمر في نهاية الزيارة وطلب مني الاتصال بالأمير صمصام، الذي كان يحسده الوزراء على ما يتمتع به من نفوذ واسع لدى جلالة الإمام.

زرت الأمير صمصام في اليوم التالي وسلمته الأمر الشريف، وشرحت له القصد من اقتراحي الذي سره كثيراً لكونه صاحب الحظوة في الوقوف وراء المقعد الإمامي، ورفع السيف الإمامي الذهبي خلال حفلات استقبال البعثات الأجنبية وفي الأعياد. استدعى صمصام المهندسين الإيطاليين إلى مكتبه وتفاهمت معهم على ما يجب عمله فوعدوا بوضع التصميم المطلوب خلال أسبوع، عندما وقفت للانصراف أخبرني الأمير صمصام أنه سيمر على مكتبي في الغد ليريني كرسياً فخماً يليق بجلوس جلالة الإمام والذي تعجز إدارة الأشغال عن صنع مثله...

في اليوم التالي مرَّ عليَّ صمصام ورافقني إلى المستودعات الملكية في الطوابق السفلى من قصر السعادة، التي تحوي ما هبَّ ودبَّ من كافة أنواع الهدايا التي يتلقاها جلالة الإمام، ابتداء من الأبقار والأغنام حتى أفخر التحف والمفروشات والأواني الفضية والخزفية، التي تصله كهدايا من رؤوساء الدول والوزراء والسفراء إلخ... وقف الأمير صمصام في إحدى الزوايا ورفع الغطاء عن كرسي مرتفع خيل إليه أنها عين المطلوب لكرسي الدولة، لأن الجلوس عليها مريح للغاية، وأن من مزاياها العجيبة إمكانية الدوران بحيث يستطيع جلالة الإمام رؤية ومحادثة جميع زائريه دون عناء. قلت لصمصام: إن هذه الكرسي مخصصة لعيادة أطباء الأسنان، فقاطعني قائلاً: إن جلالته استحضرها عندما حضر أحد أطباء الأسنان الأجانب لمعالجة أسنانه. سألته إذا كان يرى من اللائق إجلاس إمام البلاد وملكها على هكذا كرسي؟. قلت له: «ألا ترى المبصقة وآلة حفر الأسنان وغيرها من أجزاء ملصقة بها، والتي لا علاقة لها بكرسي الجلوس؟» أجابني إنه بالإمكان فصل تلك الأجزاء التي لا حاجة لها. رجوت الأمير صمصام صرف النظر نهائياً عن فكرته حفاظاً على سمعة وكرامة الإمام، وتمكنت من إقناعه، وإنما على مضض منه.

وضع المهندسان الإيطاليـان التصميم المطلوب (لكـرسي الدولـة) التي وافق عليها جلالته، بحضور القاضيين عبدالله العمري رئيس الوزراء ومحمـد راغب وزير الخارجية وأمر ببدء العمل فيها.

غـادرت صنعاء قبـل الانتهاء من صنـع هذه الكـرسي الإماميـة، التي لم يقـع نظري عليها إلا بعد ١٢ عاماً، عندما استدعـاني جلالـة الإمام أحمـد إلى تعز عقب اغتيال والده الإمام يحيى، وأصر على بقـائي في تعز ولـو لمدة قصيـرة، لأنني كنت آنذاك أستعد لإجراء عملية جراحية.

وصول الوفد العراقي لإجراء مفاوضات حول إمكانية إقامة حلف اتحادي عربي

في ١٦ أبريل سنة ١٩٣٧، وصل الوفد العراقي برئاسة دولـة جميل المدفعي رئيس الوزراء العراقي الأسبق، وعضوية السادة سعيد الحاج ثابت، الـوطني العربي المعروف، والسيدان محمد مهدي كبة وعبدالله رشيـد، لبحث إمكانيـة إقامـة حلف اتحادي عربي. قمت باستقبال الوفد المذكور ومعي أحد ضباط المقام الشريف نيابة عن القاضي محمد راغب وزير الخارجية المريض.

زار الوفد جلالة الإمام في المقام الشريف في ٢٠ أبريل فجرى لهم استقبـال حـافل، ورحب بهم الإمـام أجمل تـرحيب، وبعد أن قـاموا بـإطلاع جـلالتـه على تفاصيل مهمتهم، طلب منهم المبادرة للاجتماع بالفريق اليمني المفاوض ابتداء من الغـد، ودعا للوفـدين بالتـوفيق فيما يعـود على الأمة العـربية ودنيـا الإسلام بـالخير والعـزة والتضامن، كمـا اعتذر عن غيـاب القاضي راغب، بـداعي المـرض. قـدم السيد جميل المدفعي إلى الإمام في نهاية اللقاء مدفعين لمقاومة الطائرات من نوع «فكرز»، وقد سبب لي هذان المدفعان مشاكل عدة فيما بعد، نظراً لعدم وجود من يدرك كيفية استعمالهما بين ضباط الجيش اليمني آنئذٍ.



المؤلف مع الوفد العراقي
في صنعاء عام ١٩٣٧



ويبدو النائب اللبناني الدكتور هاشم الحسيني



الوفد العراقي ويبدو كل من:

١ ـ السيد علي بن إبراهيم أمير الجيش
٢ ـ القاضي عبد الله العمري رئيس الوزراء
٣ ـ فخامة جميل المدفعي
٤ ـ محمد مهدي كبّة
٥ ـ مصطفى باشا وصفي
٦ ـ القاضي عبد الكريم المطهّر (سكرتير الإمام)
٧ ـ سعيد بك ثابت
٨ ـ القاضي راغب بك
٩ ـ سكرتير الوفد العراقي
١٠ ـ زكي كرام

تـوالت اجتماعـات الوفـدين المتفـاوضين بين ٢١ و٢٧ أبـريـل سنـة ١٩٣٧، عندما توصلا إلى اتفاق مبدئي حول وجوب قيام الوحدة العربية.

عقب انتهـاء المفاوضـات الرسميـة قام الـوفد العـراقي بـزيـارة بعض الأمـراء والـوزراء، وكان عليَّ مـرافقتهم. وفي اليوم الأخيـر من إقـامتهم في صنعـاء، أقـام جلالة الإمام حفلة غداء على شـرفهم في قصره الصيفي في الـروضة. غـادر الوفـد صنعـاء في ٣٠ أبريـل سنة ١٩٣٧ بعـد حضـور حفلة التـوقيـع على اتفـاقيـة حلف لـلاتحاد العـربي، وقد حضـر القاضي راغب حفلة التـوقيع، وهكـذا تم شفاؤه فـور انتهاء المفاوضات.

كنت أظن أن جلالة الإمام يحيى سيتكرم بإشراكي في هذه المفاوضات بصفة استشـارية نـظراً لتغييب القاضي راغب المتعمـد، وإنما خـاب ظني. كان القـاضي راغب وزير الخارجية قد استدعاني في أواخر فبراير سنة ١٩٣٧، وأخبرني أن جلالة الإمام قد قرر تلبية الدعوة لحضور حفلات تتويج الملك جورج السادس في لنـدن، وأنه يفكر بإيفادي بمعيـة نجله الأمير سيف الإسـلام الحسين، الذي سيـرأس الوفـد اليمني إلى تلك الاحتفـالات، فسررت جـداً لهذا النبـأ بعد مضي ستـة أشهـر على وجودي في اليمن، وما قاسيته من متاعب.

استـدعاني بعـد ذلك جـلالة الإمـام، وأخبرني عن اضـطراره لإلغـاء سفـري بصحبة سمو الأمير الحسين، بسبب قرب وصول وفد عـراقي إلى صنعاء للمفـاوضة حـول إمكـانيـة انضمـام اليمن إلى حلف الاتحـاد العـربي، ممـا يستـوجب بقـائي للاهتمام بالوفد المذكور، والحقيقة التي اتضحت لي فيما بعد، أن سمو الأمير سيف الإسلام عبدالله، قد مانع في سفري بحجة عدم وجـود من يأخـذ مكاني في وزارتي الخـارجية والمـواصـلات، وفي تـدريس اللغـة الأجنبيـة في دار الأيتـام والصف الزراعي، وفي إعداد النشرة الإخبارية اليومية.

جل ما كان يبلغني عن سير المفـاوضات هـذه هو التـذمر المستمـر من الوفـد العـراقي، حول تـردد الوفـد اليمني في إقرار كـل ما يتفق عليـه، ومحـاولـة إدخـال تعـديلات عليـه تتنافى كليـاً مع مـا سبق الاتفاق عليـه، كما أن الأخـوان العـراقيين تساءلوا عن عدم إشراك راغب وأنا في تلك المفاوضات ولو بصفة استشارية.

المدافع المضادة للطائرات «فيكرز»

كان من جملة الهدايا التي حملها الوفد العراقي برئاسة دولة جميل المدفعي، مدفعان مضادان للطائرات تسلمهما جلالة الإمام في احتفال رسمي أقيم قرب ديوانه. استدعى جلالته بعد عودة الوفد المذكور إلى بلاده كبار القادة العسكريين وسلمهم المدفعين، طالباً منهم تدريب فرقة خاصة من جيشه على استعمال هذا النوع الجديد من المدافع. كانت أجزاء هذين المدفعين موضوعة داخل عدة صناديق خشبية، وتبين لدى نقلها إلى ثكنات الجيش في صنعاء (العرضي)، أنه ليس بين ضباط سلاح المدفعية في الجيش اليمني آنئذ من يعرف شيئاً عن كيفية تركيب أو استعمال هذا النوع من المدافع، لأن معظمهم كانوا من الضباط القدامى ومن بقايا كهول الجيش العثماني الذين آثروا البقاء في خدمة الجيش اليمني بعد انسحاب القوات العثمانية من اليمن في نهاية الحرب العالمية الأولى، ولا أزال أذكر أن قائد سلاح المدفعية آنئذ كان تركياً برتبة عميد، وفي الثمانين من عمرة. ورغم أنه مكث في اليمن ما يقارب نصف القرن، فإنه لم يكلف نفسه عناء تعلم اللغة العربية مع أنه كان متزوجاً من يمنية.

لم يكن بين كبار ضباط الجيش اليمني إذ ذاك من لديه الشجاعة الكافية لمصارحة الإمام عن جهلهم لدقائق تلك الأدوات الحربية الحديثة وطرق استعمالها، ليقينهم أنهم لو فعلوا ذلك لسمعوا ما لا يرضيهم منه. عقدوا جلسة لتقرير ما يجب عمله لتدارك المحنة التي جرتها عليهم هدية الحكومة العراقية الشقيقة، وبعد التداول ذكر أحدهم أنه وجد في كل صندوق كتيباً يحوي التعليمات الوافية عن كيفية تركيب واستعمال تلك الآلات الجهنمية. حمل وفد منهم هذه الكتيبات إلى جلالة الإمام، وبعد أن وصفوا لجلالته أهمية هذا النوع من السلاح، وشكروا جلالته على اهتمامه بتسليح جيشه المظفر بأحدث أنواع الأسلحة، طلبوا من جلالته الاستعانة بمن يتقن اللغات الأجنبية لإيضاح بعض الأمور المبهمة لديهم حول تركيب واستعمال هذه المدافع. شكرهم جلالته على اهتمامهم وسلمهم الأمر الشريف التالي نصه:

إمضاء جلالة الإمام وختم المخيم
المنصور بالحبر الأحمر

إلى الأستاذ نجيب أبو عز الدين وفقه الله

«لما كانت دولة العراق الشقيق قد أهدتنا مدفعين مضادين للطائرات، ولما كانت تعليمات تركيبهما واستعمالهما مدونة باللغة الانكليزية التي تتقنونها، يكون عزمكم إلى العرضي (مكان ثكنات الجيش) لإيضاح ما يلزم. حول إعادة جمعهما واستعمالها، وسيكون بانتظاركم هناك فريق من ضباط سلاح المدفعية للتعاون معكم الله لله» (معناها الحذر من التقاعس).

سلمني أحد الضباط هذا الأمر الشريف وطلب مني مرافقته إلى مقر قيادة الجيش، حيث الضباط المسؤولون بانتظاري، حاولت الاستمهال حتى الغد كي أتمكن من مراجعة جلالة الإمام وإطلاعه على عدم تمكني من القيام بهكذا مهمة أجهلها كلياً، وليست من اختصاصي في شيء، فألح علي الضابط بضرورة مرافقته أولا للتفاهم مع أمير الجيش على ما يجب عمله، فأجبته إلى طلبه خوفاً من العواقب التي قد تنتج إذا عصيت الأوامر الشريفة.

لدى وصولي إلى مقر القيادة أخذ لي جنود الحرس التحية العسكرية، ثم دخلت مكتب أمير الجيش السيد علي بن إبراهيم، الذي رحب بي واثنى على حميتي واندفاعي، وأنا واجم لا أقوى على الكلام من شدة التأثر، جلست إلى جانب القائد المذكور وقلت له: «من أخبر جلالة الإمام أنني أخصائي في حقل السلاح ومن خريجي الكليات الحربية والأركان؟». أجابني أن المسألة في غاية البساطة وما علي سوى ترجمة الكتيبات لهم وهم يقومون بتنفيذ الباقي، أدركت أن لا فائدة من الاستفاضة في الحديث معه، ورافقته إلى المكان الذي وضعت فيه الصناديق، فسلمني أحد الضباط رزمة من الكتيبات التي تصفحت بعضها على

مضض خلال ما يقارب الساعة الواحدة، فتحقق لي عجزي عن القيام بأي مساعدة، نظراً للأسماء والعبارات الفنية الواردة والتي لم يكن لها مرادفاً في لغتنا العربية، والتي لا يعرفها ويدرك خصائصها سوى الفنيين في حقلي الجندية والسلاح.

ودعت أمير الجيش وضباطه، واعداً إياهم بأنني سأرفع تقريراً إلى جلالة الإمام عن زيارتي غير الموفقة إلى مقر قيادة الجيش، وإنني سأقترح على جلالته طلب الاستعانة بأحد ضباط سلاح المدفعية في الجيش العراقي، الذي تكرم بإهداء المدفعين إلى الجيش المتوكلي المظفر. لا أعتقد أن أمير الجيش والحاضرين من ضباطه، كانوا مسرورين من كلامي، لعلمهم أن جلالة الإمام قد يؤنبهم على جهلهم استعمال الأسلحة الحديثة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن ما أنا في صدد ذكره قد حصل قبل وصول الضابطين السوريين الكبيرين، الفريق حسن تحسين الفقير واللواء المجاهد مصطفى وصفي، وقبيل وصول بعثة الضباط اليمنيين الذين كانوا على وشك التخرج من الكلية الحربيه العراقية.

مررت في طريق عودتي على منزل وزير الخارجية القاضي راغب، لأستمد منه العون والنصيحة حول ما يجب عمله لتلافي عواقب هذه المحنة الجديدة، ورجوته مساعدتي على إنهاء خدماتي وقبول استقالتي، كي أعود إلى بلادي فوراً، وأنا على استعداد لدفع نفقات سفري، ولن أطالب الحكومة اليمنية بأي تعويض. شرحت له فحوى الأمر الشريف الجديد وقلت له: «لا أظن أن عطوفة الأمير شكيب أرسلان قد أوفدني إليكم للعمل كخبير عسكري، بل للقيام بأعباء المراسلات الأجنبية في وزارتي الخارجية والمواصلات، وبما يتعلق بالأجانب وزياراتهم لليمن. والآن وبعد مضي ما يقارب الستة أشهر على وصولي، أجدني أقوم بمهام خمس إضافية آخرها تعييني أميناً للمجلس الصحي الأعلى الذي يرأسه سمو وزير الصحة سيف الإسلام القاسم، ومنسقاً لأعمال الأطباء المنتمين إلى جنسيات خمس ولغات مختلفة أيضاً».

قلت للقاضي راغب إن جلالة الإمام والأمراء لا يفكرون بي إلا في حالة زيادة مهام وأعباء وظيفتي.

وعد القاضي راغب بإبلاغ جلالة الإمام جميع ما قلته له، بما في ذلك رغبتي في الاستقالة في أول فرصة ممكنة، وفور وصول البديل الذي قد يرتأون التعاقد معه، وإنما أكد لي أن الإمام وولي عهده سيف الإسلام أحمد لن يوافقا بأي شكل على استقالتي، وأنه سيحاول إقناع جلالته بعدم إضافة أي مهمة جديدة لي، وطلب موظفين أكفاء عرب لمساعدتي في أعمالي الكثيرة. أخبرت القاضي راغب أنني غير متفائل من إقدام الإمام على إنصافي، وأن جل ما أخشاه أن يصلني أمر شريف جديد لتدريب طيارين يمنيين، إذ بلغني وأنا في قيادة الجيش أن لديهم طائرة صغيرة خاصة جاثمة قرب القيادة، أهدتهم إياها إحدى الدول الأوروبية، ولم نستعمل بعد لعدم وجود طيار يمني يقودها. قلت للقاضي: «أرجو ألاّ يكون داخل الطائرة كتيباً بالإنكليزية عن كيفية استعمالها، كي لا يقع على عاتقي تدريب طيارين لها». طلب راغب بك مني إعداد مذكرة بكل النقاط التي ذكرتها له ليرفعها إلى جلالة الإمام ففعلت.

قابل القاضي راغب جلالة الإمام في اليوم التالي وأطلعه على الكتاب الموجه مني إليه، وبعد عودته طلبني إلى منزله وأخبرني أن جلالته يوافق على أكثر النقاط الواردة في مذكرتي، وأنه يزمع رفع مرتبي وطلب مساعدين عرب لي فوراً، وأنه يرفض طلبي للاستقالة، وسيحيل طلبي إلى سمو ولي عهده الذي استدعاني بعد أيام ليؤكد لي بأن جلالة الإمام وسموه، لن يسمحا بتركي العمل وأنهما في صدد درس تحسين شروط خدمتي، مع طلب موظفين جدد لمساعدتي. قلت لسموه: إن حالتي الصحية تستدعي عودتي إلى بلادي، وإنني مستعد لإنهاء سنة العمل المتفق عليها بعد أربعة أشهر، وغير راغب في تجديدها لأسباب صحية قاهرة. أجابني وهو يبتسم: «ستترك عملك وإنما لدخول السجن».

حفلة القات

أثناء زيارة التعارف التي قام بها رئيس وأعضاء الوفد العراقي إلى جلالة

الإمام، جرى الحديث عن القات فألح عليهم جلالته بوجوب تجربة مضغ القات ـ شاي الإسلام ـ ثم أصدر أوامره لمدير دار الضيافة بأن يرسل لهم كمية من القات الممتاز، وأن يتوجه بنفسه ليشرح لهم كيفية استعماله، إذ على الماضغ أن يجلس أرضاً ويتكىء على الطنافس، ويضع أمامه إناء الماء المثلج ويقربه المبصقة، لأنه يجب عدم ابتلاع السائل الذي يفرزه القات لدى مضغه بل بصقه في المتفلة. لا أعتقد أن الضيوف العراقيين قد اتبعوا بدقة تلك التعليمات إذ بعد نحو ساعتين من بدء عملية المضغ، وبعد عودتي إلى منزلي، جاءني ضابط دار الضيافة ليخبرني أن الضيوف الكرام قد أصيبوا بنوع من الدوار، وأنهم يتقيأون. وبالاختصار فهم في أسوء حال فسارعت إلى استدعاء الطبيبين العربيين، أحمد سامي السمّان وهاشم الحسيني، اللذين هبا لمساعدة الضيوف الأعزاء، ولم نغادر دار الضيافة إلا بعد الاطمئنان إلى تحسن حالتهم. أما الدكتور هاشم الحسيني (النائب اللبناني حالياً)، فقد أبت عليه مروءته وحميته العربيتين إلا أن يعود لاستفقاد الأخوان العراقيين قبيل منتصف الليل للتأكد من تجاوزهم القطوع، الذي سببه لهم مضغ القات، ولا بد لي من الإشادة بمروءة وتفاني هذا الطبيب الإنساني وبزميله الدكتور المرحوم سامي السمّان، لما قاما به من جهود جبارة لمعالجة مرضاهم في المستشفى الحكومي، رغم افتقار هذا المستشفى إلى العديد من الأدوية والتجهيزات الطبية الحديثة، ورغم العراقيل التي واجهوها بصبر وروية.

وصول البعثة الإيطالية

في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ وصلت إلى صنعاء البعثة الإيطالية برئاسة السنيور غاسباريني، عضو مجلس الشيوخ الإيطالي، وحاكم أريتريا السابق، كانت البعثة مؤلفة من ٢٦ شخصاً بينهم موظفان دبلوماسيان من وزارة الخارجية الإيطالية، وثلاثة ضباط بحريين، وضابطان مشاة، وطبيب، وصيدلي، وعامل لاسلكي، وثلاثة رقباء، وعشرة جنود أريتريين، وثلاثة خدم.

كان الاستقبال الذي أعد لهذه البعثة منقطع النظير حتى تاريخه، اصطفت فرق الجيش اليمني على طول الطريق المؤدية إلى دار الضيافة الرسمي في ميدان شرارة، وكان في استقبالهم لدى وصولهم إلى مدخل الدار القاضي عبدالله العمري رئيس مجلس الوزراء، والقاضي راغب وزير الخارجية وأنا. عزفت موسيقى الجيش النشيدين الوطنيين الإيطالي واليمني، استعرض بعدها السنيور غاسباريني حرس الشرف الذي أدى له التحية العسكرية، ودخل الدار مع حاشيته مصحوباً ببعثة الشرف اليمنية. شارك في الاستقبال مئات الصنعانيين الذين احتشدوا في ميدان شرارة مقابل دار الضيافة.

في حوالي الساعة العاشرة من صباح ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٧، قامت البعثة بزيارة جلالة الإمام في ديوانه في قصر السعادة فارتدى أعضاؤها الكبار بزاتهم الدبلوماسية والعسكرية الرسمية، وامتطوا الخيول البيضاء وساروا بين صفين من أفراد الجيش حتى وصولهم إلى مدخل القصر الملكي، وكان غاسباريني يرد التحية للجموع المحتشدة وكأنه يقلد زعيمه موسوليني لدى دخوله روما دخول الفاتحين في بدء عهده الفاشي. أخذت للبعثة التحية العسكرية داخل باحة القصر، كما عزفت الموسيقى النشيدين الوطنيين، كان استقبال جلالة الإمام لهم ودياً جداً، لأنه كان،

كما هو معلوم، يخشى عدواناً فاشياً على بلاده ويداهنهم اتقاء لشرهم.

ألقى السنيور غاسباريني كلمة شكر فيها جلالة الإمام على ما لاقاه وبعثته من معالم الحفاوة والإكرام، منذ وطئت أقدامهم أرض اليمن العزيز، وما قام به أمراؤه وعماله من جهود لتوفير وسائل الراحة لهم، كما عبر عن سرورهم لزيارة اليمن البلد الصديق، الذي تكن له بلاده كل مودة وتقدير، وأبلغ جلالته تحيات حكومه بلاده واستعدادها لتقديم العون الممكن لليمن، خصوصاً في الحقول التجارية والصحية والثقافية. ردَّ جلالة الإمام مبدياً سروره لزيارة البعثة الصديقة لبلاده ومستفسراً عن أحوال الدولة الإيطالية وحكامها الأصدقاء الأوفياء، وختم راجياً للبعثة طيب الإقامة في بلاده.

في اليوم التالي ٢٩ أغسطس استقبل سمو ولي العهد سيف الإسلام أحمد، البعثة في مقره في «بستان الخير» واتبعت في هذا الاستقبال نفس المراسم التي جرت في الأمس لدى زيارتهم لجلالة الإمام، لاحظت أن حفاوة سمو ولي العهد بالبعثة كانت أقل حرارة من حفاوة والده، والمعروف عن سموه أنه لم يكن ليكلف نفسه عناء المبالغة بالترحيب بالأجانب خصوصاً إذا كانوا من المشكوك في نواياهم نحو بلاده.

صدر في نفس اليوم الأمر الشريف بتعيين الوفد اليمني المفاوض برئاسة القاضي عبدالله العمري رئيس الوزراء، والسيد علي بن إبراهيم أمير الجيش، والقاضي عبد الكريم المطهر الكاتب الأول في ديوان جلالة الإمام، وقد استبعد وزير الخارجية محمد راغب عن عضوية الوفد لأسباب مجهولة، لعلها عدم الثقة به، كما وإن جلالته لم يكلفني للعمل كمستشار لوفده كما كان مرتقباً.

انزوى القاضي محمد راغب في منزله وهو في أشد حالات الغضب والنقمة، خصوصاً وأنه كان يعتقد بأن للإمام ملء الثقة به وبإخلاصه لليمن ولجلالته، وأخذ يتساءل عن أسباب إبعاده حتى عن عضوية الوفد المفاوض، وهل يجوز التفاوض مع دولة أجنبية ولا يكون وزير الخارجية من أعضاء وفد بلاده؟ قال لي إنه قد يجد بعض الأسباب والمبررات لإبعاده عن المفاوضات العراقية ـ اليمنية التي جرت قبل

أسابيع قليلة، لأنه من أصل تركي، وإنما يصعب عليه إيجاد أي مبرر لإبعاده عن المفاوضات مع الوفد الإيطالي، خصوصاً وأن رئيسه السنيور غاسباريني هو من أعز أصدقائه، كما أن الوفد الإيطالي سيستغرب غيابه عن طاولة المفاوضات. أضاف القاضي راغب قائلاً إنه لدى كبار أمراء ووزراء جلالة الإمام مركَّب نقص تجاهه، وأن لبعض هؤلاء علاقات مشبوهة مع الإيطاليين، يعرفها اليمنيون خير معرفة، وأن وجوده في عضوية وفد بلاده يفسد على حاسديه ما ينتظرونه من غنائم. ألح عليّ القاضي راغب بوجوب زيارة دار الضيافة يومياً، للتأكد من أن أفراد البعثة يلقون الاهتمام اللازم من مدير وخدم دار الضيافة. كنت ألتقي بالموظف الدبلوماسي الإيطالي الذي يحتل المرتبة الثانية في الوفد بعد غاسباريني الذي صارحني عن دهشة وفده لغياب القاضي راغب عن عضوية وفد بلاده في المفاوضات، وأن وفده كان يفضل أن يتفاوض مع اشخاص أكثر علماً وإدراكاً للاعراف الدبلوماسية. استمرت المفاوضات بين الوفدين حتى ٩ سبتمبر ١٩٣٧ أي مدة عشرة أيام تقرر بنتيجتها تجديد المعاهدة الإيطالية ـ اليمنية السابقة لمدة عشر سنوات، مع إضافة بنود تتعلق بالملاحة البحرية.

زار كبار المسؤولين والأعيان الوفد الإيطالي في دار الضيافة الذي قدم لزائريه الهدايا اللائقة. قام أعضاء البعثة الإيطالية برد الزيارات إلى كبار رجال الدولة، أمثال القضاة عبدالله العمري وراغب وعبد الكريم المطهر، والسادة محمد الشامي ومحمد الوزير وعلي بن إبراهيم. وفي ٥ سبتمبر زار الوفد جلالة الإمام ثانية وقدموا له هدايا حكومتهم وهي كناية عن دبابة صغيرة ذات مدفعين رشاشين بالإضافة إلى مدفعين من نوع «بريدا» المضاد للطائرات التي كانت قد عرضت أمام دار الضيافة لمدة يومين، فهرع سكان العاصمة لرؤيتها. جرت تجربة الدبابة والمدفعين أمام جلالته وكبار أعوانه، فأبدى شكره للحكومة الإيطالية على هداياها الثمينة. وأحمد الله أنني لم أدع هذه المرة لتدريب ضباط الجيش على تركيبها وطريقة استعمالها.

قامت البعثة خلال إقامتها في صنعاء بالتجول في أنحائها، وزيارة مستشفاها وتفقدوا الآثار الحميرية والنقوش في بلدة حدة قرب صنعاء، وحضرت مأدب غداء أقامها لهم القاضيان العمري وراغب.

وفي ٨ سبتمبر أقام جلالة الإمـام وليمة غـداء وداعية للوفـد في قصر السعـادة حضرها الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة.

ففي وليمة الغداء هـذه، ألقى السنيور غـاسباريني كلمـة مستفيضة شكـر فيها الإمـام على حفاوتـه وحسن ضيـافتـه، وأثنى على الصـداقـة القـائمـة بين الـدولتين الإيطالية واليمنية بفضل السياسة المتزنة الحكيمة التي يتبعها الإمام، وأكد أن إيطاليا ستظل الصديقة الوفية لليمن ولن تتأخر عن تقديم أي مساعدة ممكنـة إلى هكذا بلد صديق. كما وأنه شكر القاضي عبدالله العمـري رئيس مجلس الوزراء على جهـوده التي أدت إلى نجـاح المفاوضـات، ووصفـه بـأنـه يـد الإمـام اليمني، ممـا أغضب الأمراء والقاضي راغب، الذي أنكر على السنيور غاسباريني حق وصلاحيـة تصنيف أعوان الإمام، وقد قال لي ضاحكاً: «أنا وزير الخارجية والسنيور رئيس وفد أجنبي، وكانت الكياسة تقضي بأن يمتنع عن إبداء أي تفضيل بين الوزراء اليمنيين، إذ بعـد إعـطائه لقب «يـد الإمام اليمنى» للقـاضي العمري، لم يبق لي أنـا وزير الخـارجية سوى لقب اليد اليسرى، ولا أرضى أن أكون اليد اليسرى لأي كان».

سبق أن ذكـرت أن جلالـة الإمام كـان يخاف من الإيـطاليين ويخشى قيـامهم بعدوان على أجزاء من بلاده المواجهة للمناطق التي يحتلونها في أريتريا والصومال، لأنه كان متأكداً أن للايطاليين الفاشيين مطامـع، وعلى الأخص في المناطق اليمنيـة السـاحلية. فـالاحتلال الإيـطالي للحبشة في شهـر مـايس سنـة ١٩٣٦ وضمهـا إلى مستعمرتيها في أريتريا والصومال الإيـطالي، أدخل الـرعب إلى قلب جلالـة الإمام، ظناً منه أن ما جرى للأمبراطور هيلا سيلاسي قد يحصـل له إذا قـررت إيطاليـا وهي في أوج قوتها وجبروتها غزو بلاده، وأن الإنكليـز الذين لـم يستـطيعوا مقـاومة الغـزو الإيـطالي للحبشة لن يـدافعوا عنـه، بل قـد يتفقوا مـع الإيطاليين على تقسيم اليمن فيما بينهما.

المعـروف عن الإمـام أنـه كـان يتجنب النـظر في أي شكـوى أو انتقـاد ضـد الموظفين الإيطاليين في اليمن، وكـان جوابـه الدائم على أي اعتـراض يقدم حـول أعمـال هؤلاء الموظفين هـو: «انظروا مـا حصـل في الحبشـة، ويجب أن نتحـاشى حصول مثله عندنا».

وفي اليوم التالي (٩ سبتمبر) حضرت البعثة بلباسها الرسمي وعلى ظهور الجياد المطهمة، كما حصل يوم زيارتها الأولى لجلالة الإمام، لتوديع جلالته، اصطفت فصائل الجيش على طول الطريق من دار الضيافة حتى قصر السعادة وأخذت التحية كما عزفت الموسيقى النشيدين الوطنيين.

وفي صباح ١١ سبتمبر قامت البعثة بوداع سمو ولي العهد، ثم غادرت صنعاء إلى الحديدة في طريق عودتها إلى بلادها.

عودة البعثة العسكرية اليمنية من بغداد

كانت الحكومة اليمنية قد أوفدت إلى الكلية الملكية الحربية في بغداد بناء على دعوة كريمة من الحكومة العراقية عدداً من الطلبة اليمنيين لتلقي دروسهم العسكرية فيها، مساهمة منها في تدريبهم وإعدادهم ليكونوا في المستقبل نواة الجيش اليمني الحديث. تخرّج هؤلاء الضباط وعادوا إلى صنعاء في ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧، فصدر تعميم من وزير الدفاع سيف الإسلام عبد الله، الذي كان في الوقت نفسه وزيراً للمعارف، يقضي بوجوب خروج جميع موظفي الدولة والأهالي لاستقبالهم خارج مدينة صنعاء. بدأت وفود المستقبلين بالوصول صباحاً، وكنت أنا وأصدقائي من الموظفين العرب غير اليمنيين من جملة الذين وصلوا في الوقت المحدد ممتطين صهوات جيادنا.

بعد وصولنا بنحو ساعة جاءنا خبر بأن وصول البعثة سيتأخر حتى الساعة الثانية بعد الظهر، وأنه يلزم انتظارهم حيث نحن وعدم العودة إلى صنعاء. كانت حرارة الشمس على أشدها في ذلك الوقت من النهار، ولم نتمكن من الحصول على الماء لإرواء غليلنا. حاول أحد قادة الجيش الذي رافقناه إلى مكان الاستقبال أن يستحصل لنا على إذن للعودة إلى منزلنا للاستراحة وتناول الغداء، ثم العودة للاشتراك في الاستقبال، فكان جواب أمير الجيش الذي كان ينعم بشتى ألوان المرطبات، بأنه يلزم الانتظار، إذ قد تصل البعثة قبل الموعد الجديد المحدد أسوة بباقي المستقبلين اليمنيين، وكان سيوف الإسلام الذين حضروا للاشتراك في الاستقبال في سيارتهم الفخمة قد عادوا إلى قصورهم لدى إطلاعهم على تأخر وصول البعثة.

وصلت البعثة في الساعة الثانية والربع فاستقبلتها فرقة الجيش الموسيقية

بألحانها الحماسية، ثم تقدم أفراد البعثة وحيوا سمو وزير الدفاع سيف الإسلام عبدالله ممثل جلالة الإمام في الاستقبال، ثم الأمراء وأمير الجيش وكبار الضباط. سار الموكب باتجاه «العرضي»، مقر قيادة وثكنات الجيش، حيث أقيمت حفلة استقبال على شرف العائدين، فرحب بهم سمو وزير الدفاع وعدد من الخطباء، فرد عليهم كبير ضباط البعثة شاكراً جلالة الإمام وسمو الأمراء وكافة المستقبلين على الحفاوة التي قوبلوا بها، وأكدوا استعدادهم الدائم لتضحية أرواحهم في سبيل رفعة بلادهم والدفاع عنها ولنصرة جلالة إمامهم.

بعد هذا الاحتفال صحب أفراد البعثة وزير الدفاع وأمير الجيش للمثول بين يدي الحضرة الشريفة، ولدى وصولهم إلى قاعة الاستقبال في المقام الشريف، اصطف هؤلاء الضباط أمام جلالته وأخذوا له التحية بالسلاح، فكانت حركاتهم المتزنة والدقيقة إذا ما قيست بحركات باقي ضباط وأفراد الجيش، مبعث إعجاب جميع المشاهدين باستثناء قدامى الضباط، الذين لم يرق لهم ما شاهدوه لعلمهم أن جلالة الإمام قد لا يعيرهم أي اهتمام بعد الآن، وأنه سيكلف الضباط الجدد بإعادة تنظيم وتدريب الجيش الذي لم يكن له من مؤهلات الجيوش النظامية الحديثة سوى الاسم. كانت ملابس الضباط الجدد العسكرية جديدة وبراقة، بعكس لباس باقي الضباط الذين عملوا كل ما باستطاعتهم للإيقاع بهؤلاء الضباط الشبان لدى جلالة الإمام قائدهم الأعلى.

بعد تأدية التحية بالسلاح لجلالته تقدموا منه فرداً فرداً وقبلوا يديه وركبتيه، وكان يسأل كلاً منهم عن حاله وصحته ودروسه العسكرية وما استرعى انتباهه في العراق الشقيق. شكر الجميع اهتمام الحكومة العراقية بهم وأفاض بعضهم بوصف معالم العمران في العراق واهتمام حكومته بشعبها وتوفير رفاهيته وبالحكم الديمقراطي الذي يضمن للشعب إشراف نوابه المنتخبين منه مباشرة على سير الحكم والهيئة التنفيذية فيه. وبلغ حماس وصراحة أحدهم بأن قال: «لقد تأكد لنا أن ما تجبيه حكومة العراق من الشعب من ضرائب هو ملك الشعب، ويصرف في ميادين الصحة والتعليم وتوفير العمل والرفاهية لكل فرد من الشعب»، وكأنه قصد القول بأن بيت المال في العراق هو للمواطنين وليس للحكام كما هي الحال في اليمن.

استياء جلالة الإمام من هـذه الملاحظات التي لم يجرؤ أحـد من رعايـاه على إبـدائهـا من قبـل، وقـد أدرك المـطلعـون على دقـائق الأمـور ممن حضـروا هـذا الاستقبال، أن أياماً سوداء تنتظر هؤلاء الشبان العائدين بأفكار هي خطرة وثوريـة في نظر جلالته وحاشيته.

أمـا قدامى الضبـاط اليمنيين كما سبق وذكـرت، فقـد سـاءهم وصـول هؤلاء الضباط الشبان، لذلك عمدوا إلى الدس بهم لدى جلالة الإمام، ناسبين إليهم شتى التهم بأنهم ثوريون وأنهم لن يرضوا ببقاء الحالة في اليمن على مـا هي عليه، وقـد لاقوا أذناً صاغية من الإمام والأمراء والحكام النافذين، ولـم يكن جلالته بحاجـة إلى من يحرضه عليهم بعد أن سمع ما فيه الكفاية من أفواههم، وما أبدوه من آراء تظهر حقيقة شعورهم منذ اليوم الأول لوصولهم. كما وأن كهول قادة الجيش اليمني اقنعوا الإمام أن المعلومات والتدريبات العسكرية التي تلقاها الضباط الجدد في كلية بغداد الحربية، وعلى الأخص فيما يتعلق باستعمـال السلاح لا يتنـاسب مع حـالة البنـادق والأسلحة القديمة التي يملكها الجيش اليمني منذ زمن الاحتلال العثماني.

لذلك لم يوجه الإمام اهتمامه إلى كيفية الاستفـادة من معرفـة هؤلاء الضباط، بل انصرف إلى التفكير في أنجح الوسائل للخلاص منهم ومن آرائهم الثورية، ومما قـد يجـرونـه عليـه وعلى حكمـه، إذا سمـح لهم بـالتمـادي في تنفيـذ خـططهم الإصـلاحيـة، ليقينـه أن أكثـريـة الشعب اليمني ستستجيب لحـركـة هؤلاء الشبـان وستساندهم.

وبـالاختصـار أدخـل بعض هؤلاء السجن فيمـا بعـد، وأسنـدت إلى بعضهم وظائف مـدنية بسيطة لا علاقة لها باختصاصهم العسكري، كما كان قـدر أكثريتهم الإعدام بعد اشتراكهم في انقلابات سنة ١٩٤٨ و١٩٥٥ و١٩٦٢.

بعثة عسكرية عراقية الى اليمن

خلال العام ١٩٣٨ وبعد ضغط مستمر من جهات وطنية وعربية عديدة، وافق الإمام يحيى على استقدام بعثة عسكرية لتدريب الجيش اليمني المظفر. رأس هذه البعثة القائد العسكري اللواء الهمام إسماعيل صفوت، وضمت بعثته عدة ضباط من خيرة ضباط العرب.

تظاهر الإمام في بادىء الأمر بأنه مسرور مما تقوم به هذه البعثة وشجع أفرادها على الاستمرار بعملهم المجيد. وبناء على رجاء القائد العراقي سمح الإمام بتدريب كتيبة يمنية نموذجية تتكفل الحكومة العراقية بكافة تكاليفها، كي تكون مثالاً نموذجياً للجيش اليمني في المستقبل.

بعد إتمام التدريب الأوليّ لهذه الكتيبة، أقيم استعراض عام لها تحت رعاية الإمام يحيى، فسارت تشكيلاتها بملابسها وتدريباتها العصرية أمام جلالته ووسط ابتهاج وإعجاب الجماهير الصنعانية التي احتشدت لمشاهدتها وصفقت لها طويلاً.

ظن القائد صفوت بأن الإمام يعجب بما أحرزته هذه الكتيبة النموذجية من تقدم باهر، ويثني على جهود البعثة العراقية، ولكنه صعق عندما أبدى الإمام امتعاضه واستهجانه لملابس الكتيبة المذكورة، بحجة أن تلك الملابس تعرقل قيام الجندي بفريضة وحركات الصلاة. كانت تلك البادرة فاتحة المعاكسة المدروسة للقضاء على مهمة البعثة التي، رغم صبرها الطويل على ما وضع في طريقها من عراقيل، اضطرت إلى العودة إلى بلادها والخيبة تملأ أحشاءها.

إجراء عملية جراحية لسيف الإسلام المحسن والاستئذان لبتر ساق جندي

شعر سيف الإسلام المحسن في أوائل شهر يوليو سنة ١٩٣٧بألم في فمه وحنجرته، فاستدعاني جلالة الإمام بحكم وظيفتي أميناً للمجلس الصحي الأعلى، وضابط الاتصال بين الحكومة والأطباء، وطلب مني جمع الأطباء لمعاينة الأمير الصغير، وتحديد المرض الذي يعاني منه الأمير. استدعيت الأطباء فقام كل منهم على حدة بإجراء الكشف المطلوب، ثم فوضوا الطبيب البريطاني الدكتور «بتري» بإعطاء النتيجة، وهي أن الأمير مصاب بالتهاب اللوزتين، مما يستوجب إجراء عملية جراحية لاستئصالهما في أقرب وقت. سارعت برفع تقرير مسهب إلى جلالة الإمام عن نتيجة الكشف الطبي، مع الرجاء لموافقة جلالته على إجراء العملية الجراحية فوراً، حفاظاً على سلامة وصحة الأمير، وكان قد بلغني من القاضي راغب، أن الإمام لا يثق كثيراً بالجراحة ويفضل العلاجات الأخرى، أجاب جلالته بأنه يفضل عقد اجتماع آخر لكافة الأطباء لإعادة فحص الأمير المحسن برئاسة سمو سيف الإسلام القاسم وزير الصحة، وحضور القاضي راغب وأنا، وإصدار قرار نهائي عقد الاجتماع المطلوب وقد قام خلاله الدكتور بتري الطبيب البريطاني الأخصائي بأمراض الرأس والحنجرة بشرح ما يعاني منه الأمير المريض، مؤكداً أنه لا مناص من إجراء العملية الجراحية لاستئصال اللوزتين، وقد وافقه الأطباء الستة الموجودون على قراره، ثم وضعوا تقريراً آخر، وبعد أن ترجمت التقرير إلى العربية توجه جميع الحاضرين إلى المقام الشريف لرفع النتيجة النهائية لجلالته الذي كان لا يزال يفضل عدم إجراء العملية الجراحية ويقترح الاستعاضة عنها «بالبنسلين»،

أجابه الدكتور بتري أن لا علاقة للبنسلين بما يعاني منه الأمير، وأنه يتحتم طبياً إجراء العملية. سأل جلالته عن نسبة إمكانية نجاح العملية قائلاً: «الولد المحسن عزيز كثيراً على قلبي وهو شاعر وأديب ولطيف ومجتهد في دروسه، ثم نظر إليَّ وسألني إذا كنت قد لمست من مناقشات الأطباء أنهم متأكدون من نجاح العملية فأجبته بعد أن وجهت السؤال إلى الأطباء بأنهم متفاءلون جداً، وأن هذه العملية بسيطة وسهلة إذا ما قيست بغيرها، وعلى كل فليس باستطاعة أي طبيب صادق ومؤمن أن يضمن أي عملية يجريها مائة في المائة. وقلت: «على كل يا مولاي فلنتكل على الله الذي بيده وحده الحياة والشفاء، وما الأطباء سوى واسطة». وجم الإمام قليلاً ثم نهض من مكانه قائلاً: «لنتوكل على الله وبإمكانكم البدء بالاستعدادات اللازمة لإجراء العملية، وأمر سيف الإسلام القاسم والقاضي راغب بالإشراف على الترتيبات التي تؤمن نجاح العملية وراحة الأمير. أما أنا فكان أمر جلالته يقضي بملازمتي غرفة الأمير مع الطبيب المعالج ليلاً نهاراً.

أجريت العملية بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٩٣٧ بحضور جميع أطباء العاصمة، وبإشراف سمو سيف الإسلام أحمد ولي العهد والقاسم وزير الصحة والقاضي راغب وزير الخارجية والقاضي عبد الله العمري رئيس الوزراء. كان ولي العهد أكثر الحاضرين قلقاً على سلامة أخيه الأمير الصغير، وكان يطلب مني أن أدخل إلى غرفة العملية في منزل الطبيب البريطاني الذي يجري العملية بين الفينة والأخرى للاطمئنان عن سير العملية كي يطمئن بدوره جلالة والده الموجود في مصيفه في الوادي. استغرقت العملية ساعة واحدة.خرج بعدها الأطباء وبينهم الطبيبان العربيان أحمد السمان وهاشم الحسيني لتهنئة الأمراء والوزراء على نجاح العملية. غادر ولي العهد المكان بعد أن ألح عليَّ بوجوب تطمينه عن حالة أخيه باستمرار.

تضايق الأمير المحسن قليلاً نتيجة للجراحة وللمادة المخدرة (البنج)، فلاحظ ذلك أحد المضمدين اليمنيين الذي كان يدَّعي أمام جلالة الإمام والأمراء أنه أمهر من الأطباء القانونيين، وقصد مقر الإمام الصيفي في الوادي وأخبره أن العملية كانت فاشلة، وأن إحدى اللوزتين لم تستأصل بكاملها، وأن ما تبقى منها سيسبب تسمماً

للأمير. هـاج الإمام ومـاج لدى سمـاعه هـذا النبأ الملفق، وأمـر ولي عهده بـإجراء تحقيق عاجل. كالعادة طلبت من الأطباء الحضور إلى غرفة الأمير المريض للكشف ثانية على حالته الصحية بعد إجـراء العملية، كـان سيف الإسلام القـاسم والقاضي راغب حاضرين، وقد رجوتهما عدم إبلاغ الأطباء مـا زعمه المضمـد الدجـال، لأن ذلك سيؤلمهم ولربما يحملهم على الاستقالـة أو التلكوء في معـالجة مـرضاهم في المستقبل، إضافة إلى التأثير السيء على معنويـاتهم المهنية، فـوافق الأمير القـاسم على ذلك. جرى الكشف على الأمير وتحقق جميع الأطباء أن العملية كانت ناجحة للغاية، وأن الأمير المحسن سيتمكن من زيارة جلالة والده بعد أربعة أيام، وسيتأكد جلالته عندئذ من نجـاح العملية. وقـد سارع الأمـير القاسم بـإبراق ذلـك إلى والده ورجاه الاطمئنان نظراً لنجاح العملية.

وفي ١٥ يوليو سنـة ١٩٣٧ توجـه الأميران المحسن والقـاسم والقاضي راغب والأطبـاء وجميع الـذين أشرفـوا على علاج المحسن إلى قصـر الحجـر الصيفي في الوادي، فكان لقاء الإمام لولده مؤثراً للغاية وشكر الجميـع على اهتمامهم بـالأمير، الذي حصل على هدية سيارة جديدة، كما أهدى جلالته صندوقاً من العنب إلى كل من المرافقين.

اتضح فيما بعد أن المضمد الـذي نقل إلى جـلالة الإمـام نبأ فشـل العملية، فعل ذلك بتحريض من بعض الأطباء الأجانب الذين كانوا يضمرون الإساءة للطبيب البريطاني والطعن في كفاءته المهنية، كي يـظلوا المسيطرين على الشؤون الصحيـة التي تمهد لهم سبل السيطرة على شؤون أخرى غيـر طبية هي أكثـر أهمية لمـطامح بلادهم في اليمن.

توصية الأطباء ببتر ساق جندي يمني

شعر أحد الجنود في صنعاء بألم شديد في إحدى رجليه، فأدخـل المستشفى للعلاج. فحصه الأطباء وقرروا بتر ساقـه في أقرب وقت ممكن، ولمـا كان يتـوجب الحصول على موافقـة خطيـة من الإمام طبقـاً للقواعـد المرعيـة، طلب إليَّ بصفتي ضـابط الاتصـال بينهم وبين الـديـوان الملكي أن أرفـع طلبهم إلى جـلالــة الإمـام

ففعلت، استاء جلالته لهذا الطلب الذي وصفه بالاعتباطي، وأمر بعقد اجتماع لكافة أطباء صنعاء حول سرير الجندي المريض فقام كل من هؤلاء الأطباء بفحص المريض ثم جرت المداولة فيما بينهم بغية وضع توصية إجماعية بما يلزم عمله، ترفع إلى جلالة الإمام. وقد قرروا بالإجماع تبني توصية الأطباء الذين عاينوه سابقاً، أي بالإسراع ببتر رجل الجندي قبل أن تتفشى «الغرغرينا» في جسمه وتسبب وفاته.

رفعت التقرير المذكور إلى جلالته فتلاه وبوادر الحزن والألم بادية على وجهه، ثم قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله. وطالما أن الأطباء الماهرين (لقب يطلق على الأطباء القانونيين) قد أجمعوا على ضرورة إجراء العملية فليكن ذلك وعلى الله الاتكال». أطلعت الأطباء ومدير المستشفى على أمر الإمام وتقرر إجراء عملية البتر في صباح اليوم التالي:

علم الأطباء المحليون غير الماهرين بقرار جلالة الإمام بالسماح ببتر رجل الجندي، فسارع أحدهم بالذهاب إلى المقام الشريف بعد ظهر ذلك اليوم مستنكراً قرار البتر، ومؤكداً أنه باستطاعته معالجة المريض وضمان شفائه، دون بتر رجله وهذا ما سر له الإمام كثيراً فأصدر أوامره المستعجلة بعدم إجراء العملية. حضر الطبيب المحلي بعد ذلك إلى المستشفى، ويقال إنه دهن الرجل المريضة بدهان يشبه القطران أو الزفت، مما أدى بعد مدة إلى شفاء المريض الذي زار الإمام ماشياً على قدميه. ثار غضب جلالة الإمام لدى تأكده من شفاء الجندي الذي كان الأطباء الماهرون قد قرروا بتر إحدى رجليه، وكلفني بنقل رسالة إلى الأطباء الماهرين هؤلاء، تحوي على ما لا يلذ ولا يطيب من تحيات غير عطرة مستبدلاً صفة الماهرين بلقب جديد أعف عن ذكره.

لقد لاحظت خلال إقامتي في اليمن أن الإمام يحيى، وبعده الإمام أحمد، كانا يثقان بالحكماء المحليين أكثر من الأطباء القانونيين، خريجي الجامعات الكبرى، بسبب تسلط هؤلاء الحكماء عليهما وملازمتهما باستمرار والدس لديهما على الأطباء الشرعيين والطعن في مؤهلاتهم ومحاولة اتهامهم بأنهم جواسيس يعملون لصالح دولتهم، وأنهم أطباء سياسة أكثر منهم أطباء صحة. لعل انقياد الإمامين المذكورين لهؤلاء المتطفلين على مهنة الطب هو استعداد هؤلاء لإعطاء أبر

المسكنات لهما عند الطلب لكونهما مصابين بداء التقرس المؤلم حقاً.

إقامتي وعملي عشرة أعوام في عدن

مكثت في خدمة الإدارة العدنية والإمارات اليمنية الجنوبية مدة عشرة أعـوام، أي بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧، وبالإمكان الاطلاع على تفاصيل عملي في تلك الفترة في كتابي الصادر حديثاً تحت عنوان: **الإمارات اليمنية الجنوبية (١٩٣٧ ـ ١٩٤٧)**.

الفصل السادس

تقديم استقالتي بسبب المرض والإرهاق والانتقال الى عدن وعدم التقدير

في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٧، قابلت القاضي عبدالله العمري رئيس الوزراء، وقدمت له كتاب استقالتي راجياً إياه التفضل برفعه إلى مقام الحضرة الشريفة على أن يسري مفعول الاستقالة ابتداء من أول أكتوبر، لأن حالتي الصحية المتدهورة والإرهاق المتواصل الذي أعاني منه لا يسمحان بالبقاء في اليمن، وإنني بعد مغادرتي اليمن سأكون بحاجة إلى علاج طويل ومكثف، كي أتغلب على ما أعانيه من حمى الملاريا وداء القرحة المعوية. ذكرت له بكل وضوح بأنني لا أود العودة إلى لبنان حالياً، كي لا يراني أهلي وأنا على تلك الحالة من النحول والمرض، وسأبقى مدة في عدن لإجراء فحوصات طبية، ولربما أضطر لدخول المستشفى لتلقي العلاج اللازم، كما وإنني أطلعته على ما بلغني من أن لدى حكومة عدن عدة وظائف شاغرة في الإدارة العربية التي يراد تحديثها وفي دوائر المعارف وغيرها، وإنني قد أوفق لإشغال وظيفة رفيعة.

كالعادة وكما هو منتظر، كرر سيادة القاضي العمري المعزوفة المألوفة من رضاء جلالة مولانا على عملي وصعوبة السماح بسفري، فرجوته إقناع جلالته لمحاولة إيجاد أشخاص عرب للحلول مكاني، وأن أمثال هؤلاء متوفرون بكثرة في العالم العربي، إذا دفعت لهم المرتبات المناسبة، كما وإنني سلمت له التقارير الطبية التي في حوزتي، والتي تضطرني لمغادرة اليمن في أقرب وقت نظراً لانعدام وسائل العلاج الحديثة فيه.

استدعاني القاضي العمري في أول أوكتوبر ليبشرني بأن جلالة الإمام قد تكرم برفع معاشي فأكدت له أن مسألة المعاش لم تعد واردة بالنسبة لي، لأن صحتي أغلى على قلبي من المعاش، وأن الطبيب الذي أرسلت له التقرير الطبي في عدن يلح بوجوب دخولي المستشفى حالاً، لأن القرحة المصاب بها قد تسبب لي نزيفاً خطيراً. وكما كنت أتوقع جاءني بعد ظهر ذلك اليوم أحد مساعدي وليّ العهد، وطلب مني مرافقته إلى مقر سموه فوراً، ففعلت، وبعد السلام بادرني قائلاً: «هل نسيت ما سبق وقلته لك؟». تظاهرت بالنسيان وسألت سموه عما يقصده فأجاب: «إنك لن تترك عملك إلا إلى السجن» فقاطعته قائلاً: «أو إلى القبر».

أكدت لسموه أنه لم يبدر مني خلال المدة التي أمضيتها في اليمن ما يستوجب دخولي السجن، بل بالعكس فإنني أستحق التقدير والإطراء، ولما كنت واثقاً من أن سموه هو آخر من يوافق على مغادرتي اليمن قمت بإطلاعه على ما لدي من تقارير طبية، وبعد نقاش طويل وافق على سفري شرط عودتي بعد الشفاء فأجبته: «أطلب من الله أن يقدر ما فيه الخير». كلفني أن أبحث له عمّن يخلفني في وظائفي، فاقترحت عليه طلب عدد من الموظفين العرب الشبان، من أي دولة عربية يختارونها، لأنني لا أعتقد أن أي شاب يوافق على العمل في اليمن إذا لم يكن موفداً من حكومته.

بعد أن استحصلت على موافقة سمو ولي العهد بالسفر، تأكدت من أن جلالة الإمام لن يمانع وسيصدر أمره الشريف بقبول استقالتي، وبالفعل صدر الأمر بعد يومين. جرت محاسبتي حتى آخر يوم من خدمتي. لم يوافق جلالته على دفع معاش شهر الإجازة بعد أن خدمت ١٣ شهراً في حكومته، بحجة أنني استقلت بمحض إرادتي، ورغم الإلحاح علي بالاستمرار في العمل. ولما كان جل همي هو سرعة السفر للعلاج ثم البحث عن عمل مناسب ومضمون للمستقبل، رجوت القاضي العمري إعطائي شهادة عن عملي في حكومتهم، ولدى موافقة جلالة الإمام على ذلك سلمني القاضي عبد الكريم المطهر السكرتير الأول للمقام الشريف الشهادة التالية:

شهادة الخدمة المعطاة لي من جلالة

الامام يحيى حميد الدين سنة ١٩٣٧

«بسم الله الرحمن الرحيم

لما طلب نجيب عز الدين، المستخدم لدى حكومتنا ترخيصه بناء على أعذار عائلية، كان منا اسعافه الى ذلك وترجيح اسعافه بما التمسه والموحى اليه في مدة قيامه بالوظيفة التي أودعت اليه، لم يظهر منه ما ينافي حسن الخدمة والتمسك بالآداب، فكان عزمه مشكورا لتاريخه ٢٨ رجب سنة ١٣٥٦».

بسم الله الرحمن الرحيم

لما طلب نجيب عز الدين المستخدم لدى حكومتنا ترخيصه بناء على اعذار عائلية كان منا اسعافه الى ذلك وترجيح اسعافه بما التمسه والموحى اليه في مدة قيامه بالوظيفة التي اودعت اليه لم يظهر منه ما ينافي حسن الخدمة والتمسك بالآداب فكان عزمه مشكورا لتاريخه ٢٨ رجب ١٣٥٦

كنت اعتقد أن موظفاً كان يعمل عشر ساعات يوميا وحتى منتصف الليل على ضوء سراج كاز نمرو (٤) مما أضعف بصره وانهك صحته كان يستحق شهادة أكثر إيجابية .

شكرت القاضي المطهر على تلطفه بالحضور لوداعي، ورجوته رفع شكري إلى الحضرة الشريفة، والتفضل بإصدار الأمر إلى مدير النقليات لإعداد سيارة لنقلي

إلى الحديدة. وصلت السيارة بعد ظهر اليوم التالي، وبعد القيام بواجبات الوداع للأخوان الفريق حسن تحسين الفقير واللواء مصطفى وصفي والطبيبين السمان والحسيني وطبيب الأسنان ممدوح الفقير والأستاذ فوزي عبد الواحد، استقليت السيارة إلى معبر في ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٧ التي وصلتها قبيل الغروب، وكان عليّ أن أمضي ليلتي فيها لأن حرارتي كانت مرتفعة ساعة مغادرتي صنعاء، وقد نصحني الطبيبان السمان والحسيني بإرجاء السفر حتى صباح الغد، فلم أوافق على ذلك يقيناً مني أن السفر هو خير علاج لي. توقفت السيارة أمام دار الضيافة في معبر، حيث كنت قد أمضيت ليلة فيها لدى قدومي إلى صنعاء، فأرسلت كتاباً إلى العامل أخبره فيه عن وصولي وعن حاجتي للراحة في دار الضيافة نظراً لمرضي، وظننت أنه سيهرع لاستقبالي وتأمين راحتي، وإنما عاد الموظف المسؤول عن دار الضيافة إلي بعد نحو نصف ساعة ليقول، إنه ليس باستطاعة العامل فتح دار الضيافة لي، لأنه لم تصله أوامر من جلالة الإمام ليفعل ذلك، ذهب إليه مدير التلغراف للتوسط معه فأصر على رفضه مما حملني على إرسال برقية مستعجلة إلى جلالة الإمام ألتمس فيها إصدار أوامره الكريمة إلى عامل معبر الشهم، الذي رفض فتح دار الضيافة لي بحجة عدم استلامه الأمر الشريف، وإنني مريض ومنهك ويصعب عليّ متابعة السفر. جاءني مدير التلغراف بعد ساعة ليخبرني أن أمر جلالة الإمام قد وصل إلى العامل لفتح دار الضيافة لي وإكرامي وتقديم جميع ما يلزمني، وأنّبه على تقاعسه في استقبالي.

أسرع مدير الدار لفتحها فدخلت وطلبت من الحراس عدم السماح لأحد بالدخول، لأنني مريض وأحتاج إلى النوم والراحة التامة. حضر العامل بعد قليل لعرض خدماته وسؤالي عما أحتاجه فأجابه الحرس بأنني مريض، وقد آويت إلى فراشي وليس باستطاعتي مقابلة أحد. حضر العامل في الصباح الباكر من اليوم التالي لوداعي وإعلامي أن جلالة الإمام قد أمر بتحضير ما يلزمني من طعام حتى وصولي إلى الحديدة. كلفت العامل رفع شكري إلى الحضرة الشريفة وأضفت «ليت كان باستطاعتي شكرك، وكنت أنتظر منك كعربي حتى ولو لم تكن عاملاً للإمام على هذه المنطقة أن تسرع لمساعدتي بعد أن علمت أنني مريض، وأنني قد

أمضيت في خدمة حكومة بلادك أكثر من سنة، حتى ولو لم يصلك أي إشعار من الإمام». غادرت معبر إلى باجل في ٤ أكتوبر صباحاً حيث بادر العامل للترحيب بي، وكان قد تناول برقية من صنعاء عن موعد وصولي.

غادرت باجل صباح ٥ أكتوبر سنة ١٩٣٧، وأمضيت الليلة في مكان قريب من مدينة العبيد، وإنما غير موبوء بالملاريا والحميات.

الوصول الى الحديدة

وصلت الحديدة مساء ونزلت في دار الضيافة، وكانت الأوامر قد وصلت إلى أمير اللواء السيد عبدالله بن الوزير لاستقبالي وتأمين راحتي، وقد قابلت السيد عبدالله في صباح اليوم التالي (٦ أكتوبر) الذي كان قد وصلته أخبار عما لاقيته من الصعوبات وعدم التقدير خلال الأشهر الثلاثة عشرة التي أمضيتها في صنعاء، رغم اجتهادي وإرهاقي في الوظائف العديدة التي أسندت إلي، فشكرت سيادته على تطييب خاطري. قيل لي وأنا في حضرة السيد الوزير إن مركباً صغيراً سيبحر إلى عدن في صباح الغد، فأمر السيد عبدالله بحجز مكان لائق لي عليه، وقد تفضل حضرته بدفع ثمن التذكرة من جيبه الخاص، رغم أنني ألحيت بأن أقوم أنا بذلك. ودّعت الأمير الشهم ثم زرت صديقي التاجر السوري حيث بقيت في ضيافته حتى المساء عندما عدت إلى دار الضيافة.

السفر الى عدن

توجهت إلى المركب في الصباح الباكر ودخلت الغرفة التي خصصت لي، وقد كان ربانها البريطاني ومساعدوه العرب في غاية اللطف، ولما رأوا ما بدا على وجهي من بوادر الضعف والإرهاق تساءلوا كل بمفرده: «وما سبب وصولك إلى هذه البلاد؟».



الشيخ أحمد محمد نعمان يلقي خطاباً في تعز

وصول طليعة قادة اليمنيين الأحرار الى عدن ومنحهم حق اللجوء السياسي

وَصَلَت خلال شهر مايس سنة ١٩٤٤ إلى مدينة عدن على حين غرة وعلى دفعتين طليعة اليمنيين الأحرار المؤلفة من أربعة من أنبل وأخلص شباب العرب وهم:

* الاستاذ أحمد محمد نعمان
* السيد زيد الموشكي
* القاضي محمد محمود الزبيري
* السيد أحمد الشامي

١ ـ الشيخ أحمد محمد نعمان

هو من مواليد قرية ذبحان (لواء الحجرية) سنة ١٩٠٩ م. الملقب بـ «الأستاذ» ـ خطيب اليمن ـ. ينتمي إلى عائلة كريمة تولت حكم المنطقة خلال الحكم العثماني. كان عمه الشيخ محمد أبرز أفرادها. يعتبر الأستاذ أحمد من ألمع رواد الانتفاضة التحررية اليمنية. لعب دوراً رئيسياً في تأسيس وقيادة حركة الأحرار اليمنيين.

التحق في صغره بمدرسة القرية، وفي سن السابعة فر إلى مدينة زبيد حيث مكث سبعة أعوام طلباً للمزيد من العلم في الأمور الدينية.

سافر إلى القاهرة عام ١٩٣٦ والتحق بكلية الأزهر الشريف وبدأ بشرح حالة بلاده المتخلفة. تعرف على الوطني المجاهد محمد علي الطاهر الذي قدمه إلى الأمير شكيب أرسلان الذي أعجب بدوره بشخصية النعمان.

عـاد إلى اليمن بـنـاء على طلب سيف الإسـلام أحمـد ومعـه صحيفـة «اليمن الخضراء» وعين مديراً لمعارف لـواء تعز، وإنمـا لم يلق أي تعـاون من ولي العهـد لتحسين ورفع مستوى التعليم.

التقى في مجلس ولي العهـد في تعـز بشـاعـر اليمن الكبيـر محمـد محمـود الزبيري وبالسيدين زيد الموشكي وأحمـد الشامي، وكـان يجمع بينهم مـا آلت إليه الأمور في بلادهم في ظلم وإرهاق، وما يجب القيام به لتحسين الحالة ورفع المظالم.

شغـل فيما بعـد رئاسـة الوزارة اليمنيـة وعدة منـاصب وزارية أخـرى، وعمل كسفير لليمن لدى جامعة الدول العربية.

كانت أكثرية اليمنيين في عدن من لواء الحجرية الذين هبـوا لمناصـرة حركـة الأحرار، وطبعاً يعود الفضل الأكبر في ذلك إلى ثقتهم بتفاني الأستاذ ومـا تتمتع بـه عائلته من ثقة في اللواء.

٢ ـ الأستاذ محمد محمود الزبيري

لقَّبه الإمام أحمد بشاعر اليمن، كان زعيماً وطنياً مجاهداً. سجنه الإمام يحيى في سجن الأهنوم ثم أطلق سراحه بناء على استرحام الأستـاذ أحمد محمـد نعمان، وعـدد من الـزعمـاء اليمنيين الـذين التمسـوا من ولي العهـد سيف الإسـلام أحمـد التوسط لدى جلالة الإمام لذلك. لا شك أن القصائد التي اضطر الزبيري لإرسالها إلى الإمام وولي عهده قد ساعدت على إصدار العفو عنه وإطلاق سبيله. كان، في نظري، أكثر شعبية من رفاقه الثلاثـة وأقربهم إلى قلوب مـواطنيه لأنـه آثر مـزاولة الأدب والشعر على السياسة ومزالقها.

٣ ـ السيد زيد بن علي الموشكي

شغـل منصب حاكم المقـام في لواء تعـز، وكان من المقـربين من ولي العهد

سيف الإسلام أحمد، نظراً للبشاشة التي لم تفارق وجهه وللنكتة التي اتصفت بها أحاديثه، ولوطنيته الصادقة ومناهضته لأي مسعى أو حركة تمس باستقلال اليمن حتى في المدة التي قضاها مع زملائه لاجئاً في مدينة عدن.

٤ ـ السيد أحمد محمد الشامي

الشاعر والدبلوماسي الذي تولى السفارات اليمنية في مصر ولندن وباريس، وشغل منصب وزير خارجية الملكيين عقب انقلاب سنة ١٩٦٢، وترأس وفد الملكيين اليمنيين إلى المفاوضات بين الملكيين والجمهوريين. ورغم انتسابه إلى عائلة الإمام بالمصاهرة، فقد تمكن من التفاهم والتعاون مع الزعماء الجمهوريين على ما فيه خير البلاد والعباد.

هؤلاء هم فرسان حركة الأحرار اليمنيين وطليعة روادها. قضى بعضهم شهيداً، وأمضى الآخرون في «باستيل» حجة سنوات عديدة يرسفون بقيودهم الحديدية ومعالقهم الخشبية ويلقون شتى أنواع العذاب والمهانة.

طلب هؤلاء الشبان الفارين من بلادهم حق اللجوء السياسي إلى عدن مؤكدين أن الأمير سيف الإسلام أحمد ولي عهد المملكة اليمنية، سيقضي عليهم حتماً إذا ما وقعوا في قبضته ثانية، وأنه لولا فرارهم لكان قد قضى عليهم فعلاً، ولم تكن جريمتهم سوى سعيهم الدمروب لرفع المظالم وتحسين الحالة الداخلية في البلاد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

وقعت السلطات البريطانية في عدن في حيرة من أمرها لم يسبق لها مثيل، لأنها كانت على يقين من أن ولي عهد اليمن، ووالده الإمام سيكيلان لها الاتهامات بأنها هي التي حرضت هؤلاء الشبان على الفرار، وأنه لا يزال لها مطامع في اليمن، كما وأن بعض الدول العربية التي يجهل أكثرها حقيقة أوضاع اليمن ستبادر إلى استنكار التدخل البريطاني الاستعماري إن هي وافقت على منح هؤلاء الأحرار الفارين حق اللجوء السياسي. كما وأنها كانت تدرك أنها إذا استجابت إلى طلب حكومتهم بوجوب تسليمهم لها فسيكون مصيرهم الهلاك الأكيد، إما مباشرة بحد السيف أو تدريجياً في «باستيل» حجه.

استدعاني المعتمد البريطاني وأفادني عن وصول الأحرار، وأنه قد اتصل بالوالي وأطلعه على الخبر، وأن الوالي قد طلب منه بحث الموضوع معي ثم الذهاب معاً للإطلاعه على ما نرتأيه.

استغرق حديثي مع المعتمد أكثر من ساعة توجهنا بعدها للاجتماع بالوالي في دار الحكومة، وبعد نقاش مستفيض طلب مني أن ألخص له رأيي فيما يتعلق بإيجابيات وسلبيات قرار منح هؤلاء الشبان حق اللجوء إلى عدن، فقلت: إن السلبية الوحيدة التي أتصورها هي الاتهامات والاحتجاجات والاستنكارات التي ستصدر عن جلالة الإمام وولي عهده، وبعض المناصرين لهما.

أما الإيجابيات فكثيرة أهمها: إنقاذ حياة أربعة شبان، هم وأمثالهم حالياً أمل اليمن الوحيد من القتل أو الاغتيال داخل السجن. كما وأن تسليمهم أو إبعادهم يسيء إلى أنصارهم المستترين والمنتشرين داخل بلادهم، حيث يتمتعون بتأييد وثقة الناقمين على الحكم الفردي، وهؤلاء كثرة في البلاد. إضافة إلى ذلك يمكن القول إن الأكثرية الساحقة من سكان المحمية ومن العدنيين والتجار اليمنيين في عدن سيصابون بصدمة إذا أصدرت سلطات عدن أي قرار ليس في صالح الأحرار. ثم قلت إن للمسألة وجهاً إنسانياً وخلقياً أيضاً. فهؤلاء الشبان المجاهدون في سبيل إنقاذ بلادهم، لم يقتلوا أحداً ولم يختلسوا أموال الدولة، أو يعتدوا على أحد، حتى نعتبرهم مجرمين ونسلمهم للمقصلة الإمامية. وعد الوالي بدرس هذه النقاط ورفع تقريره وتوصياته إلى حكومته. خرجت من مكتب الوالي، وبقي المعتمد البريطاني معه برهة قصيرة، ثم تبعني إلى السيارة وأخبرني أن الوالي موافق مبدئياً معي على أكثر النقاط التي ذكرتها له، وأنه سيرسل بتوصياته إلى لندن وينتظر تعليماتها، وطلب مني الاجتماع إلى الشبان الأربعة للوقوف على أسباب فرارهم من تعز ولجوئهم إلى عدن. كما فهمت منه أنه أيد التوصيات التي قدمتها للوالي رغم ما قد تجره على السلطات المسؤولة من متاعب وانتقادات وقال ضاحكاً: لقد برهنت اليوم بأنك محامٍ بارع عن الأحرار، وسألني إذا كنت أعرفهم شخصياً، فأكدت له أنني لا أعرفهم وإنما كنت أستنتج من أحاديث أصدقائي القادمين من اليمن، أن الأمير سيف الإسلام أحمد قد جمع حوله عدداً من الشباب المتنور المخلص، وإنه يأمل

منهم كل عون على تحسين أحوال البلاد وهذا ما سرني كثيراً.

فور وصول الأحرار جرى إعداد منزل مناسب لإقامتهم، وقد سررت بزيارتهم لي في منزلي مساء ذلك اليوم، إذ تسنى لي التعرف عليهم وسماع أقوالهم. لم ألمس من كلامهم في هذا الاجتماع أي حقد أو انتقاد لاذع بحق سيف الإسلام أحمد، الذي كان قد قربهم منه وأسند إليهم مهمات استشارية، فكانوا يحضرون مجلسه باستمرار ويبدون آراءهم حول الأمور التي تعرض عليهم، وكانوا يشعرون بأن ولي العهد قد بدأ يتجاوب معهم ويشجعهم على العمل الجدي لما فيه خير الإمامة والبلاد.

طبعاً لم يرق تقربهم هذا لباقي رجال الحاشية والنافذين النفعيين المحيطين بالأمير، والذين شعروا بأن سيف الإسلام بدأ يتغاضى عنهم ويعير اهتماماً متزايداً للشبان الجدد الذين يفوقونهم علماً وحكمة، وعلى الأخص الأستاذ أحمد محمد نعمان خريج كلية الأزهر الشريف ودار العلوم، وأحد الزعماء الجنوبيين المرموقين في لواء الحجرية، وهكذا شرعوا بإحاكة الدسائس وخلق المكائد لهم متهمين إياهم بأنهم يعدون برامج تقدمية إصلاحية تهدف إلى القضاء على الإمامة وخلع الملك، وإقامة حكم جمهوري ديموقراطي، يكونون هم قادته والمسيطرون عليه. ولما كان سيف الإسلام أحمد رجلاً عاطفياً ومتسرعاً، بدأت الشكوك تخامره بكل عمل أو رأي يصدر عن هؤلاء الشبان، وأخذ في مراقبتهم ورصد حركاتهم والتضييق عليهم تدريجياً إلى أن شعروا بأن الأمير يضمر لهم شراً، وأنه قد يأمر باعتقالهم وسجنهم والتنكيل بهم في أي لحظة، فآثروا الفرار والالتجاء إلى عدن.

بعد سماع أقوال الأحرار، أجبتهم مرحباً بقدومهم ومهنئاً بسلامة وصولهم، وأكدت لهم بأنني قد عملت في حكومة اليمن واطلعت على حقائق الأمور في ذلك القطر العربي العزيز، وشاركت شعبه في ما يقاسيه من أهوال ومحن، وإنني متفهم كلياً لوضعهم وجل ما أرجوه منهم ألا ينظروا إليَّ كموظف في حكومة عدن، بل كأخ عربي لا يكن لهم ولبلادهم إلا المودة والوفاء.

اطلعتهم على ما جرى في اجتماعي مع الوالي والمعتمد البريطاني في الصباح، وعن التوصيات التي قدمتها لهما حول ضرورة منحهم حق اللجوء

والأسباب الداعية لذلك. شكروني على اهتمامي بهم فاعتذرت عن قبول هذا الشكر على أساس أن لا شكر على واجب.

أعددت تقريراً عن هذا الاجتماع وسلمته إلى المعتمد في اليوم التالي، وقد اطلع عليه الوالي في نفس اليوم وكان مسروراً من اعتدال موقف الشبان الأحرار واستعدادهم لعدم القيام بأي بادرة قد تزيد موقف سلطات عدن حرجاً تجاه حكومة اليمن. ولما كنت أخشى أن يقرر الوالي الطلب من هؤلاء الأحرار مغادرة عدن إلى أي مكان يختارونه، وليقيني أن أكثرية الدول العربية سترفض إلجاءهم في بلادها، فقد طلبت من المعتمد إعلام الوالي بوجوب عدم إخراجهم إذ إنهم قد يلجأون إلى إحدى الإمارات المحمية، مثل يافع العليا حيث لا سلطة لحكومة عدن عليها، ومن المؤكد أن مشائخ تلك المنطقة لن يرضوا بتسليمهم فيما إذا طلبنا منهم ذلك، لأن القبيلي الاصيل يرفض تسليم من يلجأ إليه ويدافع عنه ويحميه بكل قواه. يظهر أن هذه الإمكانية لم تكن واردة في تفكير الوالي والتي ذكرها في تقريره الثاني إلى حكومته، وأوصى بإعطاء اللاجئين اليمنيين حق اللجوء إلى عدن مع اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنعهم من القيام بأي حركة أو حملة دعائية ضد الإمام وحكومته، وإعلام الإمام عن هذا التدبير الوقائي الذي قد يخفف من غضبه وغلوائه. وافقت الحكومة البريطانية على ذلك وطلب مني الاتصال بالأحرار وإبلاغهم الشروط التي على أساسها سيسمح لهم بالبقاء في عدن. كما وأن الوالي قام بإبلاغ حكومة اليمن بفحوى قراره.

دعوت هؤلاء الأخوان وأبلغتهم شروط الحكومة لبقائهم في عدن، وشرحت لهم حراجة موقف السلطات المحلية تجاه الإمام وطلبت منهم التقيد بهذه الشروط التي أعتقد أنها لصالحهم وأن السلطات العدنية ستتخذ كافة الإجراءات لحمايتهم وأنهم باستطاعتهم التجول في عدن وزيارة من شاءوا أو استقبال الزوار، وإنما يحسن أن يمتنعوا عن إلقاء الخطب في المساجد والنوادي أو في الاجتماعات العامة إذ باستطاعتهم عرض قضيتهم وما جرى لهم على زوارهم في منزلهم. لم يتردد الأخوان في قبول تلك الشروط المعقولة والمعتدلة. طلبت منهم مراجعتي بكل ما يلزمهم لأن الوالي قد أسند إلي مهمة الاهتمام بأمرهم، وأن منزلي مفتوح لهم في أي وقت خارج ساعات العمل الحكومي.

شاع نبأ وصول الأحرار إلى عدن فتهافت العدنيون واليمنيون على زيارتهم في منزلهم الصغير للترحيب بقدومهم وللتعبير عن تأييدهم الكلي لهم، عارضين خدماتهم عليهم متكفلين بتقديم كل احتياجاتهم، وإنما نفوس هؤلاء الشبان الكبيرة وإباؤهم حملهم على شكر زائريهم والامتناع عن قبول أي مساعدة لأشخاصهم. وهكذا أصبح وصولهم موضوع حديث الساعة في عدن وجوارها، وكان أصدقائي العدنيون يحدثوني عن مزايا أحرار اليمن، وما يتحلون به من أخلاق عالية ومن تهذيب رفيع وروح وطنية تحررية. أما اليمنيون في عدن فكانوا يؤثرون زيارة أحرار بلادهم ليلاً لعلمهم أن عيون النظام اليمني ترقب الزائرين وتبلغ أسماءهم إلى ولي عهد اليمن في تعز، الذي قد يعمد إلى التنكيل بأهلهم وذويهم داخل اليمن.

بعد مدة وجيزة من وصول الأحرار إلى عدن مرض السيد أحمد بن محمد الشامي واستدعي الدكتور أحمد عفارة لمعالجته، ثم تم نقله إلى المستشفى العسكري في التواهي، وقد جاء في كتاب السيد الشامي «رياح التغيير في اليمن» ما يلي حول مرضه:

«وبعد بضعة أيام رأيت شخصاً فتذكرت أني أعرفه، وقد أقبل علي وهو يقول أهلاً وسهلاً سيد أحمد، ألا تعرفني؟ أنا نجيب عز الدين التقينا في بيتكم في صنعاء مراراً، وسألني عن صحة الوالد عبد الرحمن الشامي وفلان وفلان وقال: لم يعلم المستر «سيجر» المعتمد البريطاني أنك مريض إلا اليوم، وقد انتدبني إليك للتحية ولنقلك فوراً إلى المستشفى العسكري وسيارة الاسعاف تنتظرك في الباب، وسأكون رفيقك حتى تصل - لا تخف - وقد أنست وارتحت لكلامه».

ظل الأحرار ملتزمين بتعهداتهم للحكومة العدنية ولم يقوموا بإلقاء أي خطبة عامة، وإنما حصروا جهودهم في المناقشات الفردية مطلعين زوارهم على حقيقة الوضع في اليمن، وعلى ما يلزم إعداده للمستقبل. تعدلت هذه الخطة عقب وصول سيف الحق إبراهيم أحد أنجال الإمام يحيى إلى عدن الذي تبنى حركة أحرار بلاده، وتولى قيادتها الاسمية، ومما يجدر ذكره أن السيدين زيد الموشكي وأحمد الشامي كانا قد آثرا العودة إلى اليمن بعد استلامهما ورقة الأمان من سيف الإسلام ولي العهد، بعد مدة من وصولهم. وقد أعدم الأول فيما بعد لاشتراكه في الحركة الانقلابية سنة ١٩٤٨ وأسند إلى الثاني مركزاً رفيعاً في حكومة بلاده.

من أسباب عودتهما هذه ما سبق وحصل من سوء تفاهم بينهما وبين الأستاذين النعمان والزبيدي حول اتهام السيدين لهما، وهذا ما فعله سمو الأمير سيف الحق إبراهيم فيما بعد، بأنهما محتكران للقضية التحررية اليمنية، النعمان مالياً والزبيري أدبياً فالخطة التي اتبعها الأستاذان كانت تقضي بعدم البوح بأسماء مناصريهم مادياً ومعنوياً لتجنب تعرضهم مع ذويهم داخل وخارج اليمن للعقاب والأذى. فسر منافسوهما ذلك بأنه عدم ثقة بهم وحجة لاستمرار الاحتكار. وكما يعلم الجميع فقيادة لواء الحجرية الذي يبلغ عدد سكانه نحو ٢٠٠ ألف نسمة كانت ولا تزال تجل وتقدر آل النعمان منذ القدم وأن الأكثرية الساحقة من تجار وعمال اليمن في عدن هم من أبناء هذا اللواء. ومما لا شك فيه أن أحد الدوافع الأساسية لتأييدهم لحركة الأحرار ومدهم بالأموال هو وجود الأستاذ أحمد محمد نعمان على رأسها.

إن السيدين زيد الموشكي وأحمد محمد الشامي اللذين عرفتهما لمدة غير وجيزة عندما كانا يترددان مع الأستاذين النعمان والزبيري على منزلي في عدن للمداولة في قضيتهما هما من رواد حركة التحرر اليمنية، وكانا عضوي القيادة السياسية العليا للحركة. لا شك أن بعض أصحاب النوايا السيئة ممن لم يرقهم وحدة كلمة هؤلاء الفرسان القياديين الرواد قد تمكنوا من إثارة السيدين المجاهدين ضد زميليهما بقصد التفرقة بينهما. لقد جرى اتهام الزبيري بأنه ظل للنعمان كما جرت محاولة فيما بعد لحمل سيف الحق إبراهيم على العودة إلى طاعة والده بقصد القضاء على حركة الأحرار، وهكذا أراد بعض الحاقدين على النعمان أن يفسدوا العلاقات بينه وبين سيف الحق إبراهيم فقالوا للأمير:

«إن النعمان مستأثر بشؤون الجمعية وأموالها وأسرارها والمرتبطين بها وأنت مجرد زعيم للجمعية لا تعرف عن شؤونها شيئاً. ولا حتى أسماء أعضائها، وقد أجابهم كما قيل: «بالله عليكم لو لم يكن النعمان في عدن وله مكانته عند قومه وأهل بلده، هل كان أحد يقوم مقامه في عدن؟ أين كان هؤلاء عشرات السنين قبل قدوم النعمان إلى عدن؟ من كان الذي سيستقبلنا فيها أو ينزلنا في هذه الدار ويهيء وسائل العمل لنشر القضية في صحيفة ومطبعة ودفع النفقات؟» ألحوا عليه لطلب معلومات عن مالية الجمعية وأعضائها، إذ لو حدث للنعمان حادث فلن يكون أحد على بينة من الأمور. حاول المحرضون للأمير إبراهيم إقناعه بعدم قبول حجة النعمان بأنه مؤتمن على أسرار لا يمكن إفشاؤها خوفاً على الانتقام من عائلات المؤيدين للحركة داخل اليمن.

المعروف أن التضامن بين الزبيري ونعمان ظل قائماً حتى مصرع الإمام يحيى سنة ١٩٤٨، عندما أدخل الأستاذ النعمان السجن بتهمة مشاركته في الحركة الانقلابية، حيث بقي سبع سنوات كان الأستاذ الزبيري خلالها في الباكستان ثم في مصر، وقد برهن عن وفاء مثالي إذ كانت أفكاره ومشاعره مع إخوانه القابعين في سجون حجة، وقد قال في إحدى رسائله إلى الأستاذ النعمان: «أقسم بالله إنني لم أنم على فراش وثير، ولا نلت لذة أنت محروم منها، ولا نمت وأنت ساهر، ولما انطلقت وأنت بسجن». لقد كان للحملات الموجهة ضد الأستاذ الزبيري بأنه آلة بيد النعمان، وصدى لصوت سيده تأثير سيء عليه، مما أدى إلى تشتيت حركة التحرير بين الحزبيات المختلفة. تحسنت العلاقات فيما بعد بين الأستاذين الرائدين وعادت إلى سابق عهدها من الصفاء، وعندما تشكلت أول حكومة بعد الانقلاب عين الأستاذ الزبيري

وزيراً للمعارف فرفض الإشتراك بوزارة لا تضم رفيق الجهاد الأستاذ النعمان، وظل مصراً على عدم الاشتراك إلى أن أقنعه النعمان بواجب الاشتراك ففعل وسافر إلى اليمن. تعين الأستاذ نعمان فيما بعد مندوباً للجمهورية العربية اليمنية لدى جامعة الدول العربية.

محاولة خطف أو اغتيال النعمان والزبيري

كان ولي عهد اليمن سيف الإسلام أحمد قد أوفد عدداً من كبار مساعديه لزيارة عدن، والسعي لإقناع السلطات البريطانية لتسليم الأستاذين النعمان والزبيري، أو لطردهما من عدن، كما وأنه ألحّ على رسله ومبعوثيه بمحاولة الاجتماع بالزعيمين المذكورين لإقناعهما بضرورة العودة إلى أرض الوطن، وقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل، ولذلك قرر ولي العهد زيارة عدن بحجة الاستشفاء ظناً منه بأنه سيتمكن من إقناعهما بوجوب العودة لمساعدته على إجراء الإصلاحات اللازمة والتأكيد لهما بأنه لن ينزل بهما أي عقاب وأن الماضي مضى وفات وأنه لا يكن لهما سوى الخير.

استدعى أحمد الأستاذين لمقابلته في قصر سلطان لحج في عدن حيث كان ينزل فرفضا، مما حمله على وضع خطة لخطفهما أو اغتيالهما مهما كلف الأمر بعد أن تحقق له وهو في عدن أن الأكثرية الساحقة من اليمنيين فيها يؤيدون حركة الأحرار الإصلاحية والتحررية تأييداً تاماً، وأنه إذا لم يتمكن من القضاء على هذه الحركة وعلى زعيميها فإنهم سيقضون على حكمه وحكم والده.



سيف الإسلام أحمد في عدن عام ١٩٤٦

ففي صباح ذلك اليوم ١٥ أبريل سنة ١٩٤٦ أبلغني مدير الشرطة البريطاني إن شرطة باب السلب (بين عدن القديمة والشيخ عثمان) قد أوقفت يمنيين بسلاحهما الكامل وهما يدعيان بأنهما حضرا إلى عدن بأمر من سيف الإسلام أحمد للانضمام إلى حرسه وحاشيته، مع أنه كان لدى ولي العهد عدد كافٍ من رجال العكفة والمرافقين، وهذا ما حملنا على الظن بأن سموه قد يقوم بأي عمل للقضاء على النعمان والزبيري وكنا قد علمنا برفضهما مقابلته. ففي المساء ازدادت الشكوك حول ما يقدم عليه سموّه وهو المعروف بعدم تقريره للعواقب في سبيل بلوغ أهدافه ومراميه تداولت مع المعتمد البريطاني ومع مدير الشرطة وقررنا إرسال عدد من الشرطة المسلحة لحماية الزعيمين اليمنيين في المنزل الذي يقيمان فيه. وصلت الشرطة إلى المنزل فلم تجد الزعيمين فيه فاتصلوا بي وأخبروني عن عدم وجود أحد في المنزل، فاضطربت أفكاري، إذ أول ما تبادر إلى ذهني هو أن رجال ولي العهد لربما نجحوا في خطف الصديقين النعمان والزبيري. أسرعت لارتداء ثيابي في ساعة متأخرة من الليل وذهبت إلى مركز شرطة مدينة عدن القديمة، حيث التقيت بقائد المركز وبالرجال المرسلين لحراسة الزعيمين وبعد التحقيق المستفيض تبين لنا أن الزعيمين قد بُلِّغهما ما يدبره لهما ولي العهد، فلجآ إلى منزل سماحة الشيخ الورع خير الدين علم الدين زعيم وشيخ طائفة البهرة الإسماعيلية في عدن الذي ينتمي إلى عائلة علم الدين الكريمة في طرابلس الشام.

كان الأستاذان النعمان والزبيري في حالة شديدة من القلق، إذ كما تبين لي أنه لم يكن همهما الأول ضمان سلامتهما بل تحاشيهما بأن يكونا السبب في نزاع جديد بين وطنهما اليمن والسلطات البريطانية في عدن. عاد الزعيمان إلى مقرهما الذي وضع تحت حراسة مشددة، ولم يسمح لأحد غيري بزيارتهما إلا بعد استئذانهما. إن حكومة عدن قد أعطت الزعيمين حق اللجوء السياسي ولذلك يتوجب عليها حمايتهما.

استاءت السلطات البريطانية من هكذا تصرف مستهجن يقوم به ولي عهد اليمن خلال زيارته الرسمية لعدن وضيافة حكومتها له. عقد اجتماع في دار الحكومة برئاسة الوالي وبحضور قائد القوات المسلحة ماريشال الجو وكبار رجال

الحكومة البريطانيين، وقد طلب الوالي من المعتمد البريطاني حضوري معه، فأبدى الجميع سخطهم واستنكارهم للحادث واقترح البعض سرعة إخراج ولي العهد وحاشيته من عدن كما أمر قائد الجيش سحب جنود الحرس والدراجات النارية المرافقة لموكب الأمير فوراً وكان الجو السائد في غاية الخطورة والحراجة.

اقترح المعتمد البريطاني على الوالي الاستماع إلى رأيي، فأجاب الوالي بأنه ينوي ذلك فعلاً. أبديت أسفي للحادث المناقض للعادات العربية المجيدة وطلبت التمهل في إجراء أي قرار سريع واعتباطي قد يعود على الحكومة العدنية والعدنيين بالضرر أكثر من اليمنيين، لأن من يعرفون حقائق شخصية ولي العهد وما عرف عنه من تسرع في أحكامه يدركون مدى الأذى الذي بإمكانه إلحاقه بذوي الزعيمين النعمان والزبيري وبالمصالح العدنية عموماً ـ اقترحت على المجتمعين بأن أقوم بمراجعة ولي العهد والأمير يحيى وكبير حكامه القاضي حسين بن علي الحلالي للاطلاع على حقيقة ما جرى بغية الوصول إلى مخرج مناسب فوافق الوالي على اقتراحي.

زرت قصر سلطان لحج في اليوم التالي وقابلت سيف الإسلام أحمد وشقيقه يحيى والقاضي الحلالي فأبديت لهم استياء حكومة عدن لِما حصل. قابلت الأمير يحيى والحلالي على انفراد ولمست منهما شدة تألمهما واستنكارهما أيضاً لما حصل، وبعد جلسة مطولة استغرقت بضع ساعات وباقتراح مني اتفقنا على الإستنكار والاعتذار عن ذلك وإلصاق تهمة محاولة الاعتداء على الزعيمين اليمنيين ببعض أفراد جنود الحاشية مدفوعين بالحقد والجهل والتسرع وغير مدركين مدى خطورة نتائج عملهم وأن ولي العهد وعد بإنزال أشد العقاب بالمتهمين لدى عودته إلى بلاده. وهكذا أمكن الوصول إلى حل تغطية سبب لي الإنهاك والحرج واضطرني لدخول المستشفى. عاد الأمير أحمد إلى امارته في تعز مشيعاً من اليمنيين وبعض العدنيين ودون اشتراك البريطانيين.

زارني في المستشفى الذي لزمته لمدة اسبوع القاضي حسين الحلالي الذي كلفه سمو الأمير استفقادي، والأمير علي عبد الكريم نيابة عن عظمة والده السلطان عبد الكريم فضل سلطان لحج، كما غمرني بعض أمراء المحميات الموجودون في

عدن والأخوان العدنيون بلطفهم ومحبتهم وتقديرهم. الشيء الذي أقلقني هو تكرار سريان إشاعة في عدن لم أتحقق من مصدرها، مفادها أن الأطباء البريطانيين قد دسوا لي السم لأنني ضابط عربي مسلم وأبيض اللون، أحسن لغتهم وأقف لدى اللزوم في وجه تعنت وكبرياء بعضهم. الحقيقة هي أن الأطباء البريطانيين والهنود والممرضين العرب قد أبدوا اهتماماً كلياً ومشكوراً بي.

اطلع سيف الاسلام أحمد على الجهود التي بذلتها لإنقاذ الموقف والحفاظ على سمعته وكرامة بلاده ولما كان يعلم أنني مصمم على ترك خدمة حكومة عدن لأسباب صحية طلب مني زيارته في تعز للاتفاق على شروط الوظيفة التي سيسندها إلي بعد ترك عدن وبعد أن رأى بأم العين المركز الرفيع الذي أشغله فيها والإخلاص والمساعدة التي اسديها لليمانيين، وما قمت به لإنجاح المساعي الآيلة لعدم إلحاق أي ضرر باليمن وشعبها. شكرته على ثقته الكريمة وأفهمته أنني بحاجة لفترة طويلة للراحة والاستشفاء وساعة وداعه قال لي: «ننتظرك في وطنك اليمن».

كان أول عمل خارجي قام به الإمام أحمد فور اغتيال والده والقضاء على الانقلاب هو استدعائي للحضور فوراً إلى تعز لأكون بجانبه بعد أن بدأت اعترافات الدول العربية والأجنبية تتوارد عليه. وكان قبل ذلك قد ألح على والده الإمام يحيى لانضمامي إلى وفد اليمن لحضور مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن حول القضية الفلسطينية ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧.

ثم بناء على إلحاح ولي عهده الأمير محمد البدر طلب مني مرافقة البدر والوفد اليمني بصفة مستشار لزيارة عدد من الدول العربية ١٩٤٩ للتوسط في النزاع المصري ـ الاردني حول حرب فلسطين وزرنا سوريا والاردن ولبنان ومصر والسعودية. بناء على إلحاحي وعلى حالتي الصحية وافق الإمام أحمد على تعييني في وفد اليمن لدى الأمم المتحدة ثم كمستشار المفوضية اليمنية التي اسهمت في إقامتها في واشنطن بعد أن اسهمت بتأسيس هيكل شبه عصري لوزارة الخارجية في تعز وتدريب ولي العهد البدر على بعض القوانين والقواعد الدولية الأساسية والبروتوكول.

وأورد هنا نص كتاب من الأستاذين أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٤٦ يشكراني فيه على ما بذلته من جهود لحمايتهم من محاولة الاغتيال التي دبرت لهم خلال زيارة سمو ولي عهد اليمن سيف الإسلام أحمد لعدن. لقد تم آنئذ القبض على الشخصين اليمنيين اللذين أسندت إليهما مهمة الاغتيال وطردهما من عدن كما كلف أربعة من رجال الشرطة العدنية المسلحة بحماية منزل زعيمي الأحرار البارزين.

بسم الله

حيا الله قلبك العربي الكريم

سهرت ونام اللاجئون بغبطة وما يزعج النوام والساهر الاب

لقد كتبنا إليكم البارحة وما كنا نظن تحقيق أمنيتنا في لحظة ولذلك ذهبنا للنوم عند بعض الاخوان وجاء جنودكم يجوبون البلاد طولاً وعرضاً ويبحثون في عدن والمعلا والتواهي والشيخ عثمان وقد جئنا الصباح الباكر والاربعة الجنود واقفون في باب المنزل.

وبلغنا الأولاد أن الكمشتر والمستر رين كانوا قد حضروا في الليل وطمئنوا الموجودين.

بناء على ذلك أيها السيد الكريم فنحن لا نستطيع أن نؤدي واجب الشكر الذي يكافيء عملكم هذا، فحياكم الله.

المخلصان

الزبيري ونعمان ١٦/٤/٤٦

الأستاذ أحمد محمد نعمان في سجن حجة

والمساعي التي قمت بها لإنقاذ حياته مع بعض صحبه

حاولت منذ عودتي إلى اليمن في شهر مايو سنة ١٩٤٨ استقصاء أخبار صديقي المجاهد الأستاذ أحمد محمد نعمان في سجنه في حجة. أكثر الذين سألتهم عنه اكتفوا بالإجابة أنهم لا يعرفون شيئاً عنه أو عن مصيره أو حتى إذا كان لا يزال حياً أم لا. أخيراً التقيت شاباً فاضلاً يعمل كسكرتير خاص في ديوان جلالة الإمام، وكان قد رافق جلالته لدى زيارته لعدن في عام ١٩٤٦ عندما كان لا يزال ولياً للعهد، وشاهد ما قمت به من جهود لإنجاح تلك الزيارة ولتغطية ما رافقها من شوائب. فلقد قيل لي إن هذا الشاب مولج بإبلاغ أوامر الإمام إلى أمير لواء حجة عندما يقرر جلالته إعدام أي من الذين اشتركوا في الانقلاب، أو المتهمين بتدبير عملية اغتيال الإمام يحيى وصحبه والمحرضين على ذلك. إنني كنت أعلم أن الأستاذ النعمان كان لا يزال في عدن عندما حصل الانقلاب والاغتيال، وإنما كان الإمام أحمد وكبار رجال عهده متأكدين أن حركة الأحرار اليمنيين التي بدأت في عدن بقيادة الأستاذ نعمان والقاضي محمد محمود الزبيري هي المسؤولة عن ذلك الانقلاب والاغتيال، ولما كان القاضي الزبيري خارج اليمن لحسن الحظ في مهمة كان قد أسندها إليه السيد عبد الله بن الوزير، فقد حصر المفسدون جهودهم لحمل الإمام أحمد على سرعة الانتقام من النعمان.

لمست من السكرتير الشاب أنه مطلع على عمق صداقتي مع الأستاذ نعمان، وأنه هو أيضاً من مقدريه رغم استنكاره للطريقة البربرية التي اغتيل بها جلالة الإمام الشيخ. قلت له إنني أيضاً أستنكر تلك الطريقة الشنعاء، ولكنني واثق من أن الأستاذ نعمان لا علم له بها لأنه كان في عدن، وكيف له أن يعلم أن جلالة الإمام يحيى رحمه الله سيخرج مع المرحوم القاضي عبدالله العمري ومرافقيهم لتفقد إحدى المزارع خارج صنعاء يوم اغتياله. المهم في الأمر أنني وضحت ثقتي بهذا الشاب النافذ لدى جلالة الإمام أحمد والملازم له بأنه سيطلعني على كل ما قد يجدّ في مسألة النعمان، وأنه سيساعدني على عمل ما يمكن لمحاولة إنقاذ رأس هذا الزعيم المجاهد من سيّاف حجة. سألته عن رأيه في إمكانية تقديم استرحام لجلالته للعفو

عن صديقي فنصحني بألا أتسرع وأكد لي أنه سيخبرني عندما يظن أن الظرف مناسب لبحث هكذا موضوع هو في منتهى الخطورة لدى جلالة الإمام.

مجلس الإمام أحمد عقب اغتيال والده

لم يكن جو مجلس الإمام أحمد في مقامه الشريف في تعز يروقني، ولم أكن أحضره إلا لدى استدعائي للإجابة على أسئلة تتعلق بعملي أو لأخذ رأيي في موضوع ما. لم يكن ذلك المقام ليخلو من وجود شخصيات من أدعياء الشعر والخطابة والتنجيم يكيلون لجلالته المديح بغير حساب حاثين إياه على الإسراع في ضرب أعناق الذين اشتركوا في تدبير وتنفيذ جريمتي الانقلاب واغتيال والده الإمام الشهيد يحيى بن محمد حميد الدين، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم بأن أعناق هؤلاء كانت قد ضربت بعد أيام قلائل من حصول الانقلاب والاغتيال، وجل ما كانوا يهدفون إليه هو إعدام الأستاذ أحمد النعمان وبعض أعوانه الذين شغلوا أعلى مناصب الدولة فيما بعد.

بعد حوالي الأسبوع زارني صديقي السكرتير الخاص وأخبرني أنه يشعر بأن جلالة الإمام قد يصدر أمره إلى نائبه في حجة لاعدام الأستاذ النعمان، ورجاني عدم ذكر شيء عن زيارته لي فيما إذا قررت مقابلة جلالته للاسترحام. اتفقت مع هذا الصديق الكريم أن أرسل كتاباً إلى جلالة الإمام وأطلب مقابلته لأمر هام وأنه فور استلام كتابي سيرجو جلالته لمقابلتي، وهكذا كان. أرسلت كتابي مع جندي سلمه إلى جلالة الإمام الذي قرأه وقال على مسمع من السكرتير الخاص يظهر أن لدى الأستاذ نجيب أمر هام يريد بحثه معنا. أجابه السكرتير أن الأخ نجيب لا يمكن أن يطلب مقابلة إلا لأمور هامة. بالاختصار وبعد أقل من نصف ساعة من إرسال الكتاب استدعاني الإمام لمقابلته فأسرعت إلى المقام وكان الإمام يستعد لتأدية صلاة المغرب ولدى عودته إلى مجلسه رجوته أن تكون المقابلة على انفراد نظراً لأهمية الموضوع فأمر الحضور بدخول الغرفة المجاورة وجلست أمامه وبقربي سكرتيره الخاص.

بدا جلالته على غير عادته مرحاً وبادرني قائلاً: «خير إن شاء الله، تريد

مقابلتي على انفراد ولأمر هام، وطبعاً الأمر الهام عندك هو ترك خدمتنا والسفر إلى بلادك لأسباب صحية أليس كذلك؟» قلت لدي الآن يا مولاي أمر أهم من صحتي وهو الاسترحام لإنقاذ حياة صديق عزيز علي، تأكدت من إخلاصه لبلاده بعد اختبار مدة تزيد عن السنة في عدن، فقاطعني قائلاً: «طبعاً تقصد الأستاذ نعمان» أكدت لجلالته أنني لا أقصد غيره (عندما يذكر لقب الأستاذ في أوساط الإمام والحركة التحريرية، فإنه يرمز إلى أحمد محمد نعمان). قال: «هات ما عندك». قلت: جئت للاسترحام وحاشا على جلالة مولاي أن يخيب أملي، أضفت إنني مستعد لخدمة جلالته لمدة سنتين كاملتين إن أحياني الله وساعدتني حالتي الصحية دون مقاضاة أي راتب إن هو تكرم بالاستجابة لاسترحامي، وأن لدي البراهين القاطعة على وفاء هذا الأستاذ لبلاده وإمامه وما سمعته منه عن العطف الكريم الذي كان هو والزبيري والموشكي والشامي ينعمون به من قبل جلالتكم قد جعل الحقد والحسد يتسربان إلى قلوب بعض رجال حاشيتكم الذين رأوا في تقريبكم هؤلاء الشبان المثقفين بداية لنهاية نفوذهم واستغلالهم لوظائفهم، فعمدوا بشتى الوسائل إلى إبعادهم عنكم فأوغروا صدركم عليهم بما كانوا ينسبون إليهم من مطامح وأهداف لا تمت إلى الحقيقة بصلة. مما حملهم على الفرار إلى عدن خوفاً على حياتهم. رجوت جلالته أن يأذن لي برفع تقرير مطول عن هؤلاء الشبان وما أطلعوني عليه خلال إقامتهم في عدن، لأنني المسؤول عن تحركاتهم فرحب جلالته بالفكرة قائلاً: «أكتب ما تعلمه عنهم وسأنظر في الأمر». ثم أضاف بأنه يرفض اقتراحي بأن أخدم حكومة عامين مجاناً، لأنني صاحب عائلة وأنه راض عن عملي غاية الرضاء، وأنه يريدني الاهتمام بتدريب الأمير محمد البدر والبقاء إلى جانبه. قلت لجلالته إنني سأقوم بتنفيذ أوامره وإنني أرجو أن أجد الأستاذ نعمان قريباً إلى جانب سمو الأمير لأن مجرد وجوده معه معناه ولاء أكثرية المناطق الجنوبية له، أجابني جلالته «اطمئن يا نجيب». عندئذ سارعت إلى تقبيل يديه وسط التأثر الذي كان يبدو على وجهه واستأذنته بإرسال كتاب وهدية إلى الأخ الأستاذ نعمان فوافق على ذلك وطلب مني إعداد التقرير والكتاب، وإن الهدية سيستلمها الأستاذ منه وباسمي.

عدت إلى غرفتي في دار الضيافة وأنا أشعر ولربما لأول مرة منذ وصولي إلى اليمن بالفرح والابتهاج.

زارني بعد قليل في غرفتي السكرتير الخاص النبيل وهنأني على نجاح المهمة قائلاً: «كن مطمئناً لأن جلالة مولانا قد تأثر كثيراً بما سمعه منك وأنه أصبح يدرك أن الوشاة ودعاة السوء يجسمون الاتهامات الموجهة إلى نعمان وأنهم كما قلت لجلالته بأنه لو نجح انقلاب ابن الوزير لكانوا مثلوا أمامه نفس الدور الذي يلعبونه الآن، كما وأن مولانا يميل إلى الاتفاق معك حول وقع نبأ العفو عن الأستاذ نعمان في محيطه في جنوبي البلاد وعما سيلقاه من استحسان وترحيب». لذلك اطمأنيت!

التقرير عن لجوء الأستاذ نعمان وصحبه الى عدن

١ - بدأت تقريري بشرح كيفية فرارهم إلى عدن، والأسباب التي دعتهم لذلك وفي مقدمتها وشايات وتحريض المغرضين الحاسدين لعلمهم أن الشبان الأربعة النعمان والزبيري والموشكي والشامي يفوقونهم علماً وذكاء وإخلاصاً لوطنهم، وأن في تقريب جلالة الإمام أحمد لهؤلاء، قضاء على نفوذ وسيطرة الطغمة القديمة الفاسدة، لذلك عمدوا إلى إيغار صدر صاحب الجلالة عليهم متهمينهم بالسعي للإستيلاء على السلطة وتغيير نظام الحكم والقضاء على الإمامة، بينما لم يكن طموح هؤلاء الشبان يتعدى السعي الحثيث لدى جلالة إمامهم الذي محضهم ثقته لإجراء اصلاحات عديدة في البلاد ورفع مستوى الشعب واستغلال ثروات البلاد المعدنية والزراعية وإنشاء المدارس الثانوية والعالية والمستشفيات والمستوصفات وتنظيم المالية وقوانين الجباية الجائرة وملاحقة العمال والحكام الطغاة والمرتشين.

٢ - وصل هؤلاء الشبان إلى عدن في حالة ذعر وخوف، وطلبوا منحهم حق اللجوء السياسي حفاظاً على أرواحهم، وقد أعطوا هذا الحق بعد أن تعهدوا بحسن السلوك والمحافظة على كافة القوانين المحلية، وعدم إلقاء الخطب الماسة ببلادهم وإمامهم لا في المساجد ولا النوادي ولا في المجتمعات العامة أو الحفلات، وقد عينتني حكومة عدن مسؤولاً عنهم وعن تنقلاتهم. حافظ الأستاذ نعمان والقاضي محمد محمود الزبيري على كافة تعهداتهم.

٣ - كان أول اتفاق بيني وبينهم هو عدم اتصالهم مباشرة بأي من المسؤولين

البـريطانيين، لأن ذلـك يسيء إلى سمعتهم وكرامتهم الشخصيـة ويضر بقضـايا ومشاكل حكومتهم مع الحكومة البريطانية المحتلة لجنوبي بـلادهم، وقد يفسـر لجوءهم وترددهم على البريطانيين بمثابة مـوافقتهم على إبقاء النـواحي المحتلة خارج نطاق الوطن الأم، وهذه خيانة وطنية شائنة حاشا أن يقدموا على ارتكابها بل إنهم سيشدوا أزر إمامهم في تصميمه على إعادة اليمن كل اليمن إلى سـابق وحدته.

ذكرت في ختام تقريري الطويل أن إعدام الأستاذ نعمان سيسيء إلى كافة قبائل اليمن الجنـوبي، ورجوت العفـو عنه وتكليفـه بكتابـة تاريـخ اليمن والانصراف إلى الأمـور الأدبية والثقـافية التي هـو فارسهـا المجلي، وإعادتـه إلى مجلس مستشاريـه وإيفاده في الوقت المناسب لزيارة منطقته الحجريـة وجوارهـا بقصد تـدعيم الوحـدة اليمنيـة نـظراً لمـا لعـائلة نعمـان من وجـاهـة في المنـطقـة وفي الأراضي المحتلة المجاورة، الذين كثيراً ما كانت بعض القبائـل المحمية تـطلب تحكيم أحد أفـرادها لحل مشاكلهم وقد خبرت ذلك شخصياً خلال إقامتي في منطقة الصبيحة.

أضفت أنه بلغني أن حالة الأستاذ نعمان الصحية سيئة، وأنه بحاجة ماسة إلى العلاج خصوصاً وأنه يكاد يفقد بصره. أكد لي جلالته فيما بعد أنه قد أصـدر أوامره لإرسـال طبيب بصـورة مستعجلة إلى حجـة للكشف على صحـة الأستـاذ ووصف العلاجات اللازمة له.

كتابي الى الأستاذ نعمان

أرفقت تقريري إلى جلالة الإمـام بكتاب خـاص إلى صديقي الأستـاذ أطلعته فيـه على تفاصيـل مقابلتي لجـلالة الإمـام، وما لمستـه منه من عـطف واهتمام كلي بصحته وبصره وراحته.

ختمت كتابي الطويل بالتأكيد له بأنه سيتلقى وأرجو أن يكون ذلك قـريباً أنباء تثلج الصدر وتحقق آمال الجميع.

طلعت إلى المقـام الشريـف بعـد ظهر اليـوم التالي وسلمت جـلالتـه التقـريـر والكتاب، وبعد أن تلاهما بإمعان أكد لي بأن الأستاذ الصديق سيلقى العناية الطبية

اللازمة، وأن النظارات سترسل له بعد فحصه من الأخصائي وأن عليه الاهتمام بوضع المخطط الموجز لما سيقوم به من دروس حول تاريخ اليمن الحديث لعرضه علي. كررت شكري ثم نظر إلي قائلا: «ما قولك لو نرسلك إلى حجة لتحتل مكان صديقك الأستاذ ونجلبه ليأخذ مكانك؟» فأجبته: إن الذين يلزم إرسالهم إلى حجة فهم الوشاة الأفاكون الذي يوقعون باشراف الناس لإبعادهم عنكم.

مدائح الزبيري الشعرية والنعمان النثرية

صدرت أكثر هذه المدائح والزعيمان الكبيران الزبيري والنعمان في السجون الإمامية، وطبعاً لا يمكن اعتبار هكذا مديح وفي تلك الظروف سوى وسائل استعطاف واسترحام أعطت ثمارها وأنقذت رقبتيهما ورقاب آخرين من المجاهدين من سيف جزّار حجة.

وأفضل رد على منتقديهما هو ما جاء في قصيدة الزبيري العصماء:

خرجنا من السجن شُمَّ الأنوف	**كما تخرج الأسد من غابها**
نمر على شفرات السيوف	**ونأتي المنية من بابها**
ونأبى الحياة إذا دنست	**بعسف الطغاة وإرهابها**
ونحتقر الحادثات الكبار	**إذا اعترضتنا بأتعابها**
ستعلم أمتنا أننا	**ركبنا الخطوب حناناً بها**
فإن نحن فزنا فيا طالما	**تذلّ الصعاب لطلابها**
وإن نلنا حتفاً فيا حبذا	**المنايا تجيء لخطابها**

ويحسن التساؤل في هذا الصدد: أليس إنقاذ حياة عدد من هكذا زعماء أبطال وأماجد وفي طليعتهم الزبيري ونعمان وغيرهما الذين تولوا مناصب كبرى حساسة كرئاسة الجمهورية والوزارات فيما بعد، وتحقيق الاستقلال والحرية لوطنهم وشعبهم المقهور، ووضعوا حداً لقرون من الاستبداد والمظالم يبرر ما صدر عنهم من مدائح فرضتها الظروف القاهرة عليهم؟

وصف الشاعر محمد محمود الزبيري الحالة السائدة في اليمن قبيل الانتفاضة في كتابه (الخدعة الكبرى) كيف كان النظام الإمامي يخدع شعبه، قائلاً «إنهم

متحللون من العصر الذي يعيشون فيه، فهم يعيشون صباحاً في القرن العشرين ومساءً في القرن الخامس عشر. يتكلمون مع الزائر بلغة عبد الناصر، ومع الشعب بلغة الحاكم بأمر الله».

رداً على السؤال لماذا ينخدع الناس بحكامنا في الخارج قال: «لأنه منذ فجر النهضة الحديثة في بلاد العرب كانت المشكلة الكبرى في الأقطار العربية الناهضة هو الاستعمار الذي شغل كل مشاعر الجيل العربي الحديث حتى سادت فكرة عامة عند العرب أن جميع آلامهم ومحِنِهم ومشاكلهم الصغيرة والكبيرة، إنما هي من خلق الاستعمار. فقد كان التركيز على الأجنبي يجعل الطغيان المحلي على بشاعته مقبولاً أو هكذا ينبغي أن يكون. فثمن الاستقلال ليس الحرية والعدل والبناء والتنظيم بل الجلد والسجن والقتل وسلب الحقوق وتقييد الحريات وهذه هي محنة اليمن أو بالأصح محنة نصفه المستقل حينذاك. وحينما كان العرب يكابدون مظالم الاستعمار ويرونه المحنة الوحيدة في الحياة، كان هناك قطر عربي واحد يتمتع كما يظن العرب، بالاستقلال التام. وقد أضفى الخيال العربي المنكوب بالاستعمار، على الأرض اليمنية المستقلة في زعمهم زخرفاً من الأحلام وسعادة من الأوهام وبطولة لقادتها الحكام، وجنة تجري من فوقها ومن تحتها بركات الأصنام.. ومن هنا كان من اليسير على حكام اليمن أن يواصلوا خداع الرأي العام العربي ويؤكدون نظرياته الخاطئة عن اليمن».

لقد لخص موقفه هذا في بيت واحد من الشعر كان شعار وحدة الوطنيين في شمال البلاد وجنوبها:

شطرنا يستغيث من غاصب فظ وشطر من مستبد عنيد

الفصل الثامن

□ اغتيال الإمام يحيى وانقلاب ابن الوزير ١٩٤٨
□ انقلاب سيف الإسلام عبدالله والعقيد الثلايا ١٩٥٦

ساءت صحة الإمام يحيى خلال العام ١٩٤٧، مما حدا ببعض أنجاله سيوف الإسلام للالحاح عليه بوجوب استدعاء ولي العهد سيف الإسلام أحمد إلى صنعاء، بعد أن شعروا بدنو أجل والدهم الكهل. ويظهر أن المخطط الانقلابي كان يقضي بانتظار وفاة الإمام يحيى الذي كان قد جاوز الثمانين من عمره وأصبح مقعداً ومحتضراً قبل القيام بانتفاضتهم التحررية.

أصدر الإمام يحيى أوامره إلى ولي العهد بسرعة العودة إلى صنعاء، وبالفعل بدأ أحمد الاستعداد للانتقال في أوائل فبراير سنة ١٩٤٨، ولما كان قادة الانقلاب يدركون مدى ما جبل عليه سيف الإسلام أحمد من مقدرة في ميادين البطش والتنكيل، ولما كانوا يخشون أن يضيّع عليهم وصوله إلى العاصمة فرصتهم الذهبية وجدوا أنفسهم مضطرين لتنفيذ خطتهم الانقلابية فوراً وقبل قدومه.

ففي الموعد المحدد للانقلاب سرت إشاعة عن موت الإمام يحيى، فصدقها الجميع وعمد قادة الانقلاب إلى توزيع نص الميثاق المتفق عليه وإنما لدى علمهم في اليوم التالي إن الإشاعة غير صحيحة، وكانت صحيفة الأخوان المسلمين في القاهرة قد نشرت الميثاق على صفحاتها الأولى وعن تشكيل الحكومة الجديدة واسم الإمام الجديد. سارع السيد عبدالله الوزير لتكذيب ما أشيع مؤكداً عدم معرفته بشيء من ذلك، وهكذا أصبح مركز الأحرار في عدن في غاية الخطورة وسارع بعض قادة الانقلاب إلى إرسال البرقيات إلى الإمام وولي العهد والسيد

عبدالله الوزير حاملين على السفهاء الحاقدين الذين أرادوا تحريض الإمام يحيى على إنزال العقاب بالأبرياء من رجاله، والدس وإضرام نار الفتنة بين جلالته والمخلصين من أعوانه ورجاله وإثارة الشكوك والشبهات فيما بينهم.

أسباب انهيار الثورة:

يظن أن من الأسباب الأساسية لفشل الانقلاب كان انهيار أعصاب السيد عبدالله بن الوزير لدى علمه بأن ولي العهد أحمد لم يزل حياً يرزق، إذ كانت الخطة التي قيل إن السيد ابن الوزير قد قبلها وانضم إلى الحركة على أساسها كانت تقضي بالقضاء على الإمام وأحمد معاً. أما تسرع القائمين بالانقلاب فقد عجل بمجيء أحمد وأعطاه سلاحاً للقضاء على منافسيه وجمع القبائل حوله وهكذا «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه».

كان الاستياء من الطريقة المستنكرة التي أدت إلى مصرع الإمام الكهل المريض عاماً لدى أكثرية العقلاء والمعتدلين حتى عند العديدين من أخصامه، لقد شاءت الأقدار أن يكون سيف الإسلام أحمد المستفيد الوحيد منها نظراً لخبرته الواسعة بالعقلية القبلية وبكيفية إثارتها واستغلالها، فاتصل بقبائله متسائلاً عن الشريعة التي تقضي باغتيال إمام تقي ورع وكهل سبق له أن خاض المعارك العديدة ضد العثمانيين للحفاظ على استقلال بلاده وضد البريطانيين الذين سلخوا جزءاً من بلاده في الجنوب بغية استرجاعه. اتهم أحمد السيد عبدالله بن الوزير وصحبه بتدبير عملية الاغتيال والانقلاب مؤكداً أن له في عنق ابن الوزير بيعة سابقة.

برقية السيد عبدالله بن الوزير الى سيف الإسلام أحمد

لم يقم الإمام يحيى في ٧ فبراير سنة ١٩٤٨ كعادته أسبوعيا باستعراض جيشه بعد صلاة الجمعة نظراً لاشتداد المرض عليه، فسرت الإشاعة بأنه قد توفي وأن السيد عبدالله الوزير قد بويع إماماً، وأنه قد شكل حكومة جديدة من الأحرار ومؤيديهم. ولما كان السيد عبدالله الوزير يخشى كما سبق ذكره من سرعة وصول سيف الإسلام أحمد إلى صنعاء أرسل له البرقية التالية ظناً منه أن ذلك قد يؤخر وصوله إلى بعد وفاة الإمم يحيى، وهذا ما يسهل عليه القيام بانقلابه:

«لقد سمعتم خرافات المخذولين المارقين المخادعين الماكرين خيب الله آمالهم وأخزاهم وأعمالهم، وقد كذبوا وشهد على كذبهم الله والناس أجمعون بما أخبروه به من وفاة مولانا أمير المؤمنين، أيده الله، وهم بمن الله متمتعون بكامل الصحة والعافية، قائمون بأمور الأمة في كل حين ثم كذبوا باجتماع ممثلي الشعب الذي هو عن آخره تحت إرادتكم وسيكذبهم كل عاقل، فأين هم وأين الشعب؟ وكم المدة بينه وبين الكاذبين؟ وأين المواصلة التي يمكن أن تجمعهم؟ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، ولعل الذي جرأهم على كل ذلك هو خيبة آمالهم وانقطاع كل ما كانوا يؤملونه وأنه سوّل لهم الشيطان وأنفسهم الخبيثة أنه سيكون لذلك أي أثر ووحشة يريدونها، فكانت تسويلاتهم وبالاً عليهم، وخزياً إلى خزيهم «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيراً» والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم».

٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٧

المملوك عبد الله الوزير

ففي صباح ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨، حمل رجال الحرس الخاص الإمام المقعد إلى سيارته وجلس إلى جانبه القاضي عبدالله العمري رئيس وزرائه وأحد أحفاده، وساروا للنزهة في إحدى مزارعه القريبة من صنعاء. اعترضت سيارتهم في وسط الطريق سيارة نقل كبيرة وخرج المسلحون منها وأمطروا الإمام والقاضي والحفيد بوابل رصاصهم وقضوا عليهم فوراً بصورة أقل ما يقال فيها أنها منكرة ووحشية، خصوصاً وأن المرض كان قد اشتد على الإمام العجوز، وكان على وشك ملاقاة وجه ربه. فعندما علم سيف الإسلام الحسين بما جرى، وكان آنئذ في قصر والده خرج إلى باحة القصر ليأمر الجنود بالاستيلاء على المدينة وعلى مستودعات الذخيرة فما كان من بعض رجال الحرس من الذين يميلون إلى السيد عبدالله بن الوزير، إلا أن قضوا عليه رمياً بالرصاص، وهكذا كان قدر أخيه سيف الإسلام المحسن الذي كان إلى جانبه.

سارع السيد عبدالله بن الوزير إلى الاستيلاء على الخزينة وعلى مستودعات الذخيرة الحربية، ثم استدعى ذوي الشأن في العاصمة لمبايعته إماماً.

ينتمي السيد عبدالله بن أحمد الوزير إلى عائلات الأئمة، وقد كان الإمام المنصور بالله محمد بن عبدالله بن الوزير الذي توفي في العام ١٨٨٨ ميلادية من إسلامة. والمعروف عن السيد عبدالله أنه كان أقرب الزعماء اليمنيين إلى قلوب المواطنين والقبائل بوجه خاص، التي أكبرت فيه الشجاعة والإقدام والأنس والكرم وكان متديناً ويحث الناس على القيام بكامل واجباتهم الدينية وإلى حد التزمت أحياناً. لقد خبرت ذلك بنفسي لدى لقائي به ثاني يوم وصولي إلى الحديدة، عندما اقترح عليَّ بإلحاح مماشاة واعتبار العوائد المحلية المتبعة. كان يهتم بشؤون القبائل وشكواها، وقد كانت فروسيته ولا شك الصفة الكبرى التي جذبته إلى قلوبهم.

لعب السيد عبدالله دوراً هاماً وفعالاً خلال الخلاف بين المملكة العربية السعودية واليمن، الذي نشب حول منطقة عسير عام ١٩٣٤ عندما عينه الإمام يحيى كبيراً لمفاوضيه بغية حل ذلك النزاع سلمياً وحقناً للدماء العربية المسلمة الزكية. تولى سيادته أمر المفاوضات مع الوفد السعودي وقد توصل المفاوضون إلى عقد «اتفاقية الطائف» التي وضعت حداً لذلك النزاع الخطير. لقد أعجب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود آنذاك بجهوده وإخلاصه وأهداه فور انتهاء المفاوضات وعقد الاتفاقية المذكورة سيفاً اعترافاً بجهوده.

كافأه جلالة الإمام إثر عودته من السعودية بعد إمضاء معاهدة الطائف بأن عينه أميراً على لواء الحديدة جزاء لنجاحه في المفاوضات. كان ابن عمه السيد علي بن الوزير في ذلك الحين أميراً للواء تعز، وهكذا أصبحا معاً من أقوى وأنفذ الشخصيات الحاكمة في اليمن. لقد نتج عن ذلك اتساع سيطرتهما ومحبة سكان إمارتهما لهما. أقدم الإمام بعد حين على تعيين السيد عبدالله وزيراً بلا وزارة في صنعاء بغية مراقبته لعلمه أنه يكاد يكون المنافس الخطير الوحيد لولي عهده سيف الإسلام أحمد على اعتلاء سدة الإمامة مستقبلاً. كما وأنه أعفى السيد علي بن الوزير من منصبه كأمير للواء تعز، وعين ابنه سيف الإسلام أحمد مشرفاً على ذلك اللواء الحدودي الهام. وافق السيد عبد الله مكرهاً وبعد الضغط المتواصل من

الإمام على مبايعة سيف الإسلام أحمد بولاية العهد، رغم أن شعبيته كانت في ازدياد مستمر في صنعاء خلال مرض الإمام الطويل وقبيل اغتياله.

إن سكان بعض النواحي المحتلة وجوارها كالعواذل والبيضاء والضالع لا يزالون يذكرونه مطلقين عليه لقب «بطل الفتوحات في تلك المناطق». كما أنه اشترك في المعارك ضد العثمانيين وقاد حملات تأديب للعصاة في الجوف وللقبائل القاطنة شمالي صنعاء، ثم سار نحو التهايم فاستولى على باجل والحديدة وموانىء ابن عباس والصليف واللحية وميدي والمدن التهامية كالضحي والزهرة والمنير، والزيدية والمراوعة إلخ. . .

كان السيد عبدالله بن الوزير قد أدلى فور مبايعته واعتلائه سدة الإمامية ببيان صحفي جاء فيه: «كانت اليمن قديماً في مقدمة الشعوب رقياً وثقافة وعلماً ونبلاً وفضلاً، ثم عراها ما عراها وتأخرت الأحوال فيها وحل الفقر بالناس وأخذ يفتك بهم».

طلب منه كبار علماء صنعاء «منع كل ذي سلطة من سيوف الإسلام والأمراء والعمال من الخوض والتدخل بالتجارة في الرعية ومزاحمة الناس في معايشهم ومكاسبهم ومهنهم، فقد استاء من هذا الحال الحاضر والبادي ونهى عن ذلك وحذر الشارع الحكيم (صلعم) حيث نهى عن تجارة ذي السلطان في الرعية، وتوعد وأنذار من لم يرتب عن الإضرار بالمسلمين بما ليس يخفى على سعة معلوماتكم، وهذا من أهم الضروريات التي يجب الالتفات إليها».

مطالب الجمعية اليمنية الكبرى من الامام

تقدمت الجمعية اليمنية الكبرى من الإمام الجديد بالمطالب التالية:

«١ ـ إقامة نوع من الحكم الشورى يوفق بين القواعد الديموقراطية كما تفهمها البلاد المتقدمة وبين تقاليد الشعب اليمني وعاداته.

٢ ـ تنظيم الحكومة والأداة الحكومية.

٣ ـ إصلاح القضاء.

٤ ـ إصلاح الحالة المالية بطريقة علمية مدروسة.
٥ ـ وضع برنامج للإصلاح الاقتصادي.
٦ ـ العمل السريع على مكافحة الأمية ونشر العلم والثقافة وذلك عن طريق التوسع في فتح المدارس والمعاهد بمختلف أنواعها.
٧ ـ إنشاء المستشفيات والمصحات وغير ذلك.
٨ ـ التوسع في التمثيل السياسي والقنصلي مع البلاد العربية والأجنبية.
٩ ـ العناية بوسائل الدفاع.

أ ـ إنشاء جيش نظامي ثابت.
ب ـ الاهتمام بمظهر الجندي من حيث الملبس والمأكل وزيادة رواتب أفراده.
ج ـ تزويد الجيش بالأسلحة والمعدات الحديثة.
د ـ إنشاء مدرسة حربية وإرسال الطلاب إلى الخارج واستقدام خبراء عسكريين عرب».

اجتماع مجلس الثورة

اجتمع الإمام الجديد السيد عبدالله بن أحمد الوزير فور اعتلائه سدة الإمامية بمجلس الثورة وقد تقرر اتخاذ الإجراءات التالية:

«١ ـ الإسراع في إنشاء مجلس شورى للقضاء على الحكم الاستبدادي.
٢ ـ إنشاء عدد من المستشفيات في جميع أنحاء اليمن واستخدام الأطباء اللازمين.
٣ ـ إقامة أكبر عدد ممكن من المدارس الابتدائية والثانوية والمهنية واستدعاء الأساتذة الأكفاء من الخارج وإرسال بعثات من الطلاب إلى الخارج لإتمام دروسهم في مصر أو البلاد العربية.
٤ ـ بناء شبكة طرقات تصل جميع أنحاء البلاد بعضها ببعض.
٥ ـ إقامة محطات كهربائية في المدن العامة الكبرى.
٦ ـ التعاقد مع شركات عربية وأجنبية لاستثمار مناجم الفحم والنحاس المتوفرة في اليمن.

٧ ـ التعاقد مع شركة كبرى لإقامة ميناء كبير في خليج الكثيب قرب مدينة الحديدة.
٨ ـ إطلاق سراح الرهائن من أبناء شيوخ القبائل من سجون الإمام.
٩ ـ القضاء على زرع ومضغ القات الذي هو آفة اليمن الكبرى».

كان قد سبق ذلك صدور «نص الميثاق الوطني المقدس لثورة اليمن» عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م وفيما يلي نصه الكامل:

(نص الميثاق الوطني المقدس لثورة اليمن)
عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧م

لما صارت أحوال اليمن منحطة إلى حد بعيد في أمور الدنيا والدين، بسبب الاستبداد والأنانية اللذين اشتهر بهما الإمام يحيى بن حميد الدين، حتى صار الغرض المطلوب من الإمامة معدوماً في كل ناحية، ولم يبق غير مظاهر خادعة كاذبة، لا تتفق مع موجبات الشرع الشريف ولا تضمن شيئاً من الإصلاح الذي يوجبه الدين في الحال، ولا تصون اليمن من أسوأ العواقب في الاستقبال.

وقياماً بالواجب، لله تعالى، وللمسلمين، وطلباً للسلامة في الدين والدنيا من العقوبة من الله سبحانه وتعالى ولحفظ شرف الدين والاستقلال... اجتمع ممثلو الشعب اليمني على اختلاف طبقاتهم، في هيئة مؤتمر للنظر في وضع نظام شرعي صالح، وإقامة من ينفذه ويحفظ الأمن ويضبط مصالح الأمة، ويقوم بكل واجب ديني ودنيوي لليمن وأهله، عند وفاة الإمام الحالي فقرروا الآن بالإجماع ما يأتي:

المادة ١ ـ مبايعة سيادة السيد (عبدالله بن أحمد الوزير) لما اشتهر به من علم وفضل، ومنزلة عالية في نفوس الناس الآن. مبايعة دينية ناجزة، إماماً، شرعياً، شورياً، دستورياً، على نحو ما تسير به أرقى الأمم اليوم في العالم المتحضر، فيما لا يخالف أدنى مخالفة التعاليم الإسلامية السمحة الصحيحة.

المادة ٢ ـ كانت البيعة من ممثلي الشعب اليمني لحضرة صاحب السيادة المشار إليه، على الشروط المقدسة الآتية:

(أ) العمل في كل قول وفعل بما تضمنه القرآن الكريم، والسنة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتسليم، وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

(ب) يكون حضرته هو الإمام الشرعي ورئيس الدولة اليمانية، ويكون له الحق الكامل الذي يتمتع به الإمام الحق الملتزم تنفيذ هذا الميثاق والشخصية التي لسائر الملوك ورؤساء الدول الحرة المستقلة في العالم.

(جـ) لا تصدر جميع مراسيم الدولة، وجميع الأحكام في المحاكم الشرعية إلا باسمه.

(د) لا تتم أية معاهدة مع الحكومات الأخرى إلا بموافقته وتحت إمضائه.

(هـ) إليه وحده تقدم أوراق الاعتماد من الممثلين الدبلوماسيين الأجانب لدى الدولة اليمنية.

(و) له الحق في الإشراف على ملجس الشورى وعلى مجلس الوزراء، والاقتراح للنظر في كل ما يريد من المشروعات على اختلاف أنواعها.

(ز) وله الحق في الإشراف على جميع أموال الدولة ومناقشة أعمال أي شخص ذي علاقة بها.

(ح) له السمع والطاعة في المنشط والمكره من كل فرد داخل نظام هذه البيعة الجارية على العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وعلى ما كان عليه السلف الصالح، وعلى العمل بكل تحسين يقبله الشرع الشريف.. له ذلك ما دام متمشياً مع هذه البيعة ملتزماً لهذا الميثاق ساعياً إلى الغاية المقصودة من ذلك بكل سرعة ممكنة.

المادة ٣ - يكون نظام الحكم شورياً دستورياً بما لا يخالف الشريعة السمحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله.

المادة ٤ - يقوم على وضع الدستور اليمني لجنة خاصة يعينها مجلس الشورى من أهل الكفاءة والصلاح علماً وعملاً، ويجب أن نستعين في ذلك بالجامعة العربية وحكوماتها والعبقريين من رجالها، ثم يعرض على الإمام ما يقرونه ليحيله حالاً إلى الجمعية التأسيسية.

المادة ٥ - بعدما تضع اللجنة هيكل الدستور بمواده المفصلة يجب أن يرفع إلى الإمام ليحيله على الجمعية التأسيسية لتنظر فيه وتناقشه مادة مادة. ويكون التصديق على كل مادة منه بعد المناقشة بالأكثرية، وفي هذه الحالة يعرض مرة أخرى على الإمام ليطلع على ما فيه ويقرر ما اتضح له صلاحيته، وله الحق أن يأمر بإعادة النظر فيما عدا ذلك مبيناً أوجه النقص فيه، وعلى الجمعية أن توالي اهتمامها بدرس ذلك على ضوء التعاليم الإسلامية وبعد ذلك ترفعه إليه أخيراً مصحوباً بمستندات ما قررته الأكثرية ويصبح حينئذ واجب التنفيذ والتوقيع.

المادة ٦ - يكون ضمن أعضاء الجمعية التأسيسية الاساسيين أعضاء مجلس الشورى الذي سينص عليه فيما بعد.

المادة ٧ - مجلس الشورى المشار إليه هو الذي يضع قانوناً لانتخابهم إذا قرروا طريقة الانتخاب، أو يعينهم بالاشتراك مع حضرة الإمام إن رأى طريقة التعيين.. على أن يكون مفهوماً من الآن في حالة الانتخاب ما يأتي:

(أ) أن يكون لكل يماني ذكر بالغ من العمر ٣٠ سنة غير محكوم عليه شرعاً لإجرام حق الانتخاب.

(ب) ألا يقل عدد ممثلي المدن عن الثلثين.

(جـ) أن تكون القبائل والقضوات ممثلة.

(د) أن يكون للمهاجرين اليمانيين في أي بلد يوجدون فيها حق إرسال ممثلهم في المجلس إذا كان فيهم ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب وإذا كثروا يكون لهم عن كل ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب ممثل واحد وعلى الكسور مهما قلت ممثل واحد.

المادة ٨ ـ بما أن دعوة جمعية تأسيسية تتعذر الآن، وأن وضع الدستور وتحديد المسؤوليات الدائمة إنما هو من اختصاصها. . فإلى أن يتيسر ذلك يجب أن يكون تعيين مجلس مؤقت يسمى «مجلس الشورى».

المادة ٩ ـ تكون صلاحية المجلس المشار إليه المؤقتة ما يلي:

(أ) القيام بالمهمات المشار إليها في المواد السابقة.

(ب) القيام بوضع القوانين المؤقتة وضعاً لا يخالف النظم الشرعية، على أن يعمل بها حتى تصدق على الدستور وحينئذ تقر أو تلغى.

(جـ) يضع ميزانية الدولة للفترة المؤقتة.

(د) يصادق على المعاهدات ويرفضها، وعلى الإمام ألا يبرم أية معاهدة إلا إذا صادق عليها أكثرية هذا المجلس، وعليه ألا يعزل وزيراً أو مديراً، أو أمير لواء، أو موظفاً هو عضو في مجلس الشورى في المدة المؤقتة قبل وضع الدستور إلا بموجب عزله بحكم الشرع بعد تقرير وجوب ذلك من العلماء أهل الصلاح في مجلس الشورى أو لسبب آخر يتفق عليه أكثر هذا المجلس.

المادة ١٠ ـ يتألف مجلس الشورى من سبعين عضواً منهم الذين سيذكرون إما بأوصافهم أو بأشخاصهم والباقي يتفق على تعيينهم مجلس الوزراء وحضرة الإمام، والأعضاء المعينون من الآن هم:

(أ) أعضاء مجلس الوزراء.

(ب) مديرو الوزارات.

(جـ) المستشارون العموميون.

(د) القائمة «٢» التي يصطلح على تسميتها «قائمة الموظفين الشوريين» المرفقة بهذا والتي ستتلى مع بقية القوائم. كل هؤلاء يكونون أعضاء في مجلس الشورى المؤقت بحكم وظائفهم.

المادة ١١ ـ يتألف مجلس الوزراء على النحو الآتي في القائمة المرفقة (رقم ١).

المادة ١٢ ـ تتألف هيئة مديري الوزارات على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٢).

المادة ١٣ ـ تتألف هيئة الموظفين الشوريين على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٣).

المادة ١٤ ـ تنتهي مهمة مجلس الشورى المؤقت بمجرد انتهائه من وضع الدستور ودعوة الجمعيه التأسيسية للانعقاد وفي هذه الحالة يتحول أعضاؤه من غير أي إجراء جديد إلى أعضاء الجمعية التأسيسية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

المادة ١٥ ـ بمجرد الانتهاء من إقرار الدستور يجب على الحكومة القائمة أن تقدم استقالتها لحضرة

جلالة الإمام، وعليه هو أن يدعو من يشاء لتأليف حكومة جديدة حسب توصيات الدستور المشار إليه آنفاً.

المادة ١٦ ـ عند تأليف الحكومة الجديدة، يجب أن تجتمع الجمعية التأسيسية فوراً للغرض الآتي:

بما أن اليمن لم تتهيأ بعدُ طباعُها للمعارك الانتخابية وليس من مصلحتها ذلك في أول عهدها بالدستور فلأعضاء الجمعية التأسيسية أن يتحولوا من غير إجراء جديد إلى أعضاء في الهيئة الشرعية الجديدة التي سوف تسمى (مجلس النواب) أو غير ذلك من الأسماء وذلك لدورة واحدة فقط لعدد السنوات التي سيحددها الدستور وليكن ذلك بشرطين اثنين:

أ ـ ألا يرى أكثرية الأعضاء والإمام خلاف ذلك.

ب ـ ألا يكون من الشعب اعتراض ظاهر معتبر.

المادة ١٧ ـ بما أن اختصاصات المسؤولين للفترة المؤقتة لم تفصل في هذا الميثاق تفصيلاً كاملاً فيجب فيما عدا ما نص عليه فعلاً أن تكون اختصاصات الجميع كما هو الحال في مصر، والعراق، بين الملك، والحكومة، والمجلس النيابي، على أنه يجب في الوقت نفسه المبادرة إلى وضع الدستور اليمني، في مدة لا تزيد عن سنة واحدة لتستقر الأمور نهائياً.

المادة ١٨ ـ يشرع في تأسيس حرس وطني في الحال من الشباب المثقف وغيرهم للاستعانة بهم على حفظ الأمن وتنوير الأفكار ويكون رئيسهم هو مدير وزارة الدفاع ووكيله مدير وزارة الداخلية ويتبعان معاً رئاسة مجلس الوزراء وتقدر له معاشات محترمة على أن يقطع بمجرد ما يسرحون عندما يتم الاستقرار.

المادة ١٩ ـ تبليغ الجامعة العربية ودولها حالاً بالعهد الجديد ويطلب إلى تلك الدول الشقيقة أن تبعث للحكومة اليمنية الجديدة كل منها (أولاً) عدداً من الطائرات للاستعانة بها على حفظ الأمن وعلى سبيل الاستعارة أو الإيجار لمدة قصيرة. و(ثانياً) يطلب منها حالاً وبالحاح انتداب خبراء للاستعانة بهم على تنظيم جميع الإدارات الحكومية.

المادة ٢٠ ـ تؤلف حالاً لجنة تسمى اللجنة المالية لضبط مالية الدولة وحصرها ويكون من أعضائها رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية، ومدير المالية، ووزير العدل، ووزير الداخلية ورئيس مجلس الشورى ووكيله ومستشار الدولة العام، وأعضاء آخرون يجوز أن يكونوا من الوزراء وغيرهم تعينهم الحكومة وتكون اللجنة تحت إشراف حضرة الإمام ويكون الجميع مسؤولين بالتضامن عن مالية الدولة حتى تنظم الأحوال ويعين ديوان محاسبة على النحو الموجود بمصر وغيرها ويتخلى طرف أعضاء اللجنة وتحل نهائياً.

المادة ٢١ ـ إذا ثبت على شخص مهما علت منزلته اختلاس شيء من أموال الدولة أو محاولته ذلك، سواء كان بالانفراد أو بالاشتراك مع آخرين، فإنه يحاكم أمام مجلس الشورى ويجب أن تحدد عقوبته بمدد قاسية وعقوبات حاسمة مما يجيزه الشرع الشريف على درجة خيانته بأتم صورة رادعة زاجرة.

المادة ٢٢ ـ جميع وظائف الدولة الرئيسية وتعيين الموظفين فيها يكون باقتراح الوزير المختص ويقدمه إلى الإمام للنظر فيه والموافقة عليه أو الأمر بإعادة النظر فيه.

المادة ٢٣ ـ حضرة الإمام. يلقب بـ «صاحب الجلالة الإمام» و«الملك» باعتبار الأوضاع.

المادة ٢٤ ـ ويلقب رئيس الوزراء بـ «حضرة صاحب الدولة» والوزراء ومستشارو الدولة بـ «حضرة صاحب المعالي».

المادة ٢٥ ـ يكون (للدولة) مستشارون عموميون وخصوصيون أما الأولون فيكون لهم درجة (وزير ممتاز) ويكون لهم حضور جلسات (مجلس الوزراء) ويكونون أعضاء في (مجلس الشورى) ولا يزيد عددهم على خمسة وأما الآخرون فيكونون يمنيين ويكون عددهم حسب حاجة «الدولة» وتحدد الحكومة درجتهم وحقوقهم وواجباتهم ويلقب المستشار العام بـ «حضرة صاحب المعالي» المستشار العام للدولة اليمانية» ويعين أول مستشار عام للدولة حضرة صاحب المعالي «   » والباقون تعينهم الحكومة بموافقة الإمام فيما بعد وكلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المادة ٢٦ ـ يجب الإسراع إلى تحسين حالة الجيش الذي هو رمز الأمة وفخارها بأن تزاد مرتبات كل فرد منهم وضابط وآمر إلى الدرجة التي تضمن للجندي اليمني من الاعتبارات ما يعطى لسائر الجيوش الحديثة من الملابس والتجهيزات وغيرها.

المادة ٢٧ ـ يجب الإسراع إلى إزالة الظلم والطغيان عن الرعايا في طريقة أخذ الواجبات وإسقاط البواقي الكاذبة.

المادة ٢٨ ـ يجب القضاء على روح الرشوة والمحسوبية في الدولة وعدها من الخيانات الكبرى مع إقامة نظام حديث كامل في جميع دوائر الحكومة يطارد الفوضى ويمنع التلاعب بمصالح الأمة ويكفل راحة المواطنين.

المادة ٢٩ ـ تصان أموال الناس جميعاً وأعراضهم وأرواحهم إلا في أمر شرعي ويصير أفراد الشعب اليمني في درجة واحدة من حيث المساواة المطلقة إلا ما كان للمواهب والأعمال ويكون الكل تحت حكم الشريعة السمحة الصحيحة وتجري أحكامها على الصغير والكبير بدون فارق.

المادة ٣٠ ـ تكفل حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع في حدود الأمن والقوانين.

المادة ٣١ ـ يجب تأسيس مجالس للألوية والبلديات على نحو ما هو موجود في البلدان العربية.

المادة ٣٢ ـ يجب العمل على محاربة الجهل والفقر والمرض في غير هوادة وبكل ما تسمح به وسائل الدولة، والعمل بأسرع ما يمكن على تيسير أسباب المواصلات وإنعاش الزراعة التي هي أساس اقتصاديات اليمن.

المادة ٣٣ ـ يجب الاتصال بالعالم المتمدن بواسطة السلك الدبلوماسي والقنصلي لفائدة اليمن خاصة وللتعاون على إسعاد الجنس البشري عامة عملاً بتعاليم ديننا وتقاليدنا العربية.

المادة ٣٤ ـ يكون تعيين الممثلين للدولة في الخارج باقتراح وزير الخارجية وتقديمه إلى الحكومة للنظر فيه والموافقة عليه.

المادة ٣٥ - يجب المبادرة إلى تعيين ممثلين سياسيين بأسرع ما يمكن في البلاد العربية الشقيقة وينبغي البرهان على التعاون مع الجامعة العربية إلى أقصى حد ممكن.

المادة ٣٦ - يجب الضرب على يد كل من تحدثه نفسه بالتعرض لإرادة الأمة بإحداث أدنى سبب يخل بالأمن العام أو يسبب أدنى ضرر للدولة في الداخل والخارج.

المادة ٣٧ - تجب العناية التامة بالمهاجرين اليمنيين خارج البلاد والعمل على إعادة من يمكن أن تنتفع به البلاد في الداخل.

المادة ٣٨ - بما أن التركة التي خلفتها حكومة العهد الماضي ثقيلة ومعقدة تقتضي وقتاً، ومجهوداً جباراً فالحكومة تهيب بالشعب اليماني أن يلتزم الهدوء والسكينة، وأن يتذرع بالصبر والتضحية في سبيل المجد وإقامة عهد جديد وسعيد.

المادة ٣٩ - يسمّى هذا النظام «الميثاق الوطني المقدس» ويوافق الجميع على أن من خان أو حاول أن يخون معنى من معانيه بنيّة سيّئة يكون خائناً لله والمسلمين وتجري عليه الأحكام اللائقة به.

وفد جامعة الدول العربية التمهيدي الى اليمن

أقلت طائرة حربية مصرية وفد جامعة الدول العربية التمهيدي إلى صنعاء برئاسة السيد عبد المنعم مصطفى مساعد الأمين العام وعضوية الدكتور حسن إسماعيل والسيد أحمد يس، حيث اجتمعوا بالإمام عبدالله بن الوزير وبأركان حكومته. ففي ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٨ قامت الطائرة المذكورة بإلقاء منشورات جامعة الدول العربية الموقعة من أمينها العام عبد الرحمن عزام، التي تناشد الشعب اليمني الخلود إلى الهدوء والسكينة بانتظار نتائج تحقيقات وفدها. كما وأنها ألقت بناء على إلحاح حكومة الإمام ابن الوزير منشورات حكومية على مناطق حجة معقل سيف الإسلام أحمد تعلن قيام الحكومة الجديدة، وتعد الأمير الثائر بشتى الوعود المعسولة إن هو بايع الإمام ابن الوزير أسوة بغيره من قادة البلاد وتتوعده بالحرب التي لا هوادة فيها إن هو استمر في مقاومتها. وبينما ادعت حكومة ابن الوزير أنها طلبت تحليق الطائرة الحربية المصرية فوق حجة ولوائها بقصد تحية الأمير الثائر في معقله، يعتقد الكثيرون أن القصد الحقيقي من تحليقها فوق تلك المناطق بالذات، كان لإرهاب سكانها وحثهم على ترك أحمد، وهذا ما كان على ربان الطائرة ورجال الوفد التمهيدي أن يتجنبوه، وقد اتضح أن رئيس الوفد السيد عبد المنعم مصطفى قد أكد أنه لم يكن على علم بذلك.

برقية الامام عبدالله بن الوزير الى عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية

«نحن نطمح أن نكون من أطهر الناس وطنية وأحرصهم على الاستقلال التام والبعد كل البعد عن الأجانب، ولكن بعد أن ثبت من تردد الجامعة العربية واكتفائها بالتفرج من بعيد ننذركم إذا لم تبادروا إلى القيام بواجبكم، إننا سنستعين بغيركم صراحة للضرورة الملحة مسجلين عليكم نتيجة هذا العار الشنيع، ونقول إذا قدمتم معاونتكم لتأديب اللصوص فنحن نفوضكم تفويضاً مطلقاً أن تقرروا أنتم مصير هذا الشعب الشقيق بأنفسكم كما تريدون».

وثبة سيف الاسلام أحمد وانتقاله الى معقله في حجة

لدى سماعه بمصرع والده وبالانقلاب الذي قام به خصمه السيد عبدالله بن الوزير، وقبل انتشار النبأ في تعز استدعى سيف الإسلام أحمد عاملها السيد محمد أحمد الباشا، وهو أنفذ الشخصيات في المنطقة وأكثرها ذكاء ودهاء، وعهد إليه القيام بجميع مهامه الرسمية كحاكم لليمن الجنوبي. جرى ذلك رغم علم أحمد أنه والعامل الباشا على طرفي نقيض من حيث الخطة السياسية التي يتبعها كل منهما، إذ كان لدى العامل نزعة تقدمية رغم سعة ثرائه ونفوذه لدى سكان لواء تعز خاصة وباقي الألوية الجنوبية عامة. لقد كان سيف الإسلام أحمد خلال إقامته في تعز يراهن العامل، لأنه كان يخشاه لعلمه بأنه رجل حر وشريف ولن يطعنه من الظهر مهما حصل. أما العامل الذكي والداهية فكان يتظاهر بالولاء والصداقة المتينة للأمير مع الحرص الدائم على الاحتفاظ بخط الرجعة في الوقت المناسب.

بعد خلوة قصيرة مع العامل خرجا إلى بهو المقام الشريف حيث تعانقا أمام رجال الحاشية والجند المتأهب لمرافقة سمو الأمير إلى معقل حجة. أوصى الأمير العامل بعائلته فأكد له السيد الباشا بأنه سيحرص على سلامة وراحة نساء وأطفال سموه أكثر من حرصه على نسائه وأطفاله. لقد أوفى العامل والحق يقال بما قطعه على نفسه من عهد، إذ كان يشرف شخصياً ويومياً على توفير كل ما تحتاجه عائلة ولي العهد، وللتأكد بأنها بخير وأمان.

غادر ولي العهد تعز ومعه ما لا يقل عن المائتين من جنده ومعاونيه في عدد من السيارات الكبيرة والصغيرة ناقلاً أموالاً كثيرة وقاصداً حجة عن طريق الحديدة.

فمنذ لحظة سفر ولي العهد وبسبب انقطاع المواصلات اللاسلكية بين صنعاء وتعز، اعتمد العامل الحكيم خطة حيادية رافضاً القيام بأي عمل ما لم يتلقى تخويلاً رسمياً من العاصمة ومصمماً على اتباع سياسة عدم الالتزام إلى أن تظهر نتيجة الانقلاب. وهكذا ورغم الفوضى التي تلت الانقلاب ظلت تعز ولواؤها تنعم بالهدوء والسكينة.

وصل سيف الإسلام أحمد إلى حجة في ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٨، أي بعد أربعة أيام من اغتيال والده وانقلاب السيد ابن الوزير، وشرع في حث القبائل وفي مقدمتها حاشد وبكيل على الثأر لإمامهم الشهيد.

وهكذا صمم أحمد فور وصوله إلى معقل حجة بممارسة اختصاصه وما اشتهر به من مقدرة سحرية على إثارة القبائل ضد قاتلي إمامها. ولما كانت هذه القبائل لم تتذوق بعد طعم الحرية والعدالة التي بشر الأحرار بنشرها وتأمينها في كافة أنحاء الوطن اليمني، فقد هبتّ لنصرة ولي العهد ضد مغتالي والده. طبعاً لم يكن بين القبائل أيضاً من يدرك معنى كلمة «دستور» و«مدسترين»، اللتين كانتا تعنيان بعد مصرع الإمام المريض «جريمة» و«مجرمين». أما مقدرة ودهاء أحمد فقد ظهرت في إصدار فتوى تسمح للقبائل البائسة والفقيرة بنهب العاصمة التي آزرت حسب ادعائه المجرمين، الذين اغتالوا إمامهم، وطبعاً لم يكن أحب على قلب تلك القبائل من التنفيذ الفوري للفتوى المذكورة، فسارعوا للهجوم على العاصمة ونهبها وقتل البعض من رجالها والقبض على الإمام الجديد السيد عبدالله بن الوزير وسيف الحق إبراهيم والنعمان وآخرين من أنصارهم النافذين.

وصول سيوف الحق ابراهيم الى عدن

استقبال سيف الحق إبراهيم في عدن كان رائعاً حقاً خصوصاً بعد إعلانه عن تأييده التام لكفاح الأحرار وتأييد المطالب الوطنية اليمنية، وقد انهالت عليه برقيات التأييد من شتى الجاليات اليمنية في مهاجرها ومن القوميين العرب وقد قال فيه شاعر يمني كبير:

يا سيف أهل الحق في أوطاننا والسيف أمضى ما يكون يماني

أبرق الأمير سيف الحق إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية قائلاً:

«بناءً على خطورة الحالة في اليمن فقد قررت مع بعض رجالات اليمن وبعض أخوتي سيوف الإسلام أن نتلافى الخطر بتأييد الجمعية اليمنية الكبرى ونصرة الأحرار اليمنيين وضم أصواتنا إلى أصواتهم للمطالبة بالحقوق الشرعية العادلة التي لا تسيء إلى أحد، والتي هي ضرورية لسلامة البلاد وسعادتها. فأرجو من الجامعة العربية أن تتدخل لحل مشكلة اليمن الخطيرة قبل أن يفلت الزمام من أيدي المخلصين للقضية ويحدث ما لا نريده جميعاً».

نداء سيف الحق ابراهيم الى الشعب اليمني

«خرجت من اليمن وأنا متألم جداً من الحالة السائدة هنالك، بعد أن حاولت مع أخوي سيف الإسلام علي وسيف الإسلام إسماعيل إقناع جلالة الإمام في رفع المظالم وإزالة الجور. وها أنا قد وصلت عدن ولا أزال مستاء من الخطة التي تسير عليها حكومة اليمن في الوقت الحاضر ولا تستطيع نفسي أبداً أن تتحمل كل هذا ولا يرضى ضميري مطلقاً الصبر. وبما أن الجاليات العربية في خارج اليمن والجمعية اليمنية الكبرى في عدن تعمل جميعها في صالح اليمن، وبعد أن وثقت من إخلاص رؤسائها والأعضاء وبعد هذا كله لا يسعني إلا أن أعلن تأييدي للجمعية اليمنية الكبرى ولجميع المخلصين للقضية اليمنية في الخارج والداخل، وسآخذ عدن مقراً لي حتى تتبدل الأحوال في اليمن ويقيض الله رجالاً يقودون الأمة إلى الطريق السوي ويرفعون الشعب إلى المستوى اللائق بين الأمم، وأنا لا أطمح إلا في أن أرى أمتي سعيدة متعلمة كما تعمل شقيقاتها في البلدان العربية.

«ويجب أن يعلم كل مطلع على هذا أنني لا أرغب في إحداث ثورة أو قلاقل بل أحافظ على الهدوء والسكينة والعمل على الطريقة التي يقررها أبناء اليمن المخلصون، والتي تتفق مع القوانين ولا تزعج البلاد، وساكون على اتصال بالجامعة العربية أناشدها العمل لحل المشاكل اليمانية حتى تتحقق جميع آمال اليمنيين بواسطة أخوانهم العرب، وإنني أطلب من جميع اليمنيين في الداخل والخارج أن يوحدوا صفوفهم ويبذلوا جهودهم لرفع كيانهم، ويعلموا أن لا فائدة من القلاقل الجالبة للضرر خصوصاً وحجتنا قوية ومسألتنا واضحة».

سفر سيف الحق ابراهيم وقادة الأحرار الى صنعاء

فور سماع أنباء اغتيال الإمام يحيى والانقلاب الذي تلاه بقيادة السيد عبدالله بن الوزير، بادر سيف الحق إبراهيم وزعماء الأحرار في عدن إلى السفر إلى صنعاء لمبايعة السيد عبدالله إماماً على اليمن. وصل موكب سموه والأحرار أعضاء الحكومة اليمنية الجديدة المؤلفة من ١٤ سيارة مزدانة بالأعلام اليمنية إلى تعز وقصدوا منزل العامل السيد محمد أحمد باشا، حيث جرى لهم استقبال حافل بحضور أعضاء مجلس القضاء الجديد. اضطر الإمام وصحبه إلى العودة إلى عدن بسبب إنغمار مطار تعز بالمياه، حيث استقلوا الطائرة إلى صنعاء. أما الأستاذ نعمان فقد آثر إكمال سفره براً إلى العاصمة ووصل إلى ذمار حيث قبض عليه رجال الإمام أحمد الذين كانوا قد دحروا خصومه في صنعاء وأحضروا الأستاذ نعمان وصحبه إلى حجة حيث أودعوا سجن «نافع» الرهيب فوضعت في أرجلهم القيود الحديدية وفي أيديهم المغالق الخشبية. وكانت أكثرية البطانة الإمامية الفاسدة تحرض الإمام أحمد على البدء بقطع رأس النعمان لكونه رأس الأفعى.

وصول سيف الحق ابراهيم الى صنعاء

لدى وصول سيف الحق إبراهيم إلى صنعاء وترأسه للمجلس العسكري أدلى بتصريح خطير جاء فيه:

«لقد تقدمنا بالتضحية بالمناصب في سبيل الصالح العام ودسنا تحت أقدامنا سلطة الفرد وسلطان الطغيان والجبروت ورسمنا لكم المثل العليا لجمع كلمة الأمة لتأخذ مكانها الممتاز بين أمم العالم، إنكم تنظرون بأعينكم وتحسون بأنفسكم الفرق بين العهدين، العهد الذي خلق الله منه الأمة فخرجت إلى نور الحرية والكرامة والعهد الذي انطلقتم فيه من معتقلات السجون».

وجه الأمير نداء إلى جميع طوائف الشعب اليمني قال فيه:

«يا علماء الأمة إن الحالة في اليمن لا تطاق بعد اليوم أبداً، وإن السكوت على ما نسمع ونرى في كل صبح ومساء جريمة... إنه لولا إغضاؤكم عن أعمال الظالمين وسكوتكم عما يلاقيه المسلمون لما بلغ الحال إلى ما بلغ إليه.

«أيها العمال والحكام لقد استخدمكم الظالمون لا لإقامة العدل والإحسان بين الناس ولا لحفظ الأمن والنظام في البلاد، ولكنهم اتخذوكم جباة قساة تسوقون إليهم أموال المسلمين وتخضعون لهم رقاب اخوانكم من المواطنين، وقد سلبوا منكم كل حق وجردوكم من كل سلطة فلا يسمعون لكم رأياً ولا يقبلون منكم صرفاً ولا عدلاً، حتى دخل في روع الناس أنكم لا تصلحون إلا للشر. فكيف ترتضون لأنفسكم هذه المنزلة بين مواطنيكم؟

«يا مشائخ البلاد ونقباء القبائل: لقد كان لكم بين قبائلكم مقام كريم فكنتم إذا قلتم فعلتم وإذا أمرتم أطعتم، وكان الظالمون يعرفون لكم مقامكم وقدركم حينما كانوا يتزلفون إليكم ويطلبون مساعدتكم، حتى إذا تم لهم الأمر وصفت لهم الدنيا تنكروا لكم ومنعوا عنكم حقوقكم وعوائدكم وأهانوكم بين قبائلكم وأفقروكم بعد الغنى وأذلوكم بعد العزة.

«أما أنتم أيها الزراع الكادحون فخطبكم عظيم وحالكم أليم، وقد طال صبركم على جور الحكام والعمال وعسف المأمورين النهابين وأذية العسكر المخططين والمنفذين الذين يحتلون منازلكم وينتهكون حرمة بيوتكم، وقد طال ما اعتبركم الظالمون خولاً وعبيداً تزرعون ليأكلوا وتجوعون ليشبعوا وتشقون ليسعدوا، ثم إنهم لا يرحمونكم إذا جديتم ولا يساعدونكم إذا افتقرتم، ولا يداوونكم إذا مرضتم، وقد ضعفت أحوالكم وتناقصت أموركم وبعتم أراضيكم وهاجر بعضكم إلى خارج البلاد.

«وأنتم أيها التجار المنكوبون». إنكم من ضحايا هذا العهد الاستغلالي الفظيع الذي شل أيديكم وعطل أعمالكم وقضى على تجارتكم بمنافسة الولاة المتاجرين الذين أعمى الدينار أبصارهم واستغلوا نفوذهم وسلطاتهم في التجارة بين رعاياهم.

«أيها الموظفون الصابرون» أنتم العاملون الدائبون والجنود المجهولون الذين سخرهم الظالمون لخدمتهم وتنفيذ مقاصدهم لا لخدمة الوطن ورعاية مصالح الأمة، ومنعوا عنكم حقوقكم وقتروا عليكم في مرتباتكم وأرزاقكم

وأحوجوكم إلى مد أيديكم، والجرأة على أخذ أموال الناس من وجوه غير مشروعة، وحرموكم من العزة والكرامة التي يتحلى بها موظفو الدولة في جميع حكومات العالم. تعملون ليلاً ونهاراً ثم لا تجدون من يقدر أعمالكم، وتقضون أعماركم في الخدمة ثم تتركون أولادكم من بعدكم فقراء لا يجدون حكومة ترعاهم ولا ولياً يكفلهم ويقوم بأمر معيشتهم وتربيتهم.

«أيها الجنود اليمنيون البواسل» إن الأمم في الدنيا كلها تبالغ في تكريم جنودها وتبذل الأموال الطائلة في سبيل تحريبهم وتسليحهم وتوفير أسباب راحتهم، أما أنت أيها الجندي اليمني فلا يعتبرك الحكام. . إلا خادماً مأجوراً لحراستهم وتنفيذ مقاصدهم الشخصية، تسهر الليالي ليناموا مطمئنين هادئين وتفترش الحصير وتلتحف السماء ليهنأوا في دورهم وقصورهم الشامخة».

أما السيد عبدالله بن علي الوزير والقاضي محمد بن محمود الزبيري والسيد الفضيل الورتلاني فتوجهوا إلى السعودية لطلب النجدة والنصرة من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود الذي استنكر جريمتهم وأمر بسرعة مغادرتهم اراضي المملكة. سافر السيد عبدالله بن علي الوزير والزبيري إلى الباكستان وتوجه الورتلاني إلى لبنان فلم يسمح له بالدخول وبقي عدة شهور على متن الباخرة التي اقلته.

كرر الأستاذ الورتلاني تأكيده لجلالة الملك عبد العزيز بأن اليمن بأسرها قد بايعت السيد عبدالله بن الوزير بالامامة وطلب المساعدة منه ومن الجامعة العربية وإرسال الأسلحة اللازمة لردع اللصوص والإرهابيين. ولما بدأ بالطعن بجامعة الدول العربية بالفاظ غير لائقة كاتهامها بايواء اللصوص الخ. . أجابه العاهل السعودي «بل انت اللص. انت وزملاؤك الذين قتلتم الإمام يحيى ولم تراعوا سنينه التسعين وجهاده في سبيل استقلال اليمن وحمايتها من الأجنبي أربعين سنة». وقد كان جواب الملك عبد العزيز خير دليل للجهة التي يؤيدها في النزاع على الإمامة.

في ١٤ مارس سنة ١٩٤٨ سقطت صنعاء في يد قوات الإمام أحمد وتوالى سقوط باقي المناطق الواحدة تلو الأخرى. وقد بويع سيف الإسلام أحمد ملكاً وإماماً على اليمن متخذاً لنفسه لقب «الناصر لدين الله».

أما الإمام عبدالله الوزير والسيد حسين الكبسي والضابط العراقي جمال جميل وكافة أعضاء الحكومة الجديدة، فقد ألقي القبض عليهم واقتيدوا إلى سجن حجة، حيث قيل إنهم حوكموا وقد أعدم السيد ابن الوزير مع نحو ثلاثين من أعوانه في ٨ أبريل سنة ١٩٤٨. أما سيف الحق إبراهيم فالشائع أنه توفي بالسكتة القلبية داخل السجن.

اجتمع كبار السادة والعلماء وذوي الرأي في صنعاء وبايعوا سيف الإسلام أحمد إماماً مكان أبيه، فعين أخاه الحسن رئيساً للوزراء والقاضي محمد راغب وزيراً للخارجية. أما القاضي حسين بن علي الحلالي الذي ساعد الإمام أحمد على المرور بالحديدة والوصول إلى حجة دونما أي مقاومة فقد عينه رئيساً للديوان الملكي ورئيساً فعلياً للحكومة، كما كان قبله القاضي عبدالله العمري مكافأة له على وفائه وتأييده، إذ إنه كان باستطاعة القاضي الحلالي والجند التي تحت إمرته في الحديدة إيقاف أحمد ولربما القضاء عليه وعلى مرافقيه لو شاء ذلك.

١ - الإمام عبد الله بن أحمد الوزير
٢ - السيد علي بن عبد الله الوزير
٣ - سيف الحق إبراهيم بن يحيى حميد الدين
٤ - السيد حسين الكبسي
٥ - الضابط العراقي جمال جميل
٦ - الشيخ عبد الوهاب نعمان
٧ - الأستاذ محيي الدين العنسي
٨ - الحاج الخادم غالب الوجيه
٩ - الشيخ محمد صالح المسمري
١٠ - الأستاذ أحمد البراق
١٢ - السيد أحمد المطاع
١٣ - الحاج عزيز يعني
١٤ - السيد زيد بن علي الموشكي
١٥ - السيد محمد الوزير
١٦ - السيد محمد بن علي الوزير
١٧ - السيد عبد الله بن محمد الوزير
١٨ - اللواء محمد سري الشايع
١٩ - النقيب محمد أبو راس
٢٠ - النقيب حسن الشايف
٢١ - النقيب عبد الله حسن أبو راس
٢٢ - الشيخ محسن هارون
٢٣ - الشيخ مصلح بن محسن هارون
٢٤ - محمد ريحان
٢٥ - محمد قايد الحسيني
٢٦ - علي العتمي
٢٨ - عبد الله صالح الحسيني
٢٩ - أحمد حزام العنجبة
٣٠ - محمد عبد القادر
٣١ - الشيخ علي ناصر القردعي
فر من السجن (واغتيل في خولان)
٣٢ - محمد صالح القردعي (اغتيل في مراد)

خرج هؤلاء المجاهدون إلى ساحة الإعدام وكأنهم في طريقهم إلى الجنة ليقينهم بأنهم يستشهدون في سبيل تحرير بلادهم، وكانت عبارة الوداع «نلتقي في رحمة الله ورحابه».

ثورة سيف الإسلام عبدالله والعقيد الثلايا

في ٣٠ مارس سنة ١٩٥٥

يرجع سبب هذه الثورة المفاجئة إلى اشتباك حصل بين جنود حامية تعز، الذين ذهبوا إلى قرية حوبان القريبة من تعز لجمع الحطب، وبين أهالي القرية المذكورة، وأدى إلى تبادل إطلاق النار وسقوط جرحى من الفريقين. وتؤكد بعض المصادر أن جنديين لقيا حتفهما خلال هذه المناوشات. توجه العقيد أحمد الثلايا مدرب الجيش لمقابلة الإمام ولاطلاعه على ما حصل وأخبره أن جنوده في حالة غليان شديدة، وأنهم يلحون بضرورة إنزال أشد أنواع العقاب بالمعتدين. أمر الإمام بإجراء التحقيقات اللازمة وخاطب العقيد الثلايا قائلاً: «أنتم جيشي وأولئك شعبي ولا يجوز أن يعتدي الجيش على الشعب، وشرع الله قائم بين الجميع». أما الرواية الأخرى فتقول: إنه لدى نقل جثتي الجنديين القتيلين إلى ثكنة الجيش في تعز ثار ضباطها وجنودها وهاجموا القرية وفتكوا بعدد من أهاليها. استدعى الإمام العقيد الثلايا وسأله عن سبب ذلك الهجوم وعمن أمر به، فأجابه الثلايا بأن الجنود كانوا في حالة غليان وهيجان، وأنه لم يتمكن من ضبطهم، فما كان من الإمام إلا أن أمر بسجنه مما حمل أفراد الجيش على مهاجمة السجن وإخراج قائدهم الثلايا وضرب الحصار على قصر الإمام.

تم الاتفاق بين سيف الإسلام عبدالله والعقيد الثلايا في اليوم الثالث من الحصار على خلع الإمام أحمد وتنصيب سيف الإسلام عبدالله مكانه.

استدعى سيف الإسلام عبدالله أخوانه الأمراء الموجودين في تعز والقاضي عبد الرحمن الأرياني والأستاذ أحمد محمد نعمان وغيرهم من الأعيان، وطلب رأيهم في الأمر. فاقترح الاستاذ النعمان عليه تولّي رئاسة الوزارة بدلاً من أخيه الحسن مع إبقاء الإمام مكانه وجعله إماماً دستورياً. ولدى سؤال وجهه عبدالله عن مصير ولاية العهد التي كانت تقلقه وأخوانه إلى أبعد حد، أجابه النعمان بأنه إذا

تمكن من السيطرة على الحكم كرئيس للحكومة فسيكون في مقدوره التصرف بشؤون الدولة كما يشاء ويرتأي.

أرسل سيف الإسلام عبدالله وأخوانه والثلايا فريقاً من وجهاء تعز إلى الإمام لإقناعه بضرورة التنازل عن العرش لأخيه عبدالله وحقن دماء اليمنيين، ووجهوا إليه إنذاراً قوي اللهجة ملؤه التهديد والوعيد إذا لم يفعل مما أجبر الإمام على كتابة تنازله عن الحكم بخط يده، ومنه يتضح أن أمر التنازل كان آخر ما يدور في خلده إذ جاء فيه: «تنازلت اليد اليمنى لليد اليسرى ولا بأس من تولية الصنو عبدالله بناء على طلب الجيش المتمرد في تعز». رفض الإمام ما عرض عليه من مغادرة البلاد إلى مصر أو حتى الانتقال إلى قصره الثاني في وسط المدينة فسلط الجيش عليه نيران مدافعه ورشاشاته وقطعوا التيار الكهربائي عن قصره لمدة ثلاثة أيام فثبت الإمام في مكانه وتولى قيادة حرسه الخاص في الدفاع عن نفسه وعياله.

بيان سيف الإسلام عبدالله الى اليمنيين

«نعلن للعموم أنه بناء على ما يعلمه الجميع من استمرار مرض مولانا الإمام شفاه الله واعتذاره عن المواجهة والقيام بالأعمال، حتى كان إهمال الأعمال وتكاثفها، وجر ذلك إلى المشقة على الشاكين والمتظلمين وغيرهم، مما أدى إلى عموم الاستياء والتبرم كان من الجيش والعلماء وأهل الحل والعقد تقديم طلب إلى جلالته بتنازله لنا عن الخلافة، فكان منه التنازل، وبعده كانت البيعة من العموم. وقد آثرنا اجابة رغبة الجميع في القيام بالأعمال حفظاً للبلاد من التدخل الأجنبي وغيره، وخشية من التفرقة وسفك الدماء ونشوب الفوضى. وقد عاهدناهم وعاهدونا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وإقامة الشريعة ونشر العدل وإصلاح البلاد والنظر في استغلال المعادن، وإحياء المعارف والزراعة وكل مرافق الحياة وخيراتها بكل ممكن بعون الله سبحانه، وأنا نلزم العموم بلزوم السكينة والمحافظة على الأمن وليحذر الجميع المخالفة والله عون الجميع وهو الموفق إلى أحسن سبيل.

عبد الله بن أمير المؤمنين وفقه الله

«أخواني أفراد وضباط الجيش اليماني الغيور ـ نحن أخوانكم أفراد وضباط

الجيش بتعز، قد نالنا من الاهمال والإهانة والتقصير الكامل، كما نال الجيش اليمني في كل مركز، من جهة حقارة المعاشات وسوء المعاملة، من جهات شتى، حتى جعلنا محتقرين نقاسي آلام الحياة، وقد قمنا بما يقتضيه الدين والقبيلة والعروبة علينا وتفاهمنا مع جلالة الإمام أحمد، وفعلاً بحمد الله تنازل وسلم الخلافة لشقيقه سيف الإسلام عبد الله حفظه الله. ورضي الجميع بهذا وبايعوه.
جميع العلماء وجميع رؤساء القبائل متضامنة مع الجيش والرعية تؤمل فيكم وحدكم فليس غير الجيش يحمي بلاده وأبناء وطنه، وقد مسكنا المراكز كلها بعد التفاهم الوثيق والاتحاد الذي يحفظ على الجميع كلمتهم، ويوصلنا إلى مطالبنا من كل جهة، ونصبح جيشاً بين جيوش العالم. ولا يكاد يغيب عن كل بال مسلم وكلكم أبطال ورجال متمسكين بحبل الله جل شأنه، ونطلب منكم حفظ الأمن والنظام وعدم التعدي على أي إنسان، فالرعوي أخونا والبياع المشتري أخونا. فالله الله هذا يوم الجمالة لا يضحك العالم على جيشنا، فلا تصدقوا المغرضين والمفسدين، وقد عرفتمونا وعرفناكم، وفهمتم مقاصدنا وصدق كلمتنا معكم وحب الخير لكم والمعاملة الحسنة، وحافظوا على الطاعة والامتثال لأمرائكم وعمالكم وعلى حقوق بيت المال، ونترجاكم عدم الطلب من العمال أي شيء مثل معاشات أو مواساة فهذا حقير بجانب ما طلبناه لكم للجيش وللبلاد من معاشات وعزة وكرامة. وليكن الآن قيامكم بكل لازم مقابل وجه الله ونحو تقوية الجيش.
فاليوم معانا أعداء كفار وإسرائيل، واليوم نريد جهاد والله يحقق بكم الآمال.

أخوكم وصديقكم ـ معلم الجيش
أحمد يحيى الثلايا

وافق سيف الإسلام عبدالله وأخوانه على اقتراح يقضي بسفر الأستاذ أحمد محمد نعمان إلى الحديدة لإقناع الأمير محمد البدر، وأمير لواء حجة بعدم جدوى المقاومة. قابل النعمان البدر وأخبره أن والده الإمام محاصر في قصره في تعز. أراد البدر إعلان إمامته فوراً، وإنما نصحه الأستاذ نعمان بالتروي وبالانتقال إلى معقله في حجة كما سبق وفعل والده عام ١٩٤٨، وهكذا كان. اتصل البدر من حجة بجلالة العاهل السعودي وبصديقه الرئيس جمال عبد الناصر وأطلعهما على تفاصيل

ثورة عمه سيف الإسلام عبدالله والعقيد الثلايا. تقرر عندها إيفاد الأستاذ النعمان والسيد الشامي إلى الرياض حيث يلتقيان بموفد الرئيس عبد الناصر، السيد حسين الشافعي.

أما الأمير البدر فقد قاد جيشاً من قبيلتي حاشد وبكيل باتجاه تعز لإنقاذ والده الإمام المحاصر، وهذا ما سبب انخفاضاً في معنويات سيف الإسلام عبدالله والثلايا ورجاله وبدأ الانشقاق يدب في صفوفهم.

وصل الأستاذ النعمان والسيد الشامي إلى الرياض، وأطلعا جلالة العاهل السعودي الملك سعود على الحصار المضروب حول قصر الإمام، فأمر جلالته بتجهيز عشرة آلاف جندي للتوجه فوراً لإنقاذ أخيه جلالة الإمام أحمد، الذي كان بفضل دهائه وحنكته قد تمكن من حمل الحامية التي تطلق نيران مدافعها على قصره من تحويل نيرانها باتجاه مقر أخيه عبدالله وأعوانه. نزل الإمام إلى باحة قصره وجلس على كرسيه وطلب من مزينه الخاص حلق رأسه وهذه البادرة تدل في عرف القبائل على الثقة والاطمئنان، وبعد الانتهاء من عملية الحلاقة هذه رفع عمامته (الامامة) لتحية محاصريه ولدعوتهم لتناول الطعام معه حاثاً إياهم العمل لنصرة إمامهم ودينهم. فما كان من محاصريه هؤلاء إلا الهتاف له والدعاء بنصره والتوجه لإلقاء القبض على أخيه عبدالله والثلايا وتسليمهما إلى جلالته.

أبرق الإمام إلى جلالة العاهل السعودي مبشراً إياه بانتصاره على أعدائه وشاكراً له كريم اهتمامه لنصرته.

كان الإمام رغم سروره بانتصاره الرائع هذا في حالة غضب وهيجان نظراً لإقدام الجنود المرابطين على باب قصره باعتراض سيارات كانت تقل نساء القصر من قصر تعز إلى صالة وطلب تفتيشها، ولدى سماعه هذا النبأ صاح بأعلى صوته «متى كانت نساء إمامكم وأطفاله يا قوم يتعرضون للتفتيش؟».

عاد النعمان والشامي بصحبة الأمير فهد بن عبد العزيز والأمير محمد بن سعود والسيد حسين الشافعي إلى تعز لتهنئة الإمام ولنصحه بعدم التسرع في إصدار أحكام الإعدام. وجه الإمام كلامه إلى الأستاذ نعمان قائلاً: «شكر الله سعيك وإنني أقدر الدور الذي لعبتموه». كانت مكافأة الإمام له تعيينه مستشاراً لوزارة المعارف اليمنية وهذا ما حمل حساده على إعادة الكرة في الدس ضد نعمان فبدأ

الإمام بإظهار عدم المبالاة بتقاريره ونصائحه.

أمر الإمام أحمد بإعدام العقيد الثلايا وستة آخرين من أعوانه بمن فيهم الذين ألحوا عليه بالاستقالة، منهم القضاة السياغي والدفعي ويحيى.

أما سيف الإسلام عبدالله والعباس، فقد أرسلا إلى سجن حجة حيث تم إعدامهما فيما بعد.

عندما وقع هذا الانقلاب كان سيف الإسلام الحسن في القاهرة وقد سارع في الوصول إلى عدن بعد فشل الانقلاب، وحاول استرحام الإمام أحمد للعفو عن شقيقيه عبدالله والعباس. وقد رفض الإمام السماح له بدخول اليمن، كمَا رفض استرحامه ثم أبعده إلى نيويورك حيث عينه مندوباً دائماً لليمن لدى الأمم المتحدة، وهكذا أزال عن طريق ولده البدر المنافس الخطير لخلافته في المستقبل.

صدى انقلاب سيف الإسلام عبدالله

أيدت مصر والسعودية الإمام أحمد ضد أخيه سيف الإسلام عبدالله الذي كان قد سبق واستقال من منصبه كوزير لخارجية بلاده بسبب موافقة الإمام أحمد بإلحاح من ابنه الأمير محمد البدر على اتباع سياسة مصر والسعودية اللتين لم تكونا مرتاحين لمثل هكذا انقلابات.

أما حكومة الجمهورية العربية المتحدة فإنها كانت تنظر بعين العطف إلى الأمير محمد البدر المعجب بوثبة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر. وقد كان البدر يحث والده دوماً للانضمام إلى دولة الاتحاد برئاسة مصر.

في عدن قابل اليمنيون والعدنيون أنباء فشل انقلاب سيف الإسلام عبدالله بالابتهاج، فسارت جماهيرهم المتظاهرة في الشوارع هاتفة ومؤيدة لجلالة الإمام أحمد، والمعلوم أن أكثرية اليمنيين كانوا يفضلون حكم الإمام أحمد رغم شوائبه العديدة ومظالمه على حكم سيف الإسلام عبدالله، الذي لم يكن سكان جنوبي اليمن على العموم ينظرون إليه بعين الرضى، كما وأن هؤلاء كانوا يأملون خيراً بالأمير محمد البدر لاعتقادهم أنَه أفضل أمراء العائلة المالكة وأدمثهم خلقاً، ولأن تقرب الأمير البدر من الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ قد قربه من الأحرار اليمانيين.

إن ما ورد في صحيفة «النهضة» العدنية بتاريخ ٧ أبريل سنة ١٩٥٥ تحت عنوان «الإمام أحمد والرجل الأسطورة» يمثل حقيقة نظرة اليمنيين إلى إمامهم حينئذ:

«أصبح جلالة الإمام أحمد أسطورة حية في أذهان الناس هنا وفي اليمن. والسبب الذي أحاط جلالته بهذه الهالة الأسطورية هو موقفه الأخير الذي أحبط به انقلاب الجيش. فقد استطاع جلالته أن يتحامل على نفسه تحت وطأة المرض الشديد ويخرج من قصره شاهراً سيفه، مخترقاً الحصار المضروب حول القصر الذي تحدق به مدافع الجيش من كل مكان فاغرة أفواهها. وسار جلالته على هذا النحو في شوارع «تعز» وسط دهشة الناس وذهولهم، والجنود المتمردون يتقهقرون ويولون الأدبار وقد صعقتهم المفاجأة وشلت تفكيرهم. كل ذلك لكي يهدأ الشعب القلق الذاهل، ولكي لا تدخل القبائل تعز فتكرر المأساة التي شهدتها صنعاء في الانقلاب السابق الفاشل أيضاً حينما اقتحمها رجال القبائل، وعاثوا فيها نهباً وسلباً وتقتيلاً. ثم يعود الإمام إلى القصر وكأن شيئاً لم يحدث.. ولكن بعد أن وضع خاتمة لمؤامرة الجيش على عرشه. وقال البعض إن رجلاً يفعل هكذا ويعلق حياته بحد سيفه ويخرج من انقلابين ظافراً منتصراً لا بد أنه يملك شجاعة نادرة معجزة. وقال آخرون: لا، ولكنها قوة من عند الله تسند هذا الرجل، ولا تتخلى عنه في أي انقلاب. ومن هنا أصبح الإمام الرجل الأسطورة».

أما في الصومال حيث جرى انتدابي من السكرتارية العامة للأمم المتحدة للعمل كمستشار سياسي وإعلامي لبعثتها هناك فقد رحب بعض زعماء الجالية اليمنية بالانقلاب، بحجة أنه رغم عدم ثقتها بأحد من أبناء الإمام يحيى فإنهم اعتقدوا بأن حكم سيف الإسلام عبدالله لا يمكن أن يكون أسوأ من حكم أخيه أحمد لذلك فلا بأس من تجربة جديدة.

زارني بعض هؤلاء الزعماء في منزلي في مقديشو للاستفسار عما جرى في تعز وعن الانقلاب الذي تزعمه سيف الإسلام عبدالله والعقيد أحمد الثلايا، فأجبتهم أن لا معلومات رسمية لدي، وأن جل ما أعلمه هو ما بثته الإذاعات المختلفة وقد سبق لهم سماعه مثلي. عندئذ أطلعني أحد الزائرين على نص برقية

سترسل باسم الجالية اليمنية في الصومال إلى جلالة الإمام الجديد أمير المؤمنين عبدالله بن يحيى حميد الدين نصرهم الله يهنئونه ويهنئون أنفسهم والشعب اليمني الكريم وكافة دنيا العرب والمسلمين لاعتلائه سدة الإمامة والعرش، معربين عن أملهم وثقتهم بأن عهده سيكون مباركاً على بلده وأمته ودينه وأنه سيعمد فوراً إلى وضع حد لما اتصف به حكم سلفه الإمام أحمد وعهده البائد من ظلم وإرهاق وهدر كرامة واستخفاف بالشعب وبحقوقه إلخ.. خاتمين برقيتهم بالآية الكريمة **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾**.

سألت الأصدقاء الزائرين إذا كانوا متأكدين من نجاح الانقلاب الجديد ومن مبايعة الشعب للأمير عبدالله بن يحيى، فأجابوا بالنفي، وعندئذ قلت لهم: «ولماذا العجلة إذاً» فرد علي أحدهم قائلاً: «خير البر عاجله». لقد لمسوا من فحوى حديثي معهم إنني غير متحمس لسرعة إرسال البرقية فطلبوا نصيحتي. أوضحت لهم بكل صراحة أنني أشك في دقة الأنباء التي تنقلها إلينا المحطات الإذاعية المختلفة، كما وإنني أشك أن رجلاً شجاعاً وخبيراً في اللعب على عواطف القبائل مثل الإمام أحمد سيتنازل عن الملك والإمامة بسهولة ودون مقاومة طالما أن فيه عرقاً ينبض. ولذلك استبعد إمكانية نجاح سيف الإسلام عبدالله. شكرني الحاضرون على صراحتي المبنية على خبرة سابقة في شؤون اليمن وقرروا إرجاء إرسال برقية التهنئة إلى ما بعد جلاء الموقف الغامض.

تمكن الإمام أحمد بفرط شجاعته ودهائه من إحباط انقلاب الأمير عبدالله والعقيد أحمد الثلايا خلال ثلاثة أيام ومن القبض عليهما وعلى جميع أنصارهما وسجنهم جميعاً.

ولما بلغ الأصدقاء اليمنيين خبر فشل الانقلاب خفوا لزيارتي وشكري على نصيحتي لهم بعدم التسرع بإرسال برقية التهنئة إلى الأمير عبدالله فقال لي أحدهم: «والله يا أخ نجيب لقد أنقذتنا بنصيحتك، لأنه لو كنا أرسلنا البرقية لاطلع عليها حتماً الإمام أحمد ولفتك بأهلنا في اليمن وصادر أملاكنا وأموالنا ولحرمنا من دخول اليمن».

الفصل التاسع

☐ مشاركتي في مؤتمر لندن حول القضية الفلسطينية ١٩٤٦ - ١٩٤٧

☐ العودة الى اليمن في ١٩٤٨ بعد اغتيال الامام يحيى

استدعائي من قبل الامام يحيى للمشاركة في الوفد

في ٢١ يناير سنة ١٩٤٧ وبعد أن أجريت لي عملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية استلمت برقية من سيف الإسلام عبدالله وزير الخارجية اليمنية يطلب مني سرعة السفر إلى القاهرة لمرافقة الوفد اليمني المتوجه إلى لندن لحضور مؤتمر الطاولة المستديرة حول «القضية الفلسطينية» وكان أخي حليم أبو عز الدين قنصل لبنان العام في القاهرة آنئذٍ قد حاول إقناع سمو الأمير بأن حالتي الصحية تستلزم الراحة التامة فلم يقتنع الأمير وأبرق إليّ يستعجل حضوري بناء على أوامر جلالة الإمام يحيى.

ترددت في بادىء الأمر ثم عدت وقررت تلبية الدعوة نظراً لأهمية القضية التي يعتبرها العرب قضيتهم الأولى، وسافرت إلى القاهرة في ٢٥ يناير وكان الأميران عبدالله ويحيى قد سافرا إلى لندن مع بعض رجال الوفد وبقي القاضي محمد العمري وكيل وزارة الخارجية بانتظار وصولي.

استقلينا الطائرة في ٣١ يناير من مطار ألماظة ووصلنا لندن والتحقنا بوفدنا في فندق الدورشستر.

جلسات الطاولة المستديرة في لندن:

بدأنا بحضور جلسات الطاولة المستديرة في ٤ فبراير سنة ١٩٤٧ وبقيت مع

الوفد حتى ٢٧ منه وكان علي الجلوس خلال جلسات المؤتمر إلى جانب الأمير عبدالله لأطلعه على ملخص ما يدور من مناقشات لكونه لا يتكلم الإنكليزية، كما كان عليّ بعد كل جلسة أن ألخص الوقائع لإرسالها إلى جلالة الإمام وكان ذلك يستغرق كل أوقات فراغي لأن أحداً من أعضاء الوفد لم يتبرع لمساعدتي بحجة أنهم يجهلون اللغة الإنكليزية، ولربما كان عليهم القيام بواجبات هامة أخرى.

كانت علاقتي بسمو الأمير عبدالله رئيس الوفد رسمية، إذ كنت لا أجتمع به خارج جلسات المؤتمر إلا على مائدة الطعام في صالون جناحه الخاص، ثم أستأذن بالإنصراف إلى غرفتي لإعداد التقرير اليومي وكان يظهر امتنانه لقيامي بكافة أعمال الوفد المتعلقة بالمؤتمر رغم أنني كنت أعلم أن الحاقي بالوفد لم يكن بناء على طلبه، ولربما فرض عليه فرضاً من قبل أخيه ولي العهد الذي رأى بعينه ما كنت أتمتع به من نفوذ واسع في عدن خلال زيارته لها في العام نفسه.

حصل سوء تفاهم بيننا في ١٨ فبراير سنة ١٩٤٧ عندما أقام الأمير عبدالله حفلة استقبال في فندقه لأعضاء الوفود العربية والبريطانية وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي وبعض الشخصيات البارزة من عرب وبريطانيين. كنت أقف إلى جانب الأمير لاستقبال الضيوف وكان كل شيء يسير على ما يرام إلى أن اقترب سموه من المستر أرنست بيفن وزير الخارجية البريطانية وطلب الاختلاء به لمدة وجيزة في إحدى زوايا قاعة الحفلات. قال لي الأمير أنه يريد أن يتحدث إلى المستر بيفن في أمر هام جداً فأجبته بأنه من الأفضل طلب موعد لذلك إذ إنه لا يحسن بحث الأمور الهامة في حفلة استقبال عامة فأصر على رأيه.

قال لي: «قل لمعالي الوزير بيفن بأن جلالة والدي الإمام قد كلفني إبلاغكم رسمياً بأنه غير راضٍ عن تصرفات وتحركات أخي أحمد ولي العهد في المناطق الحدودية وأنه مصمم على وضع حد لتوتر العلاقات بين الدولتين الصديقتين بريطانيا العظمى واليمن، وأن جلالته سيصدر أوامره قريباً بتكليفي لتحسين لعلاقات المتردية بين الدولتين وإنني سأبذل جهدي لإعادة بناء هذه العلاقات على سس جديدة ومتينة من التفاهم والتعاون وحسن الجوار».

نقلت اقوال سموه إلى الوزير بيفن وأنا أشعر بحرقة وألم إذ لم أكن أتصور أن يقدم أمير على القدح بأخيه امام وزير خارجية دولة كبرى يكيل لها اليمنيون الانتقادات والاتهامات ولا يغفرون لها احتلالها لمناطق بلادهم الجنوبية في وقت كانوا يصارعون فيه الاحتلال العثماني البغيض. فلقد كان بإمكان الأمير إبداء استعداد بلاده لتحسين العلاقات المتوترة مع بريطانيا دون توجيه الانتقاد لتصرفات أخيه وولي عهد بلاده وإظهار ما بينهما من خلاف ونشر غسيلهم على سطوح لندن.

أجابه الوزير بيفن بأنه يشكر جلالة ملك اليمن لحرصه على إعادة العلاقات الودية والتعاون بين بلديهما، وإن تلك البادرة الكريمة ستبادلها حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمثل، وأنه سيبادر إلى إطلاع وزير المستعمرات على ما تفضل سموه بنقله إليه كي يصدر أوامره إلى والي عدن التابع لإدارة وزارة المستعمرات كي يتعاون إلى أبعد حد مع السلطات اليمنية والبدء بعهد جديد من التفاهم والتعاون بين البلدين الصديقين.

لدى عودتنا إلى الفندق استدعاني سمو الأمير عبدالله إلى صالون جناحه، وبعد أن طلب من الحاضرين الخروج سألني عن رأيي في مقابلته القصيرة مع وزير الخارجية البريطانية فأجبته بأنني قد قمت بنقل كلامه بكل أمانة وأنه ليس من واجبي التعليق على ما جرى لأنني لم أعد موظفاً في الحكومة اليمنية وأنني إذا كنت قد حضرت المؤتمر فذلك امتثالا لرغبة جلالة الإمام يحيى رغم حالتي الصحية المتأخرة شرط انتهاء مهمتي بانتهاء المؤتمر. قال إنه شعر أثناء نقلي كلامه إلى المستر بيفن بأنني لم أكن مرتاحاً كلياً لما قاله فأجبته بأنني كنت أود ألا يستنتج الوزير بأن هنالك خلافاً بين جلالة الإمام وسمو ولي عهده، وداخل العائلة المالكة اليمنية. أجاب بأنه يجب أن يعلم البريطانيون بأن جلالة الإمام غير موافق على الأعمال المتهورة التي يقوم بها ولي العهد كي لا يقوموا بأي عمليات عسكرية جديدة ضد اليمن ويحتلون أجزاء إضافية منه خصوصاً بعد خروجهم من الحرب العالمية الثانية منتصرين. ثم أبدى أمله بأن يبقى أمر المقابلة سراً، لأنه ليس من المصلحة إطلاع أحد على ما جرى فأكدت له أنني لم أعتد النميمة وإفشاء الأسرار وأنه يعلم ذلك بعد أن أمضيت في خدمتهم مدة طويلة.

ذهبتِ إلى جناحه ليلة سفري وبعد اختتام المؤتمر لوداعه فكرر شكره لي على إتمام التقارير اللازمة قبل سفري وقال: «نرجو أن نراكم في صنعاء بعد شفائكم لأن جلالة الإمام قد اطلع من سمو الأمير يحيى على ما قمت به من جهود خلال زيارة سمو ولي العهد إلى عدن وما نتج عن ذلك من ملابسات. شكرته على كلماته اللطيفة ورجوته إبلاغ احترامي إلى جلالة الإمام وانصرفت ثم عدت مع القاضي محمد العمري إلى القاهرة ومنها سافرت إلى لبنان آملاً البدء ببناء مستقبل جديد لي في وطني وبين أهلي.

العودة إلى اليمن بناء على الحاح الامام أحمد سنة ١٩٤٨ بعد اغتيال الامام يحيى

بعد مصرع المغفور له الإمام يحيى بن محمد حميد الدين واعتلاء الإمام أحمد بن يحيى سدة الإمامة والقضاء على ثورة وانقلاب السيد عبدالله بن الوزير، طلب مني سيف الإسلام عبدالله بن يحيى وزير خارجية اليمن السفر إلى مصر لمقابلته في أمر هام. سافرت إلى القاهرة في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٨ واجتمعت بسموه فأطلعني على برقية مستعجلة واردة من الإمام أحمد يلح فيها بوجوب سفري إلى تعز فوراً لأكون إلى جانبه في تلك الفترة العصيبة، خصوصاً وأن الدول العربية والأجنبية كانت قد بدأت بالاعتراف بعهده. اعتذرت إلى سيف الإسلام عبدالله عن عدم تمكني من السفر نظراً لحالتي الصحية، فلم يقبل عذري واستعان بأخي حليم أبو عز الدين الذي كان آنئذ قنصلاً عاماً للبنان في القاهرة فوافقت شرط عودتي إلى لبنان لاستكمال العلاج والاستعداد للسفر.

وفي ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٨ تلقيت برقية مستعجلة ثانية من سيف الإسلام عبدالله يطلب مني بناء على رغبة الإمام أحمد السفر فوراً إلى القاهرة لاستلام التعليمات الجديدة التي بعث بها الإمام أحمد. سافرت بالطائرة في اليوم التالي وفي ٣٠ أبريل ١٩٤٨ قابلت سيف الإسلام فأطلعني على برقية الإمام التي تكرر لإلحاح بوجوب سرعة سفري.

ففي ٦ مايس سنة ١٩٤٨ سافرت في الطائرة إلى الأقصر فجدة فأسمرة حيث أمضيت الليلة. وفي اليوم التالي تابعت الطيران إلى جزيرة قمران فوصلتها صباحاً واسترحت قليلاً عند وكيل حاكم الجزيرة البريطاني الذي وضع تحت تصرفي قاربه البخاري لإيصالي إلى ميناء ابن عباس حيث قابلني ابن أمير لواء الحديدة ورافقني إلى الحديدة. حضر أمير اللواء ومدير الأمن العام للسلام علي، وقد أبرقت إلى جلالة الإمام عن وصولي وعن عزمي على السفر إلى تعز في الغد.

في ٨ مايس غادرت الحديدة قبيل الفجر بالسيارة بصحبة ابن أمير اللواء ومررنا ببيت الفقيه وزبيد وحيس ووصلت تعز الساعة ٩ ليلاً، فنزلت في دار الضيافة حيث لقيت حاكم رداع الصديق القاضي محمد عبدالله الشامي والشيخ حسين الرماح شيخ مشائخ البيضاء.

في ٩ مايس حضر القاضي الحلالي كبير رجال الدولة في تعز والقائم فعلاً بأعمال رئاسة الوزراء وإن كان قد تحاشى إقران اسمه بذلك نظراً للحساسية المتناهية التي كان يظهرها أكثر الأمراء نحو هذا الموضوع. كان بصحبة القاضي الحلالي القاضي محمد عبدالله العمري الذي سبق ورافقته إلى مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن حول «القضية الفلسطينية» والذي كان يشغل منصب وكيل وزارة الخارجية، وقد تسنى لي العمل معه مدة طويلة داخل اليمن وخارجه وكان كالمرحوم والده مثالاً للطف والتواضع والكياسة. رحب الزائران الكريمان بي وأثنى القاضي الحلالي على خدماتي وإخلاصي له طيلة مدة إقامتي في عدن والنصائح القيمة التي كنت أسديها لهم وعلى الأخص عندما طلب جلالة المرحوم الإمام يحيى مساعدة بريطانيا لتحصين وحماية مضائق باب المندب وعن الجهد الذي بذلته لتغطية الشواذ التي رافقت زيارة ولي العهد (الإمام الحالي) أحمد لعدن في شهر أيار سنة ١٩٤٦. ختم كلامه قائلاً: «لقد كنت وفياً لنا عندما كنت موظفاً في حكومة عدن وطبعاً ستتبع نفس الخطة الآن وأنت في خدمة الحكومة اليمنية للمرة الثانية. أجبته شاكراً معاليه على حسن ظنه، وإنني إن كنت قد خدمت المصالح اليمنية سابقاً فذلك بعض من واجبي كعربي وإنما أبديت التخوف من عدم إفساح المجال أمامي لخدمة اليمن، وأنا في داخله كما كنت أفعل وأنا في خارجه فبدت على وجهه ابتسامة استوحيت

منها موافقته على كلامي، وأكد لي أن الإمام أحمد يقدرني وله ملء الثقة بي، ولولا ذلك لما ألح بسرعة حضوري رغم معرفته بحالتي الصحية.

خلال زيارة القاضيين الحلالي والعمري لي، وصل رسول جلالة الإمام يستدعيني لمقابلته فطلعت مع الزائرين الكريمين إلى المقام الشريف، حيث هنأني الإمام على سلامة الوصول وأبدى اهتماماً خاصاً بصحتي ووجه كلامه إلى القاضي محمد عبدالله العمري موصياً إياه بعدم إرهاقي بالعمل وبإسناد الأمور الهامة لي فقط، وقال: «بلغني أن الأستاذ نجيب حاول التهرب من القدوم إلينا وعلينا أن نؤمن راحته والجو المناسب لعمله، فهو «مستشاري ومستشارك يا قاضي محمد في الشؤون الخارجية دولياً وعربياً، ولن أسمح بتدخل أحد في عمله». وفي كلمة موجهة إلي طلب مني الاهتمام بتدريس الأمير البدر اللغة الإنكليزية ومبادىء القانون الدولي لأنه كان كما فهمت فيما بعد، يهدف إلى إسناد وزارة الخارجية إليه بدلاً من الأمير عبدالله الذي كان يمضي أكثر وقته خارج اليمن خصوصاً بعد مصرع والده.

أول مهمة أسندت إلي كانت تنسيق وزارة الخارجية وإدارة الجوازات، وكان عدد موظفي الخارجية آنذاك قد بلغ العشرة أشخاص بعضهم من الأخوان الفلسطينيين.

نظراً لاضطرار القاضي العمري للسفر إلى القاهرة في أوائل يونيو سنة ١٩٤٨ استدعاني جلالة الإمام وطلب مني القيام بأعماله طيلة مدة غيابه ولما كنت قد رجوته النظر في إمكانية منحي لقب «سفير» أجابني بحضور العمري أن قيامي بأعمال الوزارة وكوني المستشار السياسي الأوحد للديوان الملكي هما أهم في نظره من لقب «سفير» وأنه على كل حال سيدرس الأمر مع الأمير البدر الذي يثني على أعمالي وأن كل شيء سيكون كما ارغب لانني مستحق للترقية وقد أكد لي ذلك ثانية في كتابه رقم ٨٩ بتاريخ شهر أبريل سنة ١٩٥٠.

قابلت جلالة الإمام بعد أسبوع فطلب مني موافاته بنشرة يومية لأهم الانباء والأحداث العربية والدولية كما كنت افعل سابقاً وألح علي لإرسال نسخة عنها إلى الأمير البدر الذي يجب أن أخصص له لا أقل من ساعة يومياً لتدريبه وإيضاح أهم

الأحـداث العالميـة له، وقـد وجدت لـدى الأمير البـدر رغبة شـديدة لـلاطلاع على مبادىء العلوم السياسية. فقد كـان يطمـح إلى أن يكون عصـرياً في تفكيـره وتنسيق عمله، وهذا ما سرني كثيراً لعلمي أن البـلاد في أشد الحـاجة إلى تجـديد وتعـديل ذهنيـة الحكـام وطـرق حكمهم وقـد لمست من سمـوه تـأييـداً لمـا كنت أردده على مسامعه من وجوب القفز إلى عالم هذا القرن وضرورة أخذ اليمن مكانـه اللائق بين دوله خصوصاً وأنه كان فيما مضى مهد حضارة وعمران.

سكني في دار الضيافة

كان قصد جلالة الإمام من طلبه بـوجوب سكني في دار الضيـافة الصغيـر في تعز هو للاشراف على راحة الضيوف الـرسميين، إذ كان هـذا البناء الصغيـر المكان الوحيد لنزول ضيوف جلالته من رسميين وغيرهم.

ولمـا كان جهـاز راديو البـطارية هـو الوحيـد المتوفـر في دار الضيافـة، كانت غرفتي تعج بالمستمعين التواقين لسماع الأخبار العالمية من نزلاء دار الضيافة وأحياناً من غيرهم.

حالتي الصحية ومصادرة سريري

سافر القاضي محمد عبدالله العمري إلى القاهرة في أوائل يونيو سنة ١٩٤٨ وقد قمت بأعماله طيلة مدة غيابه عن تعز تحت إشراف سمو الامير محمد البدر. وأكدت للإمام آنئذ بأنني سأقوم بذلك. إنما وفور عودة القاضي من القاهرة سأرجوه السماح لي بالعودة إلي لبنـان نهائيـاً، لأن صحتي لم تعد تحتمـل الإرهاق وأطلعت جـلالته على تقرير طبي وضعه الطبيب الايطالي «طوفالون»، والذي يؤكد فيـه إصابتي بـداء الـدوسنطاريـة التي يلزمها الحميـة والراحـة اللتان لن تتـوفـرا لي إلا في منـزلي في لبنان، وأن باستطاعة قريبي سامي أبو عز الـدين القيام بـأعمالي على أحسن وجـه، إذا تعاون معه باقي موظفي الخارجية. أثنى جلالته على اجتهـادات سامي في عمله وعلى دماثة خلقه قائـلاً: «الأستاذ سـامي شاب خلوق وممتـاز والكل يثنـون عليه»، فشكرت جلالته على حسن ظنه بمن سيكون خلفي في عملي وإنما كالعادة نظر إلي وقـال: «ستظلان معـاً في خـدمتنـا وقـد أفكـر في السمـاح لـك بـالسفـر إلى لبنـان

للاستشفاء، وعليك مراجعة الولد البدر بذلك لأنني أعلم حقيقة شعوره نحوك وتمسكه بك فقلت: «أحمد الله يا مولاي بأنني لم أعدم من يقدر عملي». تظاهر جلالته بأنه لم يسمع أو يفهم قولي، ثم سألني إذا كنت مرتاحاً في سكني في دار الضيافة التي يلزم أن أبقى فيها فأجبته: «وكيف أكون مرتاحاً يا صاحب الجلالة وقد صدرت الأوامر العلية لمصادرة سريري وفراشي وتسليمهما إلى مستأجر دار الضيافة، وقد مضى علي أسبوعان وأنا أنام على الأرض وعلى فراش صغير معدّ لجلوس الضيوف، مما يسبب لي الأرق والألم بسبب إبرةالعلاج اليومية التي يعطيني إياها الطبيب. أبدى جلالته سخطه على مدير دار الضيافة وهدد بمعاقبته، مع العلم بأن المدير هذا أكد لي بأنه لم يتصرف إلا «طبقاً لأوامر جلالته».

الفصل العاشر

وصول وفود دبلوماسية وسياسية الى تعز

وصول وفد سعودي

في ٧ يـوليو سنـة ١٩٤٨ وصل إلى تعـز وفد سعـودي برئـاسة السفيـر السابق الشيـخ إبراهيم بن المعمـر، وحل في الغـرفة المجـاورة لي في دار الضيافـة. كـان الشيخ المعمر لطيفاً وأنيساً ونظراً لـوجود جهـاز الراديـو الوحيـد في دار الضيافـة في غرفتي، فكان يزورني مراراً في اليـوم للاستمـاع إلى نشرات الأخبـار وكنت أستمتع بطلاوة حديثه ولطف معشره، وكنا في أكثر الأحيان نتناول وجبات الطعام معاً.

حاول أحد رجال الديوان معرفة رأيي في الشيخ إبـراهيم، فأجبتـه أنني أعتقد بأنه رجل فاضل ومحترم ومتحفظ جداً في حديثه ويزورني دائماً لسماع نشرة الأخبار ولمـطالعة الكتب السيـاسية والـدبلوماسيـة التي أملكها، وإنني سعيـد جداً بمعـرفته ولقياه.

فالشيخ المذكور لم يوجه إلي طيلة المـدة التي صرفنـاها معـاً في دار ضيافـة الإمام أي سؤال يتعلق بالإمام أو حكمه أو أي انتقاد مباشر أو غير مباشر لكيفية إدارة البلاد وحكمها. لكنني رغم أن الشيـخ المعمر كـان يتجنب البحث مع أي يمني في الأمور الداخليـة اليمنية، نظراً لما اتصف بـه من حنكة ولبـاقة، فقـد بلغني من أحد المقربين من جلالة الإمام أنـه كان ينقـل إلى جلالـة الإمام نصـائح ورغبـات جلالـة العاهل السعودي بضرورة إدخال التحسينات الـلازمة لـرفع مستـوى الحكم والعيش داخل اليمن.

وصول الوفد الأثيوبي

في ٦ اكتوبر سنة ١٩٤٨ وصل هذا الوفد برئاسة الوزير «دافيد أوجبزكي» الذي عرفته خلال سنوات الدراسة في جامعة بيروت الأميركية. زرته في دار الضيافة واستلمت منه نسخة من كتاب جلالة الأمبراطور هيلا سلاسي إلى جلالة الإمام أحمد.

في ١٤/١٠/١٩٤٨ وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً رافقت الوفد الأثيوبي إلى المقام الشريف، وقدمت لجلالته رئيس وأعضاء الوفد. ألقى رئيس الوفد كلمة بين يدي جلالته ترجمها إلى العربية عضو عربي في الوفد ثم جرى بحث مشاكل أريتريا والصومال والمسلمين في الحبشة. سلم بعدها رئيس الوفد إلى جلالة الإمام هدية الأمبراطور، وهي كناية عن رماح وطروس وأنياب فيل مع رسم للأمبراطور موقع منه، بعد هذا اللقاء رافق الوفد جلالة الإمام لحضور حفلة الجيش اليماني بمناسبة عيد الجيش.

في ١٥/١٠/١٩٤٨ رفعت تقرير إلى جلالة الإمام عن مقابلة الوفد الأثيوبي له أمس.

في ١٦/١٠/١٩٤٨ رافقت الوفد في زيارة للقاضي الحلالي. بحثنا في أمر الفارين من مسلمي أثيوبيا وفي عقد معاهدة جديدة بين اليمن واثيوبيا ثم أعددت مسودة كتاب جوابي من جلالة الإمام إلى جلالة أمبراطور أثيوبيا ومسودة معاهدة جديدة بين البلدين.

أقام القاضي الحلالي حفلة غداء على شرف الوفد حضره كبار رجال الدولة يتقدمهم سمو الأمير البدر.

في ٢٠/١٠/١٩٤٨ أقام عامل تعز السيد أحمد محمد باشا حفلة غداء على شرف الوفد أيضاً، حضرها الأميران البدر والمطهر وكبار الموظفين والأعيان.

بعد الظهر عقدنا مع الوفد جلسة لدرس مسودة المعاهدة الجديدة المزمع عقدها بين البلدين، ثم جرت مقابلة بين الوفد وبعض اللاجئين الأثيوبيين المسلمين لم تكن ودية كما يجب.

في ١٩٤٨/١٠/٢١ توجه الوفد بصحبة عامل تعز لزيارة جامع الجند التاريخي.

في ١٩٤٨/١٠/٢٣ زار الوفد الحلالي في منزله للوداع وقد حضر الحلالي على الفور لوداعهم أيضاً، وتسليمهم كتاب جلالة الإمام إلى جلالة الامبراطور مع هدايا جلالة الامام ورجا رئيس الوفد اصطحاب اثنين من اللاجئين المسلمين مع الأمل بالعفو عنهم وعن زملائهم فوعد رئيس الوفد خيراً.

في ١٩٤٨/١٠/٢٤ سافر الوفد إلى عدن وجرى له وداع رسمي أمام دار الضيافة في تعز ولم يقابلوا جلالة الإمام لوداعه بسبب مرضه.

وفد فلسطيني

وصل إلى تعز في الأسبوع الثالث من أكتوبر سنة ١٩٤٨ وفد فلسطيني مؤلف من ثلاثة أشخاص ومعه كتاب من سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر إلى جلالة الإمام أحمد وحلّوا في دار الضيافة. لم يتمكن جلالة الإمام من استقبالهم بسبب اعتكافه، فظنوا أن جلالته لا يريد مقابلتهم وتساءلوا عن الأسباب الداعية لمثل هذا الإهمال، طالما أن جلالته قد وافق على زيارتهم وكان باستطاعته عدم السماح بها إذا كان غير راغب في استقبالهم.

حاولت أن أطيب خاطرهم وأن أفهمهم أن جلالة الإمام مريض وأنه سيقابلهم فور إبلاله وأنه يسأل عنهم دائماً ويوصي بوجوب إكرامهم وتوفير كل أسباب الراحة لهم، وإنني أزورهم يومياً بناء على أوامره، وكنت قد أعددت لهم برنامجاً لزيارة الأماكن الأثرية المجاورة لمدينة تعز.

قابل رئيس وأعضاء الوفد جلالة الإمام في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ لمدة تزيد عن الساعتين وقد شرح رئيس الوفد لجلالته حقيقة ما يقاسيه الشعب العربي الفلسطيني من ويلات وتشريد نتيجة للأعمال الحربية الصهيونية الأخيرة ضدهم وضد الدول العربية المجاورة. أبدى الإمام ألمه لما حصل وأكد لهم أنه على اتصال دائم مع الحكومات العربية ومع جامعة الدول العربية، وأنه يفكر في إرسال

نجله الأمير محمد البدر على رأس وفد يمني لزيارة بعض الـدول العربيـة المجاورة لفلسطين لبحث القضية معهم وما يتوجب على اليمن عمله في ذلك المضمار.

قدم جلالة الإمام لرئيس الوفد:

هدية نقدية مقدارها ٣٠٠٠ ريال نمساوي.

٦٤٠ طن من الذرة.

حوالة مالية بمبلغ ١٥ ألف جنيه استرليني.

سافر الوفد الفلسطيني إلى عدن في اليوم التالي لأنهم علموا بأن وفداً بريطانياً سيصل من عدن بعد يومين، وسينزلون في دار الضيافة الصغير المؤلف من ١٢ غرفة فقط.

ما يجب ذكره في هذا الصدد هـو أن الإمام أحمـد كان يعـطف على الأخوان الفلسـطينيين ويتألم لمحنتهم ومـآسيهم على أيدي البـريطانيين والصهـاينـة، وإنمـا إمكانيات مد المقاومة الفلسطينية بالمسـاعدات المتـوجبة على كـافة الـدول العربيـة كانت محدودة جداً نظراً لضآلة موارد الخزينة اليمنية ولبعدها عن فلسطين. لقد كان يلح دائماً على الموفدين البريـطانيين الذين يـزورونه بوجوب إنصاف عـرب فلسطين ولكن طبعاً دون جدوى.

زيارة والي عدن

في الأسبوع الأخير من أكتوبر سنة ١٩٤٨ استلم جلالـة الإمام كتـاباً من والي عدن السر رجينالد تشامبيون يبدي فيه رغبته في زيارة جلالته في تعـز على رأس وفد من معاونيه لبحث كافة النقاط والمشاكـل المعلقة بين الـطرفين. طبعاً أبـرق جلالتـه للوالي مرحباً.

في أول نوفمبر زارني القاضي حسين بن علي الحلالي رئيس الديوان الملكي والرئيس الفعلي لمجلس الوزراء لبحث برنامج زيارة الـوالي إلى تعز المقـررة في ٣ منه. أخبرني أن جلالة الإمام قد أمر بأن تتـألف بعثة الشـرف التي ستستقبله من أمير لواء تعز وعاملها ومني، على أن يرافقنا أحـد كبار ضبـاط الجيش مع ثلة من الجيش لأخذ التحية العسكرية للوالي.

تركنا تعز بعد ظهر يوم ٢ نوفمبر متوجيهن إلى بلدة الراهدة حيث بتنا ليلتنا ثم تابعنا السير إلى قريتي كرش وعقان، حيث انتظرنا وصول موكب الوالي. كان جلالة الإمام قد أمر بوضع سيارته الفخمة تحت تصرف الوالي بشرط أن ترفرف على مقدمتها الراية اليمنية فقط مع أن الأعراف الدولية تقضي بأن ترتفع راية دولة الضيف أيضاً على مقدمة السيارة إضافة إلى راية دولة المضيف، وإنما جلالته كان يرفض أمثال تلك الاجتهادات الدبلوماسية الواهية في نظره. كما وأنه أصدر أوامره للوفد وإلى ضباط الحرس المرافق، بأن ندخل سلطنة الحوشبي المحمية حتى عقان حيث نستقبل الوالي وصحبه على أساس أن كافة أنحاء اليمن الجنوبي المحتلة هي أراضٍ يمنية وستعود إلى اليمن أن عاجلاً أو آجلاً، ولا يحق للحكومة البريطانية المعتدية الاعتراض على ذلك.

اصطف حرس الشرف اليمني في عقان ووصل موكب الوالي فترجل السر ريجنالد تشامبيون والسيدة قرينته وبرفقته الميجر بازل سيجر المعتمد البريطاني والسيدة قرينته والشيخ صالح جعفر مساعد ضابط الحدود المقيم في الحديدة والأستاذ أحمد حسن المظفر أحد كبار مساعدي المعتمد البريطاني وفريق من المساعدين والخدم فتقدمت منه مصافحاً، ثم قدمت له ولمساعديه رئيس بعثة الشرف أمير لواء تعز، ثم عامل تعز وطلبت من رئيس البعثة السيد يحيى مرافقة سعادة الوالي إلى حيث يقف حرس الشرف لأخذ التحية. نظر إلي الوالي وقال: سأتحدث إلى سعادة رئيس بعثة الاستقبال باللغة العربية التي يسعدني التكلم بها بطلاقة (كان الوالي يتقن اللغة العربية كأحد أبنائها لأنه تلقنها على يد أستاذ خاص في فلسطين حيث كان يشغل فيما مضى منصباً رفيعاً). صافح الوالي السيد يحيى ثانية قائلاً: إنني أشكر لكم جفاوتكم البالغة بي وبرفاقي، ثم وقف مواجهاً حرس الشرف الذي أدى له التحية الرسمية.

بعد أن صعد الوالي إلى سيارة الإمام وجلس إلى يساره السيد يحيى رئيس بعثة الشرف ثم سيارة المعتمد البريطاني وعامل تعز وباقي الزوار والمستقبلين إلى السيارات المعدة لهم، تابع الموكب سيره إلى الراهدة تتقدمه وتتبعه سيارات الحرس، فوصل إلى الراهدة ظهراً، حيث كان مدير دار الضيافة فيها قد أعد الغذاء

للضيوف والمستقبلين. جاء رئيس خدم الدار ليخبر رئيس بعثه الشرف أن الطعام جاهز وطلب منه مرافقة الضيوف إلى قاعة المائدة. التفت السيد يحيى شمالاً ويميناً وسأل «أين سائق سيارة جلالة مولانا؟» فبحثوا عنه خارج الدار، فلم يجدوه فنظر إلي وسألني إذا كان من الجائز تناول طعام الغداء بغياب سائق سيارة مولانا فأجبته: «بكل تأكيد سنتناول الغداء الآن ولن ننتظر أحداً، وعندما يحضر سائق سيارة مولانا فباستطاعته تناول الغداء مع سائقي سيارات الوفد الزائر». طلبت منه مرافقة الوالي فتبعهما باقي الضيوف والمستقبلين.

بعد تناول الغداء والاستراحة استأنف الموكب المسير نحو مدينة تعز التي بلغها عند الغروب، فاستقبلته فرقة من الجيش مع موسيقاها وكان في مقدمة المستقبلين القاضيان حسين بن علي الحلالي ومحمد عبدالله العمري، وبعد تأدية التحية العسكرية دخل الضيوف وكبار القضاة دار الضيافة حيث قدمت لهم المرطبات، ثم توزع الضيوف على غرفهم التي كان يقيم فيها قبيل وصولهم عدد من موظفي الدولة من غير اليمنيين الذين أمروا بالجلاء عن غرفهم إلى الطابق الأسفل من الدار حيث قضوا أياماً صعبة. أما أنا فقد طلب إلي البقاء في غرفتي للإشراف على راحة الوفد الزائر، وإنما جرى مصادرة سريري ليستعمله الضيوف الكرام مما اضطرني للنوم على سجادة، وقد سبب لي ذلك مشقة نظراً لاضطراري لأخذ إبرة علاج يومياً.

قام الوفد البريطاني بزيارة سمو الأمير محمد البدر في اليوم الثاني ثم قاموا بنزهة في المدينة وقبيل الظهر زارهم القاضي الحلالي ليخبرهم بأن جلالة الإمام سيستقبلهم في صباح الغد. استدعاني جلالة الإمام بعد الظهر إلى قصر صالة خارج مدينة تعز ليبحث معي في أمر زيارة الوفد له، وقد فهمت منه أن في نية الوالي الإلحاح لإقامة علاقات دبلوماسية مباشرة بين بريطانيا واليمن، وأن هذا الموضوع الحساس يحتاج إلى درس عميق. كما فهمت من جلالته أنه سيطلب من الوالي تسهيل عملية شراء باخرة وطائرات مدنية وغيرها من الأدوات من شركات بريطانية، وأنه فهم من ممثل اليمن التجاري في عدن الشيخ الجبلي أن باستطاعة الوالي أن يطلب من حكومته التدخل مع هذه الشركات كي تخفض أسعارها

وعمولات وكلائها. أجبت جلالته بأنه لا دخل لي في موضوع المشتريات، وإنما رجائي الحار بألا يجري تبادل التمثيل الدبلوماسي مع بريطانيا قبل الدول العربية الشقيقة إذ إن ذلك سيمس في سمعة اليمن. اقترحت على جلالته تعيين أول سفير لبلاده في القاهرة لأن مصر هي كبرى الدول العربية، ولأن في القاهرة مندوب يمني دائم لدى الجامعة العربية يمكن تعيينه سفيراً لدى مصر ومندوباً لدى جامعة الدول العربية. عندئذ يمكن التفكير الجدي في تبادل السفراء مع بريطانيا وغيرها. كان انطباعي من هذه المقابلة مع جلالة الإمام أنه مقتنع برأيي خصوصاً بعد أن قلت له «يصعب علي أن أتصور أن حكومتكم تبدأ بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع بريطانيا قبل الدول الإسلامية والعربية» فكان جوابه «هذا صواب»، ثم استرعيت انتباه جلالته أن الوالي السر تشامبيون يحسن اللغة العربية كأحد أبنائها. كان بعض التجار يؤكدون للإمام بأن الحكومة البريطانية ستضغط على المؤسسات التجارية البريطانية لتخفيض أسعار المواد والآليات التي تتفاوض الحكومة اليمانية لشرائها منها وطبعاً انحصر همهم بما قد يحصلون عليه من عمولات.

صباح ٥ نوفمبر طلعت إلى قصر صالة حيث يقيم جلالة الإمام للإشراف على استقبال الوالي وصحبه الذين وصلوا في تمام الساعة العاشرة وقد استغرقت الزيارة نحو ساعة كاملة كانت ودية للغاية ولم يخف جلالته إعجابه بإتقان الوالي للغة الضاد. وبين ٦ و٨ نوفمبر تبادل الوالي وصحبه الزيارات مع كبار رجال الدولة اليمنية في تعز وتجولوا في أنحاء المدينة وجوارها.

بين ٩ و١١ نوفمبر عقدت عدة اجتماعات بين القاضي الحلالي وبعض مساعديه بمن فيهم الشيخ علي محمد الجبلي الوكيل التجاري لحكومة اليمن في عدن وبين الوالي والمعتمد البريطاني والشيخ صالح جعفر مساعد ضابط الحدود البريطاني، وبحثوا حسبما بلغني أموراً تجارية هامة لأنني لم أدع لحضور تلك المحادثات، رغم أن جلالة الإمام كان قد طلب مني حضورها بصفة مستشار. لقد أراد الوفد اليمني إبقاء المحادثات التجارية سرية لأسباب لا تخفى على المطلعين على حقائق الأمور. أحمد الله أنني استثنيت من حضورها لأن الروائح التي انبثقت عن الصفقات التي عقدت آنئذ لم تكن عطرة.

أما الهدايا التي حملها الوفد البريطاني إلى جلالة الإمام والأمراء وكبار رجال الدولة فكانت كناية عن سجاد وساعات يدوية وأقلام حبر، ولدى مغادرتهم صنعاء قدم لهم جلالته الهدايا أيضاً.

بين ١٢ و١٦ نوفمبر زار الوالي والمعتمد وزوجتاهما دار النصر في الجبل المطل على تعز وجامع الجند الأثري، كما زارت السيدتان الأميرات في القصر.

في صباح ١٧ نوفمبر زار الوالي وصحبه جلالة الإمام للمرة الثانية بحضور القاضي الحلالي وحضوري وعند الظهر أقام القاضي الحلالي حفلة غداء على شرف الضيوف في دار الضيافة حضرها الأمراء البدر والمطهر ويحيى بن المطهر ويحيى بن الحسين وكبار رجال الحكومة. كان ترتيب جلوس الضيوف إلى المائدة مبعث ارتباك لي وخصوصاً فيما يتعلق بالأمراء. فحسب البروتوكول يتقدم الأمراء أبناء الملك الحالي على أبناء الملك السابق، ومعنى ذلك تقديم الأمير البدر على عمه الأمير المطهر الذي كنت متأكداً أنه سيحتج ويعتبرها إهانة مقصودة لشخصه الكريم لأنه أكبر سناً من ابن أخيه محمد البدر، وهكذا قل عن باقي الضيوف اليمنيين الذين لم يألفوا هكذا ترتيبات بروتوكولية من قبل، إذ إن أكثرهم كان يعتبر أن الأولية تعطى على أساس السن حتى ولو كان الأصغر سناً هو الأرفع مرتبة.

كان همي الأكبر عدم خلق سوء تفاهم بين الأمراء، لذلك اختليت بالأميرين البدر والمطهر وطلبت منهما البت في من منهما سيحتل مرتبة الصدارة في الوليمة. طلب الأمير البدر فوراً تقديم عمه المطهر عليه، فرد المطهر رافضاً ذلك وبعد فترة من الجدل الودي سألني المطهر أن ألتزم بتنفيذ مقتضيات البروتوكول في هكذا مناسبات، فأفهمته أن البروتوكول ينص على تقديم ابن الملك الحالي على ابن الملك السابق، فتقبل ذلك وإنما على مضض كما شعرت وقد تحقق لي ذلك بعد مدة عندما سألني الإمام عن سبب تأثر أخيه المطهر لعدم وضعه في المكان اللائق.

قبيل انتهاء المأدبة وقف سعادة الوالي وشكر القاضي حسين الحلالي على تكريمه له ولأعضاء وفده واصفاً إياه بوزير الإمام الأول والمفاوض القدير الذي بحنكته ولباقته قد ساعد على حل العديد من المشاكل في الماضي. بعد انتهاء الحفلة طلبني الأمير المطهر وسألني بحضور سمو الأمير محمد البدر عن سبب

تسمية الوالي للقاضي الحلالي بالوزير الأول، فأجبته بأنني أجهل ذلك تماماً، وطبعاً لم يستشرني الوالي بما يجب أن يقوله أو لا يقوله. السؤال الثاني كان «هل عنى الوالي بالوزير الأول ما هو مرادف لرئيس مجلس الوزراء؟» أجبت لربما كذلك. عندها انتفض سموه وتساءل بصوت عال ومن عيّن الحلالي رئيساً لمجلس الوزراء؟ وهل نحن الأمراء الوزراء تابعون له؟ وما دخل والي عدن ليعين لنا رئيساً لمجلس الوزراء؟ جرى ذلك والوالي والحلالي يقفان على مقربة منا.

في ١٩ نوفمبر قمت بمرافقة الوالي في نزهة على الأقدام داخل تعز. أبدى لي استغرابه لغيابي عن طاولة المفاوضات فأجبته أنني لم أكن متحمساً لحضورها، لأن أكثرها كان متعلقاً بصفقات تجارية لا دخل لي فيها ولربما شركاء تلك الصفقات قد تعمدوا إبعادي لعلمهم أنني كنت ساسترعي انتباه جلالة الإمام إلى شوائبها وأضرارها. ثم نظرت إلى سعادة الوالي وقلت «لربما كان إبعادي إكراماً لكم» فأكد لي أنه تأثر لغيابي وأنهم لم يكن لهم أي يد في ذلك فصدقته. أخبرني الوالي أنه قد بحث مطولاً مع الحلالي مسألة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين بريطانيا واليمن وأن جلالته سيدرس الموضوع بكل اهتمام، وسألني عن رأيي فأكدت له أنني أدرى الناس بحاجة اليمن للخروج من عزلتها، ولا مانع لدي من تبادل السفراء مع بريطانيا بعد ٢٤ ساعة من تبادلهم مع مصر أو أي بلد عربي. أجابني الوالي إن هذا هو ما نقله إليه الحلالي عن لسان جلالة الإمام وأنه متأكد أن جلالته قد استشارني في الموضوع وأنه يقدر موقفي كعربي.

في الصباح الباكر من ٢٠ نوفمبر نزل سعادة الوالي ورفاقه إلى باحة دار الضيافة، حيث كان القاضي الحلالي ورئيس وأعضاء بعثة الشرف وعدد من كبار الموظفين في انتظارهم، وقد وقف ياور جلالة الإمام إلى جانب الحلالي حاملاً السيف الثمين المهدى من جلالته إلى جلالة العاهل البريطاني الذي سلمه القاضي الحلالي إلى الوالي. ودع الضيوف الحاضرين من رجال الدولة ثم صدحت موسيقى الجيش، ورد سعادة الوالي على تحية حرس الشرف ثم صعد الجميع إلى سياراتهم طبقاً للبرنامج الذي اتبع لدى استقبالهم. أوصلنا الضيوف إلى الشريحة قرب الراهدة حيث جرت مراسم التوديع ثم عدنا إلى تعز مساء.

قامت عدة بعثات دبلوماسية وسياسية بزيارة تعز أثناء إقامتي فيها سنة ١٩٤٨، ولن آتي على تفاصيلها لأن أكثرها مشابهة لزيارة الوفد البريطاني من حيث الإيجابيات والسلبيات.

بعثة وندل فيلبس الأثرية الى مأرب

كلفت جامعة كاليفورنيا في عام ١٩٤٨ المنقب الأثري وندل فيلبس القيام بدراسة أثرية للقارة السوداء فاتخذ من مدينة نيروبي قاعدة لعمله.

دعاه الآغا خان الزعيم الروحي الأكبر للطائفة الاسماعيلية لزيارته وألح عليه بضرورة إجراء حفريات في جنوبي الجزيرة العربية لعله يجد برهاناً حسياً على وجود مملكة سبأ وزوده برسائل توصية إلى عدد من الزعماء المسلمين لمساعدته.

قام فيلبس لتوه بتأسيس «المؤسسة الأميركية لدراسة الإنسان» بمساعدة لفيف من العلماء والأخصائيين بالآثار وتمويل بعض الأثرياء المهتمين بحضارة جنوبي الجزيرة العربية. كان هم فيلبس ومرافقه العالم الأثري وليم فولبراينت التنقيب عن مدينة «تمنع» التاريخية عاصمة مملكة قعطبان المجاورة لمملكة سبأ واللتان أشتهرتا بتجارة البهارات والعطور.

كان فيلبس يدرك صعوبة الاستحصال على رخصة من الإمام لزيارة مأرب ولذلك استقل مع مرافقيه طائرة وحلق على علو منخفض فوق مدينة مأرب دون رخصة بغية درس معالم هذه المدينة من الجو، وأخذ الرسوم الفوتوغرافية اللازمة ظناً منه بأن الإمام لن يسمح له بالتنقيب فيها وخصوصاً في موقع سد مأرب، المعجزة الهندسية الشهيرة.

كتب فيلبس إلى سيف الإسلام عبدالله وزير خارجية اليمن راجياً السماح له ولبعثته بالتنقيب الأثري في مأرب كي يستفيد العالم بأسره من حضارة سبأ العربية العريقة وذلك فخر للأمة العربية. أجابه سيف الإسلام عبدالله طالباً منه الحضور إلى تعز للبحث مع جلالة الإمام في الموضوع فسافر مع بعض رفاقه في ١٠ أبريل سنة ١٩٥٢ ولدى وصوله إلى تعز طلب موعداً لمقابلة الإمام وتقديم ما ينقله من

هدايا لجلالته الذي رحب بهم وسألهم عن نتيجة تحليقهم فوق «تمنع» بدون رخصة فأبدى فيلبس اعتذاره عما حصل ورجا جلالته السماح لبعثته الأثرية لإجراء حفريات في مأرب لإظهار حضارة اليمن القديمة للعالم أجمع، فوافق الإمام على ذلك وأمر بوضع اتفاقية تحدد بالتفصيل مهمات البعثة وواجباتها والتي أمضاها سمو الأمير البدر وفيلبس، وكانت أول رخصة تعطى للبحث العلمي في اليمن.

عاد فيلبس ورفاقه إلى «تمنع» ثم توجهوا إلى مأرب، ولما لم يكن حاكم مأرب قد استلم إخطاراً من الإمام عن قدوم البعثة هذه، فقد طوق الجند اليمني في مأرب رجال البعثة واعتبروهم سجناء لديهم. وفي اليوم التالي وصل مندوب الإمام إلى مأرب لمرافقة البعثة والإشراف على أعمالها وفور وصوله وفك الحصار عنها رافقها إلى موقع سد مأرب الذي بني في القرن الثامن قبل الميلاد لجمع مياه سيول الوديان المحيطة به وشاهدوا عدداً وافراً من التماثيل وزاروا معبد القمر وعاينوا المقاعد الحجرية المعدة لجلوس القضاة للنظر في شكاوى الرعية كما وجدوا ثلاث غرف مطمورة مع محتوياتها من أدوات الطبخ ومرايا وعلب الحلى والبخور والدر والمزهريات والكؤوس إلخ. زاروا معبد القمر والمعبد اللولبي للملكة بلقيس وشرعوا في عمليات الحفريات.

نشب خلاف بين البعثة ومندوبي الإمام في مأرب وفي ٦ مارس سنة ١٩٥٣، صدر بيان عن مفوضية اليمن في واشنطن تتهم فيلبس وبعثته بالفرار من مأرب إلى محمية عدن دون دفع أجرة العمال ونقل الكنوز المكتشفة معه وأنه خالف بنود الاتفاقية المعقودة بينه وبين حكومة اليمن، وأنه استعمل نتائج حفرياته لفرض الكسب المادي والابتزاز.

تقديم أوراق اعتماد سفير الباكستان

وصل إلى تعز في عام ١٩٥٥ سفير الباكستان في القاهرة لتقديم أوراق اعتماده إلى جلالة الإمام كوزير مفوض لبلاده في اليمن. رحب جلالته بوصوله كونه يمثل دولة إسلامية كبرى صديقة للدول العربية وتؤازر قضاياها وعلى الأخص

القضية الفلسطينية التي كان مندوب الباكستان لدى الأمم المتحدة السر محمد ظفر الله خان أحد كبار المدافعين عنها، والذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمعية العمومية للأمم المتحدة. أمر جلالته نسيبي سامي أبو عز الدين الذي حل مكاني في وزارة الخارجية اليمنية بأن يهتم بالزائر الكريم وأن يسهر على توفير أسباب الراحة له.

قام السفير المذكور ثاني يوم وصوله بزيارة وزارة الخارجية حيث قدم لوكيل الوزارة نسخة عن أوراق اعتماده ليجري ترجمتها إلى اللغة العربية كي يطلع جلالة الإمام على مضمونها قبل تعيين موعد رسمي لتقديمها إلى جلالته.

المعلوم أن الباكستان هي عضو في الكومونولث البريطاني ومن المتفق عليه بين الدول المنتمية إلى الكومونولث أن يقدم سفراؤها أوراق اعتمادهم لدى الدول التي يعتمدون إليها باسم جلالة ملكة بريطانيا الملكة إليزابيت رئيسة الكومونولث، جرى ترجمة أوراق الاعتماد هذه إلى اللغة العربية مع الكتاب المرفق من رئيس وزراء باكستان ولدى اطلاع جلالة الإمام على نص كتاب الاعتماد الموجه إليه من الملكة البريطانية ثار غضبه وصاح بأعلى صوته قائلاً: «كيف يجوز أن يقدم سفير دولة إسلامية مستقلة أوراق اعتماده إلى رئيس دولة إسلامية شقيقة باسم الملكة البريطانية وما دخل هذه الملكة بذلك؟ وبالاختصار اعتبر ذلك إهانة موجهة إليه وطلب إبلاغ السفير رفض أوراق اعتماده هذه وواجب إعادتها إلى مرسلتها الملكة البريطانية، ثم العودة مع أوراق اعتماد جديدة تكون صادرة عن رئيس دولة الباكستان.

كان المفروض بأن يجري تقديم أوراق الاعتماد هذه في اليوم التالي نظراً لما أبداه السفير المذكور من ضرورة الاستعجال في العودة إلى مقر علمه الأساسي في القاهرة. إن رفض الإمام قبولها أوقع رجال الخارجية المسؤولين في حيرة وارتباك شديدين، إذ أبى جلالته قبول المبررات القانونية والدستورية التي أبدوها له وأهمها عضوية دولة الباكستان في الكومونولث البريطاني. لم يجد المسؤولون بداً من اطلاع السفير الزائر عما حصل وعن رفض جلالة الإمام قبول أوراق اعتماده للأسباب التي سبق ذكرها. أبدى السفير تأثره العميق للموقف الذي اتخذه الإمام من أوراق اعتماده الصادرة عن سلطات بلاده الشرعية والتي لايجوز حصول أي تساؤل حولها

وعلى الأخص من دولة صديقة كاليمن، لأن ذلك يعتبر تدخلاً سافراً في شؤون بلاده. أبدى السفير رغبته في مقابلة الإمام بغية محاولة إقناعه بالعدول عن موقفه وإنما لم يكن ذلك ممكناً، لأن جلالته كان لا يزال في حالة غليان.

أخيراً عقد كبار رجال الخارجية اجتماعاً هاماً قرروا فيه زيارة الإمام ورجاءه اعتماد كتاب الرئيس الباكستاني إلى جلالته بمثابة أوراق الاعتماد والضرب صفحاً عن كتاب اعتماد الملكة البريطانية، وقد ألهم الله جلالته قبول رجاء ووساطة المسؤولين في وزارة خارجيته، فقام السفير بمقابلة جلالة الإمام وقدم له أوراق اعتماده غير الرسمية وعقب ذلك حفلة غداء على شرفه في قصر الإمام.

تعييني مستشارا للوفد اليمني للوساطة في النزاع العربي حول «حرب فلسطين» سنة ١٩٤٩ ومستشارا للوفد اليمني الى اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ١٩٤٩ - ١٩٥١

التعيين الأول

استدعيت برقياً وعلى عجل في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ لمقابلة جلالة الإمام في قصر صالة خارج مدينة تعز، ولدى وصولي علمت بأن جلالته مجتمع بجميع الأمراء والوزراء الموجودين في تعز، إضافة إلى أمير اللواء والعامل وحاكم المقام. قال لي جلالته إن القصد من هذا الاجتماع الهام هو درس إمكانية توسط اليمن في الخلافات والنزاعات الحادة الناشبة ما بين بعض الملوك والرؤساء العرب. أيد الجميع هذه الفكرة المباركة ملحين بوجوب خروج اليمن من دور «المستمع» فيما يتعلق بالقضايا والخلافات العربية إلى دور العضو العامل الفعال. أدركت لساعتي أن قرار جلالة الإمام مصدره إلحاح الأمير البدر المتواصل عليه بضرورة خروج اليمن من عزلته التامة، والتعرف عن كثب على ما يجري في العالم العربي خاصة، والغربي عامة، وقد كان هذا موضوع الحديث اليومي تقريباً فيما بيننا(*).

(*) قصدت من إيراد تفاصيل هذه الزيارة التاريخية التي قام بها وفد يمني برئاسة الأمير محمد البدر، تبيان أهميتها لأنها كانت محاولة للانعتاق من القوقعة الاجتماعية والسياسية التي فرضت على الشعب اليمني منذ قرون عدة، وبدء الانفتاح الحذر على العالم العربي والدولي.
(المؤلف)

طلب مني الإمام مرافقة الأمير البدر إلى غرفة مجاورة للاطلاع منه على ما يجب البدء في تحضيره للجولة العربية المرتقبة. أخبرني البدر أن جلالة الإمام يريدني إعداد نص البرقيات التي ينوي إرسالها إلى كل من أصحاب الجلالة ملوك مصر والعربية السعودية والأردن، وإلى فخامة رئيسي الجمهوريتين السورية واللبنانية، كما أنه يريد أن يزود الوفد الذي سيسمي رئيسه وأعضاءه قريباً بكتاب خاص إلى جلالة الملك عبدالله بن الحسين العاهل الأردني الذي تربطه بجلالة الإمام روابط النسب الهاشمي والمودة الخاصة. قمت بإعداد اللازم وسلمته إلى سمو الأمير الذي نقله إلى جلالة والده الذي كان لا يزال مجتمعاً مع الأمراء وكبار رجال الحكومة في تعز.

في ١٥ ديسمبر تسلمت كتاباً من الأمير البدر يطلب مني فيه إعداد تقرير موجز، وإنما دقيق عن القضية الفلسطينية وما آلت إليه حالياً ليكون على اطلاع تام بما سيقوم به نيابة عن والده من وساطة ومساعي خيرة.

في ١٨ منه زارني سموّه في دار الضيافة وأخبرني أن جلالة الإمام قد أمر بتعييني مستشاراً للوفد الذي سيرأسه، وأن جلالته قد أدخل بعض التعديلات الطفيفة على نص البرقيات التي سبق لي إعدادها وأنها قد أرسلت فعلاً.

كان من المفروض سفر وفد الوساطة اليمني في صباح يوم ٢١ ديسمبر عن طريق صنعاء فنزلنا إلى المطار ظهراً، وعند الساعة الرابعة بعد الظهر وصلنا أمر من جلالة الإمام لتأجيل السفر، فعدنا إلى دار الضيافة بعد انتظار طويل في المطار وتوجهنا بعدها إلى «صالة» لعقد اجتماع مطول للوفد برئاسة الإمام استمر حتى ساعة متأخرة من الليل تناولنا خلالها طعام العشاء على مائدته.

في الساعة الثامنة من صباح ٢٢ ديسمبر أقلعت الطائرة المقلة للوفد من مطار تعز وعلى متنها الأمراء محمد البدر والقاسم وعامل تعز السيد محمد أحمد باشا والسيد محمد بن إبراهيم وأنا. كان استقبال الأمير البدر وصحبه في صنعاء رائعاً حفاً رأسه سمو الأمير سيف الإسلام الحسن نائب جلالة الإمام في صنعاء وأمير الجيش المظفر السيد علي بن إبراهيم وكبار رجال الدولة هناك. توجه الأمراء إلى قصورهم وذهبت أنا إلى دار الجرموزي حيث كنت أسكن إحدى طبقاته قبل عشرة أعوام، وقد زرت فور وصولي القاضي محمد راغب وزير الخارجية السابق وبعض

الأصدقاء وتلقيت زيارة من أبناء صديقي المجاهد الأستاذ أحمد محمد نعمان الذي كان لا يزال في سجنه في حجة.

حوالي الساعة العاشرة من صباح ٢٣ ديسمبر وصل الوفد إلى مطار صنعاء حيث جرى وداعه رسمياً، ثم استقل الطائرة إلى جزيرة قمران التي بلغها حوالي الساعة الحادية عشرة ومكث فيها حتى الساعة الواحدة بعد الظهر، ثم غادرها إلى جدة فوصلها حوالي الرابعة، وكان في استقباله المشائخ عبدالله السليمان والسديري ومحمد سرور. قام الوفد في المساء بتأدية العمرة والطواف في مكة المكرمة.

في صباح يوم ٢٤ ديسمبر تشرف الوفد بمقابلة جلالة العاهل السعودي الملك عبد العزيز في قصره في جدة الذي بعد الترحيب برئيس الوفد وأعضائه بحث في مهمة الوفد، داعياً له بالتوفيق وأبدى أسفه للخلافات الحاصلة بين بعض الملوك مما يجعل إسرائيل والصهيونية الرابحين الوحيدين. بعد استفسار جلالته عن صحة جلالة الإمام أحمد تطرق إلى سرد حوادث فلسطين المؤسفة وما نزل باللاجئين من ويلات وتشتت. ثم استنكر انقلاب السيد عبدالله بن الوزير وأعوانه ومصرع شيخ ملوك العرب الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ورئيس وزرائه القاضي عبدالله العمري وبعض الأمراء وأبنائهم. حمل جلالته بعنف على مدبري الانقلاب وعلى من كان وراءهم أمثال السيد فضيل الورتلاني. آخر عبارة قالها جلالته وقد دونتها فور النطق بها كانت: «نحن عيونكم وأسنانكم نفديكم بالمال والنفس والرجال». رد الأميران محمد البدر ويحيى الذي كان قد التحق بالوفد في صنعاء شاكرين حفاوة وعطف جلالته وناقشوا معه بعض النقاط المتعلقة بمهمتهم وتزودوا بآرائه وإرشاداته القيمة.

استغرقت الزيارة ما يقارب الساعة خرج الوفد بعدها قاصداً الحرم الشريف للطواف ولتأدية صلاة الوداع ثم توجه إلى مطار جدة، حيث استقل الطائرة إلى الأقصر فبلغها حوالي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر فاستقبله مأمور مركز الأقصر نائباً عن مدير قنا ورافقه إلى فندق ونتر بالاس في المدينة حيث أمضى الليلة وسط عدد وفير من النزلاء الذين قدموا لتمضية ليلة عيد الميلاد في المدينة الأثرية الكبرى.

في ٢٥ ديسمبر غادر الوفد مطار الأقصر حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً وكان في وداعه مأمور المركز، ووصل إلى مطار القاهرة ظهراً وكان في استقباله مندوب جلالة الملك السيد إكرام سيف النصر وعن دولة رئيس مجلس الوزراء السيد حسن محرم والسيد فؤاد شيرين محافظ القاهرة وممثلو السفارات العربية في العاصمة المصرية. توجه رجال الوفد إلى قصر عابدين حيث سجلوا أسماءهم في سجل التشريفات ثم إلى فندق سميراميس حيث نزلوا خلال إقامتهم في القاهرة.



لقاء الشقيقين المؤلف نجيب أبو عز الدين وشقيقه حليم أبو عز الدين في القاهرة عام ١٩٤٨

زار الأمراء بعد الظهر المستشار الصحفي للقصر السيد كريم ثابت والقائمقام محمد يوسف مدير الاستخبارات، ثم توافد عدد من الصحفيين فأدلى الأمير البدر بتصريح مقتضب عن أهداف الزيارة كما زارهم بعض الأصدقاء من يمنيين وغيرهم.

وفي ٢٦ ديسمبر زار دولة رئيس الوزراء النقراشي باشا رئيس الوفد وأعضائه في الفندق. كما زارهم فيما بعد سماحة مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني والسادة سمير الرفاعي وأحمد حلمي ووفود عربية أخرى.

في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ زار الأميران الملك فاروق يصحبهما الأستاذ كريم ثابت المستشار الصحفي للقصر الملكي. تأسفا لقيامهما بهذه الزيارة لأن الملك أبدى استخفافاً بمهمتهما وحمل حملة شعواء ملوءها الشتائم على أحد ملوك العرب

الذي يجله ويقدره جلالة الإمام والأميران. استمر الملك فاروق في توجيه الاهانات بعبارات نابية ومستهجنة ثم نهض من مكانه إيذاناً بانتهاء الزيارة فودعه الأميران وعادا إلى الفندق وكانت تبدو عليهما آثار الأسف والدهشة واعتذرا على مقابلة الصحفيين المحتشدين في بهو الفندق.

زار الأميران ومستشارهما بعدها النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء وعزام باشا أمين عام جامعة الدول العربية ثم أبرقا إلى جلالة الإمام عن نتائج الزيارات التي قاما بها.

في ٢٨ ديسمبر قابل الوفد في الفندق أحمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين وكبار أعوانه.

في نفس اليوم جرى اغتيال المرحوم النقراشي باشا، وفي اليوم التالي ٢٩ منه شيعت جنازته باحتفال رسمي مهيب واشترك الوفد اليمني في التشييع.

بعد الظهر زار الوفد سماحة الحاج أمين الحسيني في منزله وبحث معه في مهمة الوفد والخلافات العربية حول القضية الفلسطينية، وقد كان رأي المفتي الأكبر عين ما سمعناه من أحمد حلمي باشا.

في ٣٠ منه زار الأميران محمد البدر ويحيى ومستشارهما وبصحبتهم السيد علي المؤيد وكيل الحكومة اليمنية في مصر دولة إبراهيم عبد الهادي باشا لتهنئة دولته برئاسة الوزارة واغتنما الفرصة لاطلاعه على فحوى مهمة وفدهم فدعا لهم بالتوفيق.

في ٣١ منه غادر الوفد مطار القاهرة في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وجرى له وداع رسمي ووصل إلى مطار دمشق ظهراً وتوجه أعضاؤه لتوهم إلى مقر رئاسة الجمهورية لتسجيل أسمائهم في سجل التشريفات. قابل الأميران فخامة الرئيس السوري شكري بك القوتلي ثم توجهوا إلى فندق أوريان بالاس لتناول طعام الغداء مع السيد فرحان الشبيلات وزير المملكة الأردنية الهاشمية المفوض في لبنان.

سافر الوفد من دمشق براً الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، ووصل عمان في

الساعة السابعة والنصف مساء، وكان في استقباله في الرمثاء رئيس الديوان الملكي ومتصرف إربد، واستقبله في الأزرق قاضي القضاة السيد الشنقيطي ومحافظ عمان والسيدان حسين سراج واسماعيل البلبيسي. نزل الأمراء في قصر البلبيسي وباقي أعضاء الوفد في فندق فيلادلفيا.

في أول يناير سنة ١٩٤٩، زار دولة توفيق باشا أبو الهدى رئيس الوزارة الأردنية الأمراء في قصر البلبيسي، ثم زارهم سمو الأمير طلال بن عبدالله ولي العهد الذي أبدى سخطه على خطط التخاذل التي اتبعتها بعض الدول العربية تجاه الشعب الفلسطيني وبلاده.

توجه الوفد عند الساعة العاشرة صباحاً من اليوم التالي إلى قصر غمدان لمقابلة جلالة الملك عبدالله بن الحسين فحيتهم فرقة من الجيش مع موسيقاها ثم عانق جلالته الأمراء وصافح باقي رجال الوفد. كان الأميران يخاطبان جلالته «بجلالة العم» ويجيبهم «يا أولادي» جرى بينهم حديث عائلي، إذ استفسر جلالته عن صحة جلالة الإمام وعن الحالة العامة في اليمن بعد انقلاب ابن الوزير ومصرع الإمام الجليل، فشكره الأميران على ما أبداه نحوهم ونحو بلادهم من شعور وتأييد كريمين في أشد الظروف حرجاً وعندما كان يميل بعض الرؤساء العرب لتأييد الحركة الانقلابية. أجاب جلالته شاكراً جلالة أخيه الإمام أحمد على إرساله الوفد للاطلاع على حقيقة الموقف مؤكداً أن تخلفه عن متابعة القتال سببه معرفته التامة بمدى قوة واستعدادات العدو الصهيوني، ومحافظة منه على أرواح جنده وشعبه. قال إنه رجل صريح قولاً وعملاً بينما ينقص بعض الدول العربية الأخرى الصراحة وتقدير عواقب الأمور وأنها تخفي عن شعوبها الحقائق المرة. أضاف أن جلالة أخيه إمام اليمن كان من بين القليلين من الحكام العرب الذين آزروه في موقفه ودافعوا عنه، ثم حمل على مصر وسوريا والمفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني وأحمد حلمي باشا رئيس «ما يسمى» حكومة عموم فلسطين. كان كلامه عن الملك فاروق قاسياً إلى أبعد حد متهماً إياه بالفسق والمجون والحماقة، وإنما ضمن حدود الأدب وبصوت منخفض ودونما أي حركات بيديه أو رجليه كما فعل الفاروق لدى استقباله الوفد.

تناول الوفد طعام الغداء على مائدة جلالته بحضور سمو الأمير نايف نجله الأصغر ووزرائه ورجال بلاطه ثم عادوا إلى حيث ينزلون للاستراحة واستقبال الضيوف.

صباح ٢ يناير غادر الوفد اليمني عمان إلى قصر الشونة حيث تناول طعام الفطور مع جلالة الملك، ثم غادر موكب جلالته وضيوفه المؤلف من ست عشرة سيارة إلى أريحا مروراً بجسر اللنبي حيث استقبل بمنتهى الحفاوة، ثم تابع سيره إلى القدس الشريف حيث استقبله العسكريون والمدنيون الأردنيون وسط هتافات الجموع الغفيرة التي أعدت لجلالته ولضيوفه استقبالاً مهيباً. توجه جلالته وضيوفه بعد ذلك لزيارة مسجدي الأقصى والصخرة وضريح جلالة الملك حسين حيث قرأوا الفاتحة. تابع الموكب سيره بعد الاستراحة إلى رام الله حيث أقيمت حفلة مبايعة جلالته في إحدى دور السينما فاستمعوا إلى أربعة عشر خطيباً عبروا فيها عن الولاء والشكر والثناء لجلالة الملك ولجيشه الباسل، ثم تناول الحاضرون طعام الغداء في دار المجلس البلدي وانتقلوا بعدها إلى منزل السيد محمد الهبال وزاروا الكلية الهاشمية متفقدين صفوفها، ثم تناولوا طعام العشاء في منزل آل الحداد. كانت الأحاديث كلها تدور ضد مصر وسوريا وجامعة الدول العربية، وطبعاً كان ظاهراً للعيان أو كل ما قيل وحصل قد أعد له بدقة، ليكون الوفد اليمني الزائر للوساطة شاهداً على حفلات مبايعة جلالة الملك عبدالله، وطبعاً لم يكن لدى الوفد اليمني الزائر أي علم بذلك، ولم يكن القصد من زيارته هذه حضور المبايعة.

صباح ٣ يناير غادر الموكب الملكي رام الله في الساعة الثامنة صباحاً إلى مدينة نابلس ماراً في عين سينيا وسنجل واللبن وحواره، حيث أقيمت أقواس النصر واحتشد السكان للترحيب بجلالة الملك وضيوفه. وكانت الهتافات المدوية موجهة كسابقاتها إلى جلالة ملك سوريا الكبرى وقد اشتركت عناصر الجيش العراقي المعسكرة في المدينة في الاستقبالات العسكرية لدى وصول الموكب إلى دار بلدية نابلس. أقيمت حفلة أخرى للمبايعة افتتحها الوجيه السيد سليمان طوقان، ثم تلاه ستة خطباء وكلهم رجوا جلالته لقبول المبايعة، ولم يخل بعض هذه الخطب كالعادة من عبارات قاسية موجهة إلى بعض الدول العربية. في نهاية الحفلة تكلم جلالته شاكراً نابلس وخطباءها المفوهين ومكرراً حملته على مصر وسوريا.

تناول الوفد طعام الغذاء في دار البلدية وبعد استراحة وجيزة في منزل الوجيه السيد نشأت المصري انتقل إلى مدينة جنين، حيث تناول الشاي في دار بلديتها واستمع إلى خطب مبايعة قضاء جنين، وكانت أيضاً كسابقاتها نصاً وروحاً.

تناول الوفد طعام العشاء في منزل الوجيه سعيد كمال، حيث قاموا بتوديع جلالة الملك واستئذانه بالسفر في الغد.

في صباح ٤ يناير غادر الوفد مدينة نابلس إلى عمان سالكاً نفس الطريق الثي قدم عليها ماراً بأريحا، حيث تناول طعام الإفطار واستمع إلى خطب من الشيخ الجعبري وغيره، الذين أيدوا مبايعة جلالة الملك عبدالله. وما سبق وسمعناه من حملات في كافة حفلات المبايعة التي احرجت الوفد اليمني الزائر الذي فوجيء بها والتي كانت موضع الانتقادات المرة فيما بعد. لقد زج هذا الوفد في مأزق لا يعنيه وفي ظروف تتنافى مع هدف زيارته الوساطية.

وصل الوفد إلى عمان ظهراً حيث تناول الغداء على مائدة السيد إسماعيل البلبيسي، ثم غادرها إلى دمشق فرافقته بعثة الشرف الأردنية حتى الحدود، حيث جرى له الوداع الرسمي.

الوفد في سوريا

كان في استقبال الوفد على الحدود الأردنية ـ السورية محافظ حوران ثم محافظ دمشق، وقد نزلوا في فندق أوريان بالاس حيث استقبلهم مندوب فخامة رئيس الجمهورية. أقام لهم فخامة الرئيس شكري القوتلي مأدبة عشاء في قصر الرئاسة بعد أن اختلى بالأميرين وبحث معهما في صلب مهمتهما.

في ٥ يناير زار الوفد الجامع الأموي الكبير ودار الكتب ودار المجمع العلمي العربي ودار أسعد العظم وقبر صلاح الدين الأيوبي وشركة مياه الفيجة ومعامل الكونسروة والنسيج.

في ٦ يناير حضر الوفد بمعية فخامة الرئيس القوتلي الحفلة التكريمية للشاعر اللبناني المهجري الأستاذ إيليا أبو ماضي وحفلة العشاء التي أقيمت على شرفه. وفي نفس اليوم توجهت إلى بيروت للاشتراك في إعداد برنامج استقبال الوفد لدى زيارته للبنان، فقابلت معالي وزير الخارجية الأستاذ حميد فرنجية والدكتور فؤاد عمون الأمين العام، ثم عدت إلى دمشق فور الانتهاء من إعداد البرنامج المذكور.

الوفد في لبنان

غادر الوفد دمشق صباح ٧ يناير متوجهاً إلى لبنان وقد رافقهم حتى الحدود اللبنانية مدير المراسم في وزارة الخارجية السورية. استقبلهم هناك مدير المراسم في وزارة الخارجية اللبنانية واستقلوا بعد استعراضهم حرس الشرف اللبناني سيارات رئاسة الجمهورية. استراح الوفد قليلاً في شتورة حيث قابلهم محافظ البقاع، ثم تابع الموكب سيره إلى بيروت وكان محافظ العاصمة في استقبالهم فقصدوا القصر الجمهوري حيث سجلوا أسماءهم في سجل التشريفات وتناولوا المرطبات ثم توجهوا إلى فندق السان جورج حيث نزلوا.

قام الوفد بزيارة الجامعة الأميركية بعد الظهر، حيث كان رئيسها الدكتور دودج والأستاذ أنيس المقدسي في استقبالهم فزاروا المكتبة وبعض أقسام الجامعة.

في ٨ يناير استقبل الوفد صاحبي الدولة عبدالله اليافي وعبد الحميد كرامي والأستاذ محي الدين النصولي وعدداً من الصحفيين.

دعا فخامة الرئيس بشارة الخوري الوفد إلى مأدبة غداء في القصر الجمهوري، وقد تحدث الأميران إلى فخامته عن مهمة وفدهم في القاهرة وعمّان وعن زيارتهم لفلسطين.

في ٩ يناير توجه الوفد إلى الأرز لمشاهدة الثلوج وباتوا ليلتهم هناك.

في ١٠ منه استلمنا برقية من جلالة الإمام يطلب منا فيها السعي لعقد معاهدة صداقة وتجارة واتفاقية لتبادل المجرمين مع الحكومة اللبنانية. زرت سعادة الدكتور فؤاد عمون مدير عام الخارجية اللبنانية وأبلغته رغبة جلالة الإمام أحمد فرحب بالفكرة ووعد ببحثها مع معالي الأستاذ حميد بك فرنجية وزير الخارجية وفخامة رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري.

في ١١ منه قابل الوفد أفراد بعثات الطلبة اليمنيين الذين يدرسون في المعاهد اللبنانية ثم لبوا دعوة الوجيه عمر بك الداعوق إلى مأدبة غداء، ثم إلى حفلة شاي أقامها لهم صديق اليمن الكبير الوجيه جميل بيهم.

في ١٢ يناير قابلت سعادة الدكتور فؤاد عمون للبحث في عقد المعاهدة اللبنانية ـ اليمنية واتفاقية تبادل تسليم المجرمين، فوضعنا مسودة لذلك جرى تنقيحها

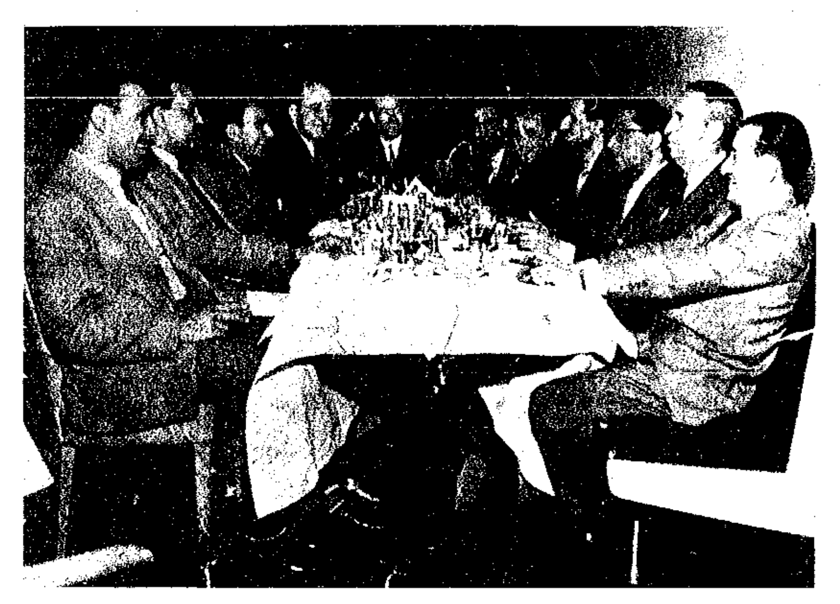
لتتمشى مع أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء، خصوصاً فيما يتعلق بإقامة اللبنانيين وحق التملك وتعاطي التجارة في اليمن، وقد تفضل دولة الرئيس عبدالله اليافي بمدّ الوفد اليمني بآرائه القانونية الصائبة مما سهل أمر الاتفاق مع الحكومة اللبنانية حول النقاط المختلف عليها.

في ١٥ منه رجوت سعادة الدكتور عمون إنهاء الزيارة الرسمية للوفد اليمني الذي ينوي البقاء في لبنان لإجراء بعض الفحوص الطبية وللعلاج، إذ كان أكثرنا يشكو من مرض ما ونقلت بواسطته إلى الحكومة اللبنانية شكر سمو الأمير محمد البدر رئيس الوفد على حسن ضيافتها وحفاوتها به وبأعضاء وفده.

خلال زيارة الوفد اليمني الرسمية للبنان بين ٧ يناير و٢٦ فبراير سنة ١٩٤٩ تبادل الأميران وأعضاء وفدهما الزيارات مع معالي أمير السيف والقلم الأمير عادل أرسلان الذي أقام لهم في آخر يوم من زيارتهم مأدبة غداء نظراً لما يربط عطوفة أخيه الأمير شكيب أرسلان واليمن من مودة ووفاء. لقد كان الإمام يحيى يعتبر الأمير شكيب من أبرز وأبر أصدقاء اليمن في الخارج، كما وأن الأمراء اليمنيين الذين ترأسوا وفد بلادهم إلى دورات الجامعة العربية والأمم المتحدة وإلى مؤتمر الطاولة المستديرة حول القضية الفلسطينية الذي عقد في لندن بين شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ ويناير سنة ١٩٤٧ قد تعرفوا على الأمير عادل نائب رئيس الوفد السوري، وأعجبوا بنبله ودماثة خلقه وسعة اطلاعه فعمدوا إلى الاستئناس برأيه ومشورته في مناسبات عدة. كما وأنهم تبادلوا الزيارات مع الزعيم اللبناني البارز كمال بك جنبلاط الذي لبوا دعوته إلى حفلة أقامها على شرفهم، وكانت أول زيارة قاموا بها هي رد الزيارة لهذا الزعيم الكبير.

لا أزال أذكر أنني لدى سماعي نبأ قران الزعيم كمال بك على الأميرة مي كريمة الأمير شكيب رفعت الخبر إلى الإمام في تقريري اليومي فاستدعاني، وبعد أن أبدى سروره لسماع هذا النبأ طلب مني إعطاءه بعض المعلومات عن كمال بك وعائلته الجنبلاطية العريقة ففعلت. أمرني جلالته إذ ذاك بإرسال تهنئة مستعجلة باسمه داعياً لكمال بك وعروسه بالسعادة والتوفيق، وقد أجاب كمال بك على تهنئة جلالة الإمام ببرقية شكر.

وفي عام ١٩٥٢ قام الزعيم الجليل كمال بك جنبلاط بزيارة الولايات المتحدة تلبية لدعوة رسمية تلقاها من حكومتها وقد كنت في استقباله في المطار ممثلاً للوفد اليمني لدى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد أن تخلف وفد بلاده (لبنان) عن القيام بواجبهم نحو تلك الشخصية القيادية الفذة. كما وأنني أقمت له مأدبة غداء في مطعم المندوبين داخل بناء الأمم المتحدة دعوت إليها رؤساء الوفود العربية وذلك اعترافاً بما سبق واظهره من حفاوة وتشجيع للوفد اليمني لدى زيارته لبنان بين ٧ يناير و ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٩.



حفلة غداء أقامها نجيب أبو عز الدين مستشار الوفد اليمني لدى الأمم المتحدة لمعالي الزعيم كمال بك جنبلاط في مقر الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٥٢. حضرها رؤساء أكثر الوفود العربية

في ١٥ يناير سنة ١٩٤٩تم عقد معاهدتين في وزارة الخارجية اللبنانية بين الحكومتين اللبنانية واليمنية، إحداهما للصداقة والتجارة والثقافة، والأخرى لتبادل تسليم المجرمين وقعها عن اليمن صاحبا السمو الأميران محمد البدر ويحيى بن يحيى، وعن لبنان دولة رياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية ومعالي حميد بك فرنجية وزير الخارجية على أن تبرم في أقرب وقت كي تصبح نافذة المفعول فور تبادل وثائق الإبرام. المعروف أن هاتين المعاهدتين لم تبرما بعد.

رد الوفد بعد ذلك زيارات السفراء والأعيان وأقام في ١٩ منه حفلة شاي في فندق سان جورج لكبار رجال الدولة والأعيان والصحفيين اللبنانيين.

غادر الوفد اليمني مطار بيروت في صباح ٢٧ فبراير وكان في وداعه دولة عبدالله بك اليافي ومعالي الحاج حسين العويني وسعادة الدكتور فؤاد عمون ومدير التشريفات في الخارجية اللبنانية.

نص معاهدة الصداقة والتجارة

إن حضرة صاحب الجلالة الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى حميد الدين، ملك اليمن وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية اللبنانية رغبة منهما في توثيق عرى الصداقة وتوطيد قواعد الأخوة بين اليمن ولبنان وتنمية العلاقات بينهما بعقد معاهدة صداقة وتجارة وثقافة تحدد حقوق رعايا كل من البلدين الشقيقين في بلد الآخر وتفتح مجالاً للتعاون بينهما، قد عينا لهذه الغاية مندوبيهما المفوضين:

- من لدن حضرة الجلالة ملك اليمن:

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سيف الإسلام محمد بن جلالة الإمام أحمد.
وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير سيف الإسلام يحيى بن الإمام يحيى.

- ومن لدن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية:

حضرة صاحب الدولة رياض بك الصلح رئيس مجلس الوزراء ووزير العدلية.
حضرة صاحب المعالي حميد فرنجية وزير الخارجية والمغتربين والتربية الوطنية
الذين بعد أن تبادلوا وثائق تفويضهم وتبينوا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقوا على الأحكام الآتية:

المادة الأولى: يتعهد اليمن ولبنان عهد أخوة وصداقة وسلام ويحترم كل منهما سلامة أراضي الآخر والأوضاع القائمة فيه، ويمنع بكل ما لديه من وسائل أي عمل في بلاده من شأنه أن يسيء إلى عهد الصداقة والأخوة والسلام، أو يبدد أو يقلق الأمن والسلم والسكينة في بلد الفريق الآخر.

المادة الثانية: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على تبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في أول فرصة مؤاتية يتفق عليها الفريقان، ويعامل الممثلون الدبلوماسيون والقناصل على أساس

المقابلة بالمثل وفقاً للأصول المتبعة في القانون الدولي العام، وتحدد باتفاق الفريقين فيما بعد الأماكن التي يمارس ممثلو السلك الدبلوماسي والقنصلي أعمالهم فيها مراعين في ذلك ما يمنح للدولة الأفضل رعاية.

المادة الثالثة: يتقيد كل من رعايا الفريقين الساميين في دخول إقليم الآخر والتنقل والإقامة في الأماكن التي يسمح له الإقامة والتنقل فيها والخروج منها بالقوانين والأنظمة المحلية والعادات المختصة بذلك، والتي تطبق على الدول الأفضل رعاية من دول الجامعة العربية أو غيرها. ويخضع هؤلاء الرعايا في بلد الفريق الآخر للشرائع والنظم والقوانين المحلية، ويعاملون طبقاً لما يعامل به رعايا الدول الأفضل رعاية.

المادة الرابعة: للمدعين في كل من الفريقين الساميين المتعاقدين حرية التقاضي أمام المحاكم المحلية على خلاف اختصاصها ودرجاتها. يتمتعون لديها بما يتمتع به الوطنيون من حقوق. ولا يجوز لأحد الفريقين الساميين المتعاقدين أن يقيد حق تقاضي رعايا الفريق الآخر أمام المحاكم بما لا يفرض على رعاياه وبما ليس بقوانينه.

المادة الخامسة: يخضع رعايا كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في إقليم الفريق الآخر للتشريع المحلي في القضايا الجزائية والمدنية والتجارية والإدارية والمالية والشرقية وغيرها، كما أنهم يخضعون لجهات الاختصاص المعينة للوطنيين، على أن يراعى في قضايا الزواج والطلاق والتفريق القضائي والأبوة والإلحاق بالنسب والإقرار به والرشد والولاية والوصاية والحجر والوصية والإرث لغير المسلمين من اللبنانيين في اليمن الأحكام الخاصة بهم التي تطبق عليهم في بلادهم.

المادة السادسة: يحق للطائرات المدنية التابعة لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن تهبط في مطارات الفريق الآخر لنقل البريد والركاب والبضائع بعد أن تحدد الخطوط الجوية وشروط تسييرها باتفاق لاحق بين الفريقين. وتراعى في ذلك بين الفريقين الساميين المتعاقدين الأحكام المتفق عليها مع الدولة الأكثر رعاية.

المادة السابعة: تسري على بواخر ومراكب كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في موانىء الفريق الآخر أحكام الدولة الأكثر رعاية.

المادة الثامنة: تنشأ بين الفريقين الساميين المتعاقدين علاقات تجارية واقتصادية ويعامل كل منهما في ذلك الفريق الآخر معاملة الدولة الأكثر رعاية، باستثناء الدول التي تكون مرتبطة مع أحد الفريقين باتفاق جمركي أو اتفاق جوار.

تعامل المنتوجات الوطنية لكل من البلدين في بلد الفريق الآخر معاملة خاصة وتتبادل الحكومتان بيانات بالمنتجات القابلة للتصدير.

المادة التاسعة: يجري التعاقد مع الأخصائيين والمستخدمين والعمال الذين يحتاج إليهم أحد الفريقين الساميين المتعاقدين باتفاق خاص مع المستخدم وموافقة الفريق الذي ينتمي إليه ذلك المستخدم، أو مع الفريق الآخر مباشرة بعد تعيين شروط الاستخدام.

وإذا أخل أحد المتعاقدين من أولئك الأخصائيين والمستخدمين والعمال بأحكام العقد الجاري عليه، فإن الحكومة التي هو من رعاياها تعمل على تأمين احترام العقد بجميع الوسائل القضائية والإدارية، إن كان المخل خارج البلد المستخدم فيه. أما إذا كان داخل بلد الدولة المستخدمة له فإنه يخضع للسلطات والقوانين المحلية وفقاً لأحكام المادة الخامسة.

المادة العاشرة: توطد العلاقات الثقافية بين الفريقين الساميين المتعاقدين ويتبادلان البعثات العلمية والثقافية والفنية لدى الطلب.

يمنح كل من الفريقين الساميين بعثات الفريق الآخر العلمية والثقافية وتلامذته تسهيلات خاصة وتمنح البعثات العلمية والثقافية وبعثات الطلاب امتيازات خاصة في الدراسة والبرامج.

المادة الحادية عشرة: تعقد بين الفريقين الساميين المتعاقدين اتفاقية خاصة بتسليم المجرمين.

المادة الثانية عشرة: كل خلاف ينشأ بين الفريقين الساميين المتعاقدين على تفسير هذه المعاهدة، ولا يمكن تسويته بالطرق الدبلوماسية يحال باتفاق كل من الفريقين الساميين المتعاقدين إلى التحكيم وفقاً للمادة الخامسة من ميثاق جامعة الدول العربية.

المادة الثالثة عشرة: يعمل بهذه المعاهدة مدة خمس سنوات تتجدد ضمناً سنة فسنة، إلا إذا أبلغ أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في إبطالها أو تعديلها قبل ثلاثة أشهر على الأقل من تاريخ انتهاء مدتها.

المادة الرابعة عشرة: تبرم هذه المعاهدة في أقرب وقت مستطاع وتصبح نافذة من تاريخ تبادل وثائق الإبرام.

حرر من هذه المعاهدة أصلان معتمدان وقع عليهما في بيروت في ١٥ يناير سنة ١٩٤٩.

وقبل مغادرة الوفد بيروت رفع أمير الشعراء بشارة الخوري الأبيات الشعرية التالية إلى سمو الأمير محمد البدر:

أمحمد يا ابن السيوف ولم أقل	منجهلاً نسب السيوف بمالي
حييتك من هذي الوجوه حدائق	أزهارهن مدائح وتهاني
أنتم ونحن كما تحب لنا العلى	وطن بإذن الله لا وطنان
حيي الإمام ابن الإمام وقل له	لبنان أو صنعاء في لبنان
أنا منه في صحبي وبين عشيرتي	الروح روحي والبيان بياني

بشارة الخوري

كلمة الوداع التي أذاعها سمو الأمير محمد البدر قبيل مغادرته لبنان

حضرات المستمعين الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قبل البدء بكلمتي هذه أغتنم هذه الفرصة فأبعث على موجات الأثير تحياتي إلى صاحب الجلالة ملك اليمن الإمام أحمد متمنياً لجلالته دوام الصحة وطول البقاء، كما وإنني أبعث بتحياتي إلى سادتي أصحاب السمو الملكي الأمراء سيوف الإسلام وإلى شعبنا اليمني الكريم عامة.

إننا إذ نغادر هذا القطر العربي الشقيق ـ لبنان العزيز ـ يتبادر إلى ذهني بيتان من الشعر نظمهما الشاعر المرحوم حافظ إبراهيم شاعر النيل الخالد وألقاها في بيروت لأنهما يعبران أصدق تعبير عن شعورنا. قال رحمه الله:

حسبت نفسي نزيلاً بينكم فإذا
أهلي وصحبي واحبابي وخلاني

حسبي وحسب الندى ما تلت من كرم
قد كدت أنسى به قومي وأخواني

نعم! كيف لا نشعر بألم إذ نغادر هذا الوطن المضياف وقد مضى على وجودنا في ربوعه النضرة ما يقارب السبعة أسابيع كنا أثناءها موضع حفاوة لبنان رئيساً وحكومة وشعباً في هذه العاصمة المجيدة وفي القرى اللبنانية النائية.

لقد توفقنا ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وثقافة وتجارة واتفاقية لتبادل

المجرمين بين البلدين الشقيقين. ولا شك أن الفضل الأكبر في نجاح مهمتنا يرجع إلى كل من حضرة صاحب الفخامة رئيس جمهوريتكم المحبوب وحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك أحمد الناصر لدين الله، اللذين كان لإرشاداتهما الحكيمة السامية الأثر الفعال في عقد هذه المعاهدة المباركة. وإن روح التعاون التي أبداها أقطاب حكومتهم وفي مقدمتهم صاحب المعالي وزير الخارجية اللبنانية وسعادة مديرها العام قد سهلتا مهمتنا. رجاؤنا أن يكون هذا الحدث التاريخي السعيد فاتحة خير بين البلدين الشقيقين في ظل صرح الجامعة العربية، وأملنا وطيد بأن نرى في بلادنا عما قريب عدداً من الأخصائيين والفنيين من إخواننا اللبنانيين الأماجد يساهمون بقسط وافر وجليل في تنفيذ المشاريع العمرانية التي وضعها جلالة مليكنا المعظم للسير بالبلاد قدماً، ولتأمين الرفاهية والسعادة لشعبه العزيز. كما وإننا نأمل أن تزداد الحركة التجارية وتبادل المنتوجات المحلية الزراعية والصناعية بين البلدين، إذ إنه قد آن الأوان للدول العربية أن تدرك قيمة دعم استقلالها السياسي باستقلال اقتصادي متين وأن تسعى إلى تقوية العلاقات الاقتصادية فيما بينها.

حضرات الاخوان:

سنعود إلى بلادنا حاملين أطيب الذكريات للبنان الجميل ومناظره الطبيعية الخلابة وجوه اللطيف المعتدل وثلوجه البيضاء الناصعة التي تتوج قممه وأعاليه. أما دماثة أخلاق اللبنانيين ونبل صفاتهم وحسن ضيافتهم بالإضافة إلى الذكاء والعبقرية اللذين عرف بهما منذ القديم، فأمور ستبقى حية في مخيلتنا.

فعلى أمواج الأثير أتقدم بالشكر أصالة عن نفسي ونيابة عن حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سيف الإسلام يحيى وأعضاء الوفد اليمني الملكي من حضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم الذي تكرم وأحاطنا بهالة من عطفه ورعايته طيلة مدة إقامتنا في لبنان ومن الحكومة اللبنانية الجليلة التي عملت كل ما في وسعها لتسهيل مهمتنا وتأمين راحتنا ومن الشعب اللبناني الكريم الذي كنا موضع حفاوته وإكرامه. شكراً لهيئة محطة الإذاعة اللبنانية التي يسرت لنا الفرصة للتعبير عن شعورنا نحو لبنان العزيز.

عاش لبنان في ظل فخامة رئيسه المحبوب
وعاش اليمن في ظل جلالة مولانا الملك أحمد المعظم

الوفد اليمني في القاهرة

وصل الوفد اليمني إلى القاهرة عند الظهر وكان في استقباله مندوب جلالة الملك السيد محمود السيوفي والحاج أمين الحسيني وعدد من الشخصيات العربية وبعد تسجيل أسمائهم في سجل التشريفات الملكية توجهوا إلى فندق شبرد.

في أول مارس سنة ١٩٤٩ حضر الأمراء والوفد حفلة افتتاح المعرض الزراعي بحضور جلالة الملك وقد تناول الأمراء الغداء بدعوة منه.

في ٢ مارس توجه الأمراء والوفد إلى السويس لمشاهدة الباخرة «صنعاء» التي كانت الحكومة اليمنية قد اشترتها.

في ٥ منه سافر الوفد إلى الأقصر بالقطار مساء ووصلها صباح اليوم التالي وكان في استقباله المحافظ والحكمدار وكبار الموظفين وبعد تفقد حرس الشرف توجهوا إلى فندق «ونتربالاس»، ثم زاروا معبدي الأقصر والكرنك برفقة الدكتور أحمد فخري أحد كبار موظفي مصلحة الآثار المصرية.

في ٧ مارس زار الوفد وادي الملوك ومعابد الدير البحري ثم القرية النموذجية وفي اليوم التالي تفقدوا معمل السكر في أرمنت وخيول وأبقار مزارع عبود باشا.

في ٩ مارس توجه الوفد إلى أسوان بالقطار فاستقبلهم وكيل مدير أسوان مع الحكمدار وعدد من الضباط وفي اليوم التالي زاروا مدرسة الصنائع، ثم تمثال الجندي المجهول حيث وضعوا إكليلاً من الزهر ثم خزان أسوان حيث شاهدوا جميع أجزائه ومشروع توليد الطاقة الكهربائية. تناول الوفد طعام الغداء بدعوة من أعيان مدينة أسوان حيث تبودلت خطب الترحيب والشكر. بعد الظهر تفقدوا متحف أسوان في الجزيرة.

في ١١ منه زاروا استراحة الآثار في الجزيرة لرؤية رسوم اليمن وبعد تأدية صلاة الجمعة في جامع أسوان توجهوا إلى المحطة حيث غادروا أسوان بعد الظهر وجرى لهم وداع رسمي حافل فوصلوا إلى محطة القاهرة صباحاً ومنها توجهوا إلى فندق شبرد.

في ١٩ منه زاروا مدينة حلوان.

بقي الوفد في القاهرة حتى ٢٠ أبريل زارهم خلالها الأمير عبد الكريم الخطابي وقد أقيمت لهم عدة حفلات وردوا الزيارات للسفارات والأعيان. كما وأنهم تفقدوا معالم القاهرة الأثرية ومتحفها أكثر من مرة.

في صباح ٢١ ابريل سنة ١٩٤٩ غادر الوفد مطار القاهرة وكان وداعهم رسمياً. وصل مطار الأقصر ظهراً وبعد استراحة قصيرة تابع سفره إلى جده التي وصلها في الساعة الرابعة بعد الظهر فاستقبلهم مندوب سمو الأمير فيصل الذي زاروه مساء وتناولوا طعام العشاء على مائدته.

في ٢٢ منه توجه الوفد إلى مكة المكرمة لتأدية العمرة ثم عاد إلى جدة ليلاً.

في صباح ٢٣ منه استقل الوفد الطائرة إلى الحديدة وكان في وداعهم الأميران منصور بن عبد العزيز وعبدالله الفيصل وعدد من السفراء العرب، ووصلوا إلى الحديدة حوالي الساعة ٣ بعد الظهر وكان أمير لواء الحديدة في استقبالهم.

غادر الوفد مطار الحديدة بعد ظهر ٢٦ أبريل ووصل إلى مطار تعز في الساعة الثالثة بعد الظهر، وكان في الاستقبال سمو الأمير المطهر وكبار رجال الدولة في تعز وتوجهوا فوراً إلى قصر صالة للسلام على جلالة الإمام.

في ٢٧ أبريل عقد اجتماع في الديوان الملكي حضره الأميران محمد البدر ويحيى والقاضيان حسين الحلالي ومحمد عبدالله العمري وأعضاء الوفد حول نتائج الزيارة إلى بعض الدول العربية.

في أول مايو رفعت تقريراً مفصلاً عن الزيارة وعن مهمة الوفد ونتائجها إلى جلالة الإمام، وفي ٦ منه استدعاني جلالة الإمام وأثنى على تقريري وعلى ما قمت به من جهود لتعريف الأميرين ورجال الوفد على بعض المشاكل التي يشكو منها عالمنا العربي وفي مقدمتها المشكلة الفلسطينية واستفسر مني عن بعض النقاط الواردة في التقرير. كما وأن جلالته كرر إلحاحه علي بوجوب تدريس سمو الأمير البدر اللغة الإنكليزية ومبادىء القانون الدولي، وأن سموه يفكر بإلحاقي في ديوانه

كمستشاره الخاص للشؤون الخارجية، لأنه يقدر عملي واجتهادي. كما وأنه كلفني للتعاون مع القاضي محمد عبدالله العمري وكيل وزارة الخارجية وقريبي السيد سامي أبو عز الدين لتنظيم أعمال وزارة الخارجية والإشراف على أعمال موظفيها الجدد.

استغرقت هذه الرحلة التاريخية ١٢٥ يوماً، ولولا إصرار جلالة الإمام أحمد على سرعة عودة الوفد لكانت استغرقت وقتاً أطول.

ضابط الشرطة العربي

عندما كنا في القاهرة زار سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر سمو الأميرين ورجال الوفد مراراً. وجاء في إحدى المرات وفي صحبته ضابط عربي في منتصف العمر كان قد أحيل على التقاعد من جيش بلاده ويريد إيجاد عمل جديد لأنه كان لا يزال نشيطاً ولائقاً للعمل. قدمه سماحته إلى الأمير البدر الذي طلب منهما مقابلتي وبحث الأمر معي، وبالفعل انتقلت وإياهما إلى أحد صالونات الفندق، حيث اطلعت على مؤهلات هذا الضابط وخدماته السابقة ووعدتهما بأن أرفع تقريراً عن ذلك إلى سمو الأمير الذي سيراجع ولا شك جلالة والده في الأمر.

كان مطمح هذا الضابط أن يصبح ياوراً لسمو الأمير أو لجلالة الإمام، فأفهمته أنه ليس حسب علمي لجلالة الإمام ولسمو الأمير ياوران من العسكريين وأنه إذا فرضنا أن جلالة الإمام ارتأى تعيين ياوراً له أو لسمو الأمير، فإنه من غير المعقول اختيار ضباط غير يمنيين لذلك المنصب، كي لا يمس شعور وسمعة ضباط بلاده. رفعت تقريري إلى سمو الأمير الذي أبرق إلى جلالة الإمام راجياً الموافقة على استخدام هذا الضابط إكراماً لسماحة الحاج أمين الحسيني. وافق الإمام على ذلك وحدد المرتب الذي سيتقاضاه الضابط المذكور، كما وافق على منحه رتبة مقدم بعد أن كان في رتبة رئيس في جيشه لدى إحالته على التقاعد. استدعيت الضابط واطلعته على رد جلالة الإمام الإيجابي وعلى شروط خدمته التي قبلها دون تردد.

نصحته أن يفكر ملياً في الأمر قبل إعطاء جوابه النهائي وأفهمته أن المعيشة والعمل في اليمن تختلفان عما هما في بلاده، وأنه نظراً إلى أنني قد أكون مسؤولاً عنه بعد التحاقه بخدمة الحكومة اليمنية، فإنني أريد تجنب أي مشاكل أو اعتراضات مستقبلية كالتي حدثت لمن سبقه من الموظفين العرب.

عاد الحاج أمين والضابط لمقابلة سمو الأمير بعد يومين لشكره ولإعلامه عن قبول الضابط الراتب والرتبة المعروضين عليه فطلب منه الأمير الاستعداد للسفر مع الوفد خلال أسبوع.

في اليوم المقرر للسفر إلى اليمن حضر الضابط بلباسه العسكري الأنيق ومدالياته العديدة والأحزمة المزخرفة والشرائط التي يرتديها ضباط الياوران وأخذ مكانه وراء سمو الأمير وظل ملازماً له إلى حين صعوده إلى الطائرة. طبعاً لم يعترض أحد على ذلك وأفهمته أن يتفاهم مع سمو الأمير حول العمل الذي قد يسند إليه، إذ إنني لست جندياً ولا دخل لي في عمله.

كنت الحيت على هذا الضابط درس شروط استخدامه والتأني في إعطاء جوابه، لأنني كنت على ثقة بأنه سيلقى الصعوبات نفسها التي كانت من نصيب الذين سبقوه، وهكذا فإنه لم يخيب ظني إذ بدأ بالاعتراض والامتعاض منذ ثالث يوم وصوله وفور مقابلته لجلالة الإمام ولدى إبلاغه بأنه سيعهد إليه بتدريب ضباط وأفراد سلك الشرطة الذي كان قيد التأسيس. لم يكن راضياً عن مسكنه أو مكتبه ولا عن مساعديه من الضباط الذين سرعان ما دب النزاع والخلاف فيما بينهم، وحيث إنه كان ينزل معي في دار الضيافة، فكان لقاؤه اليومي بي لبث شكواه وإظهار الندم على مجيئه إلى اليمن، فأفهمته بكل صراحة أنه هو الذي طلب الاستخدام في اليمن وأن قبول طلبه كان إكراماً لسماحة المفتي الحسيني وأن عليه أن يتحمل بعض الصعوبات التي لا تقاس بما تحمله غيره.

كان يطالب باستمرار زيادة مرتبه لأنه رب عائلة وترفيعه إلى رتبة أعلى فأفهمته أن جلالة الإمام قد سبق ورفعه حتى قبل وصوله إلى اليمن من رتبة رئيس إلى مقدم، وهو الآن يطلب ترفيعه إلى رتبة عقيد. ولم يمض على استلامه العمل سوى

أسابيع قليلة. ظل صاحبنا يكلف من تعرف عليهم من رجال الدولة بالتوسط له لدى جلالة الإمام الذي على غير عادته ومنعاً لاستمرار المراجعات زاد له معاشه زيادة طفيفة وإنما نهائية، وأفهمه أنه باستطاعته وضع أي عدد من السيوف المتقاطعة والتيجان والنجوم على كتفيه شرط عدم فتح أمر زيادة المرتب في المستقبل.

الامام أحمد والاعتراف بانقلاب حسني الزعيم في سوريا

في ٣٠ آذار سنة ١٩٤٩ قامت القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة بقيادة الزعيم حسني الزعيم بإنقلاب عسكري في سوريا وقبض على الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية وعلى خالد بك العظم رئيس مجلس الوزراء وأدخلهما مع بعض رفاقهما سجن المزة، وبناء على ضغط حسني الزعيم قدم الرئيس القوتلي استقالته من رئاسة الجمهورية بتاريخ ٦ نيسان سنة ١٩٤٩.

وفي ٢٣ نيسان سنة ١٩٤٩ اعترفت كل من الجمهورية اللبنانية والمملكة المصرية والمملكة العربية السعودية بحكومة الزعيم الانقلابية، وفي ٢٧ منه تم الإفراج عن الرئيس القوتلي وعودته إلى منزله.

وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٩ جرى استفتاء في سوريا حول الانقلاب انتخب بموجبه الزعيم حسني الزعيم رئيساً للجمهورية. كانت الحكومة السورية قد طلبت من الحكومة اليمنية الاعتراف بها وهذا ما أثار غضب وسخط الإمام أحمد الذي كان لا يزال يعاني من جو الانقلاب الفاشل الذي أودى بحياة جلالة والده الإمام يحيى، فرفض طلب الاعتراف هذا على أساس أن حسني الزعيم الذي قاد الانقلاب ضد رئيس جليل مجاهد مثل شكري القوتلي وصحبه الزعماء المخلصين بلزم محاكمته وإنزال أشد درجات العقوبات به، لا الاعتراف بما اقترفت يداه مما قد يشجع على قيام هكذا انقلابات في شتى أنحاء العالم العربي.

وفي طريق عودة الوفد اليمني برئاسة الأمير محمد البدر من القاهرة إلى بلاده مررنا بجدة حيث أمضينا يومين وفي حفلة العشاء التي أقامها سمو الأمير فيصل بن

عبد العزيز على شرف الوفد اختلى بي سعادة حيدر بك مردم بـك سفير الجمهـورية السورية في المملكـة العربيـة السعوديـة وبحث معي في أمر تلك الحكـومة اليمنيـة بالاعتراف بالانقلاب السوري الذي يعود أمر البت فيه إلى الشعب السوري وحـده. نقلت إلى سمو الأمير محمـد البدر مـا سمعته من السفيـر مردم بـك وقد تمكنـا فور عـودتنا إلى اليمن من إقنـاع جلالـة الإمـام من المـوافقـة على الاعتـراف ولـو على مضض.

لقد صح ما توقعـه السفير حيـدر مردم بـك إذ جرى انقـلاب عسكري جـديد بقيـادة الزعيم سـامي الحناوي الـذي أمر بمحـاكمـة حسني الـزعيم ورئيس وزرائـه محسن البرازي وإعدامهما رمياً بالرصاص.

التعيين الثاني

في ٢ سبتمر سنة ١٩٤٩ صدر أمر من جـلالة الإمـام أحمد بـأن أرافق الوفـد اليمني إلى دورة الجمعيـة العموميـة للأمم المتحـدة كمستشار للوفـد لأنني لم أكن يمني الجنسية. كما ارتأت وزارة الخارجية إرفاقي بالتوصية التالية:

المملكة المتوكلية اليمنية
وزارة الخارجية

الرقم ....
التاريخ ....

إلى كل من يخصه الأمر

إنني أرجو باسم الحكومة اليمنية كل من يخصه الأمر التكرم بمنح التسهيلات اللازمة للأستاذ نجيب أبو عز الدين مستشار الوفد الملكي اليمني في الدورة الرابعة للجمعية العمومية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي ستنعقد في لايك سكسس في ٢٠ سبتمبر الجاري:

حرر في تعز اليمن بتاريخ ١١ ذي القعدة ١٣٦٨ الموافق ٩ سبتمبر

وزير الخارجية اليمنية بالنيابة

وصلت إلى نيويورك مع رئيس الوفد القاضي محمد عبدالله العمري في ١٩ سبتمبر، وحضرنا مساء اليوم ذاته اجتماعاً للوفود العربية في مكتب كامل بك عبد الرحيم رئيس الوفد المصري. طلب مني رئيس الوفد أن أمثل اليمن في اللجنة الخامسة، أي في لجنة الوصاية على أن أساعد باقي الزملاء في اللجان الأخرى لدى إلقاء كلمات اليمن إذ كان أكثرهم لا يحسن أي لغة أجنبية ولحضور كافة الاجتماعات التي كانت تدعو إليها الوفود العربية.

بالإضافة إلى أعمالنا في اللجان المختلفة وفي الجمعية العامة كان علينا الاتصال برؤساء الوفود العربية لإطلاعها على ما تقوم به السلطات البريطانية في عدن من أعمال عدوانية ضد الرعايا والمناطق اليمنية ولطلب مساعدة تلك الوفود لإيقاف العدوان ولاستفزاز البريطانيين.

أما حضور الحفلات فكان يستغرق أيضاً بعض الوقت، إذ قلما خلا يوم من دون حضور حفلة غداء أو عشاء أو كوكتيل، وكان علي ملازمة رئيس وأعضاء الوفد اليمني.

عدت إلى لبنان فور انتهاء مهمتي في جلسات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ولجانها. وفي مكتب الوفد اليمني لدى الأمم المتحدة استلمت بعدئذ الكتاب التالي من جلالة الإمام أحمد يهنئني فيه على نجاح العملية الجراحية التي أجريت لي في نيويورك ويطلب مني العودة إلى اليمن لمرافقة الوفد اليمني برئاسة القاضي محمد عبدالله العمري إلى لندن والاشتراك في المفاوضات التي ستجري بخصوص الأجزاء اليمنية المحتلة نظراً لخبرتي الواسعة حول هذه القضية واعداً بأنه سيعيد النظر في أمر استخدامي مستقبلاً بالصورة اللائقة داخل اليمن أو خارجه، وكان قد وافق ضمنياً على وجوب ترقيتي إلى رتبة سفير.

لم أتمكن من مرافقة القاضي محمد العمري إلى لندن للمفاوضة حول المشاكل العديدة الناشبة بين اليمن وبريطانيا، وإنما لبيت رغبة الإمام والتحقت بالوفد اليمني لدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٥٠ وفي عام ١٩٥١ تعاونت مع السيد عبد الرحمن أبو طالب على إنشاء المفوضية اليمنية

المتوكلية في واشنطن رغم الصعوبات المادية التي كنا نشكو منها وعلى الأخص في عمليات تحويل المبالغ المطلوبة بالدولارات، إذ لم يكن آنذاك أي بنوك في اليمن. على كل كان علينا مراعاة إمكانيات حكومتنا المالية المحدودة والحرص على التقيد بأقصى درجات الاقتصاد والتوفير، بعكس ما كان ينعم به أكثر أعضاء الوفود العربية الأخرى.

وفي أواخر عام ١٩٥٢ تلقى السيد عبد الرحمن أبو طالب الذي كان قد عيّن وزيراً مفوضاً لليمن في واشنطن أمراً إمامياً بإعلام وزارة الخارجية الأميركية عن تعييني مستشاراً أول للمفوضية ولدى إطلاعي على ذلك الأمر رجوت السيد أبو طالب عدم إبلاغ الخارجية الأميركية ذلك لأنني أود الالتحاق بكسرتيرية مجلس الأمن في منصب مسؤول كمدير مساعد لقسم الشرق الأوسط وأفريقيا بمعاش يوفر لي عيشاً كريماً مع عائلتي، لعلمي أنه من الصعب على الحكومة اليمنية آنئذ تخصيص ما يكفي للقيام بأودي. وافق جلالة الإمام على ذلك وإنما على مضض. كان الإمام أحمد قد كتب إلى السيد عبد الرحمن أبو طالب يسأل عن موعد عودتي إلى اليمن وعن سبب تأخري في نيويورك وأنه إما أن أكون قد تعافيت خلال مدة غيابي أو أنني مريض لدرجة لا أمل لي معها بالشفاء. فالتحقت بسكرتيرية الأمم المتحدة على كوتا (حصة) اليمن ثم انتقلت إلى كوتا لبنان كي يتسنى لي قضاء إجازاتي في بلدي لبنان.

عملت بين العامين ١٩٥٤ و١٩٥٦ كمستشار سياسي وضابط ارتباط في بعثة الأمم المتحدة في العاصمة الصومالية مقديشو وكانت مهمة هذه البعثة الأشراف على انتقال السلطات من الإيطاليين إلى الصوماليين أصحاب البلاد الشرعيين وقد كان المرحوم السفير كمال الدين صلاح، العضو المصري في البعثة الدولية الثلاثية وقد استشهد في سبيل الدفاع عن حقوق الصوماليين وناهض الأهداف الاستعمارية التي كان يحاول العضوان الآخران في اللجنة يؤيدانها.

غادرت مقديشو في ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ إلى بيروت حيث أمضيت إجازتي السنوية ثم سافرت بحراً إلى نيويورك في ١١ أكتوبر ووصلتها في ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦، وإنما اضطررت لتقديم استقالتي والعودة إلى لبنان بتاريخ ٢٨ نوفمبر لأسباب صحية.

خلال الشهرين الأخيرين من خدمتي مع بعثة الأمم المتحدة وبين ١٥ و٢٨ أبريل سنة ١٩٥٦ طلب مني جلالة الإمام موافاته إلى الحديدة لمرافقته مع وفده لحضور الحلف الدفاعي الثلاثي الذي عقد في جدة بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك سعود بن عبد العزيز وجلالة ملك اليمن والذي توخى منه الإمام أحمد مساندة السعودية ومصر لمطالبته باستعادة الأجزاء اليمنية الجنوبية المحتلة، وقد ألح علي جلالته للاشتراك في الوفد نظراً لخبرتي الطويلة ومعرفتي لدقائق الأمور في تلك المنطقة المحتلة. استجبت لطلب جلالته واستحصلت على إجازة مرضية لمدة اسبوعين قضيتها مع الإمام في اليمن وجدّة، وقد رجوته عدم ذكر اسمي علناً لأنني موظف في سكرتيرية الأمم المتحدة ومحذر علي التدخل في الأمور السياسية الخارجة عن نطاق اختصاص الأمم المتحدة.

ختم وامضاء الامام أحمد

رقم ٨٩

الأستاذ الهمام نجيب أبو عز الدين المحترم حرسه الله تعالى، لقد وصلنا كتابكم المؤرخ ٢١ آذار سنة ١٩٥٠ حال قيامكم على الباخرة من أمريكا إلى لبنان لما طرأ عليكم من الأسباب التي من جملتها مرض والدكم شفاه الله، وهو عذر واضح، ولقد ساءنا استمرار أثركم بعد العملية نسأل الله لكم الشفاء والعافية وقد وصلتنا تقاريركم عن أعمال جامعة الأمم ونشركم على ذلك. أما إشارتكم إلى عدم طلب استخدامكم من جهة أخرى فلم يبلغنا ذلك إلى الآن ولا نحب مفارقتكم لوطنكم الثاني واستخدامكم فيه، لما لكم من المؤهلات ولما عرف عنكم من اخلاص، وعسى أن لا يصل هذا إليكم إلا وقد خرج والدكم شفاه الله من المستشفى في أحسن حال من العافية، وأن تكونوا أنتم قد استكملتم صحتكم حتى تتمكنوا من مرافقة القاضي محمد العمري إلى لندن لاكمال المفاوضة، التي ستكون هناك مباشرة، لما لكم من إختبار بالمجريات السابقة، ولا بد من إعادة النظر في استخدامكم بالصورة اللائقة في المستقبل، لما يقوم بأودكم وعائلتكم، سواء كان في اليمن أو خارجه إن شاء الله تعالى والسلام عليكم.

رقم
٨٩

الى الاستاذ الحبيب ابو عز الدين المحترم حسن محمد شبان

لقد وصلنا كتابكم المؤرخ ٢١ اذار ١٩٥ حال فيا لكم على الشخص من

امر بيت الصبيان لما طرا عليكم من الاسباب التي من جملتها مرض

والدكم شفاه الله وهو عذر واضح ولقد سانا استمرار

اثركم بعد العملية سال الله لكم الشفا والعافية وقد وصلني

تقاريركم عن اعمال صاحب الامر ونشكركم على ذلك اما نا حتم

العدم طلب اشتراككم في وجهه اخرى فلم يبلغنا ذلك الى الان

ولا نحب ونتمنى من شغلكم الثاني واشتراككم فيه على ما هو الموهوب

ولما عرفنا منكم من الاخلاص نرجو ان لا يصل هذا اليوم الا

وقد خرج والدكم شفاه الله المستشفى في احسن حال من العافية

وان تكونوا انتم قد استلمتم محلكم حتى تتمكنوا من مراقبة

الفصل الثاني عشر

الانقلاب الجمهوري وإلغاء النظام الملكي في اليمن عام ١٩٦٢

في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ولم يكد يمضي أسبوع على ارتقاء سيف الإسلام محمد البدر سدة الإمامة، قامت الثورة التي أودت بحكمه وبحكم أسلافه من الأئمة الزيود الذي استمر نحو عشرة قرون.

أسباب وكيفية حصول الانقلاب:

ألقى الإمام الجديد محمد بن أحمد حميد الدين خطاباً فور إعلان إمامته، آكد فيه حرصه على الحفاظ على خطة أسلافه الميامين في الحكم. صعق الكثيرون ممن كانوا ينتظرون الفرج والخلاص على أيدي الإمام الشاب لدى سماعهم خطابه الافتتاحي هذا، لعلمهم أنه كان دائماً يشكو من تحجر عقلية أسلافه ويسعى للاستعانة بالرئيس جمال عبد الناصر وبالملك سعود بن عبد العزيز وغيرهما للتأثير على والده كي يسمح له بالبدء بتنفيذ بعض المشاريع الإصلاحية والعمرانية التي خططها لبلاده، فكيف ينقلب بين ليلة وضحاها ولدى اعتلائه سدة الحكم، وحين أصبح قادراً على تنفيذ وتحقيق ما كان ينويه من إصلاحات فيؤكد تمسكه، بخطط حكم أسلافه؟ هذا ما يدعو إلى الحيرة حقاً! فهل فعل ذلك يا ترى كما يظن للمزايدة على عمه سيف الإسلام الحسن الذي كان يطمح بمؤازرة من تبقى من أشقائه خلافة أخيه الإمام أحمد؟ كما تضمن خطابه النقاط التالية:

«١ ـ التعهد بالولاء للشعب ولنصرة المظلومين وإقامة العدل بين أفراد شعبه.

٢ ـ التصميم على الوقوف إلى جانب الضعيف إلى أن يصبح مساوياً للقوي فيما يختص بالحقوق.

٣ ـ الوعد بإصدار القوانين التي تضمن للمواطنين نفس الحقوق التي يتمتع بها مواطنو العالم المتحضر.

٤ ـ رفع مستوى المواطنين ومعاملتهم بالمساواة في الحقوق والواجبات.

٥ ـ التأكد من سير شعبه في ركب الإنسانية باتجاه الرخاء والسلام والأمن.

٦ ـ السعي لتحقيق أمنية العرب الكبرى في قيام أمة عربية موحدة.

٧ ـ الاستعداد للتعاون في الحقل الخارجي مع الدول الصديقة والتزام خطة عدم الانحياز».

نظراً للأهمية التاريخية لهذا الانقلاب الخطير فقد لجأت إلى الاستعانة، بما جاء في كتاب الدكتور محمد سعيد العطار «التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ـ أبعاد الثورة اليمنية» وهذا ملخصه:

«في اجتماع سري عقد في صنعاء في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢ حددت الجماعة الثورية نهاية شهر سبتمبر موعداً للهجوم على القصر الملكي في تعز، الذي سيكون بمثابة الشرارة الأولى لإندلاع الثورة في كافة أنحاء البلاد، وعلى الأخص في صنعاء حيث يقومون بإخضاعها والاستعجال بالإستيلاء على محطة الإذاعة فيها.

«وفاة الإمام جاءت لتقلب هذه المخططات. خلفه ابنه البدر الذي اعتلى عرش الإمامة في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وقد اعتبر بعض أعضاء اللجنة الثورية السرية أن حكم البدر التقدمي سيكون مرحلة تقدمية هامة ومتطورة تجاه الملكية الدستورية التي ستؤدي إلى تحويل جذري لأوضاع البلاد ولذا طلبوا تأخير تنفيذ المخطط الإنقلابي.

«استمرت جماعة من الثوريين الشباب في صنعاء باستعداداتها السرية لقلب نظام الحكم. ففي الوقت الذي وعد فيه البدر بإحداث تعديلات دستورية وبإدخال الوسائل العصرية على مرافق البلاد، أعلن بشكل رسمي: أنني سأتبع الطريق

المستقيم التي خطها والدي الإمام أحمد، «وإذ ذاك قام الضباط الشباب المنتمون إلى المجلس الثوري لمدينة صنعاء بالضغط على مجموع أفراد اللجنة لقلب حكم البدر.

«تقرر البدء بتصفية شخص البدر وكلف ضابطان بتنفيذ هذه القضية. لم تسر الأمور حسبما كان متوقعاً، فاتخذ مجلس الثورة قراراً بدك وقصف قصر «البشائر» مقر الإمام البدر، وقام ثوار تعز باحتلال مدينتهم رغم إرادة الحامية العسكرية الهامة الموجودة فيها، ودام القتال بين الطرفين طيلة الليل فانتصر الثوريون.

«كان ٤٠ ضابطاً من أصل ٤٠٠ ضابط يماني منتمين إلى اللجنة الثورية غير متأكدين من استجابة فرق الجيش الخاضعة لامرتهم، ولذلك قرروا محاصرة هذه الفرق في ثكناتها بقصد الحيلولة دونها ودون احتمال قيامها، بنجدة الإمام المحاصر وقاموا لوحدهم بضرب القصر الملكي ودار الإذاعة.

«استجابت أكثرية الشعب اليمني للثورة وساندت الجيش الثوري وأعلنت أغلبية الحامية وأكثرية الموظفين انضمامها إلى صفوف الثورة، كما ناصرها المهاجرون اليمنيون. وقد تسجل في نقابة العمال في عدن الآلاف كمتطوعين لمساندة الثورة اليمنية.

«فوجىء أنصار البدر بنبأ وفاته في اليوم التالي عندما جرى إعدام اثني عشر رجلاً من مساعدي الإمام المقربين - تمكن البدر من الفرار بمساعدة أنصاره ولجأ إلى السعودية.

العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤدية لقيام الثورة

هذه العوامل هي حسبما ورد في كتاب الدكتور العطار: (التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن - أبعاد الثورة اليمنية): شغل الدكتور محمد سعيد العطار بجدارة أعلى المناصب في منظمة الأمم المتحدة، أي كسكرتير عام مساعد - رئيس المجلس الاقتصادي لجنوب غربي آسيا وكان ذلك مبعث فخر للعرب.

«١ ـ استغلال الفلاحين من النبلاء مالكي الأرض والمحتكرين ورجال العهد الإمامي.

٢ ـ التخلف المخجل عن ركب الحضارة ـ نظام اجتماعي واقتصادي بال ورث مقرون بالإستبداد في الحكم.

٣ ـ تأثير اليمنيين المغتربين الذين عاشوا وعملوا في بلاد متحضرة.

٤ ـ تأثير الصحافة والإذاعات وتنوير الرأي العام.

٥ ـ ضرب الإمام لقبيلتي حاشد وبكيل ـ أيدتا الثورة في البداية ولم تنجدا الإمام.

٦ ـ مساندة الإمام أحمد للجبلي شريكه في التجارة ـ أثار حفيظة باقي التجار وانضموا إلى المعارضة.

٧ ـ قصيدة الإمام في هجاء الإشتراكية وعبد الناصر والتي انهت وحدة الولايات العربية المتحدة والتي فسحت في المجال لمعارضي النظام الإمامي من إذاعة صوت العرب والصحافة العربية أحمد نعمان والزبيري والبيضاني ومحسن العيني ومحمد أحمد نعمان وجهوا أحاديثهم إلى أهالي اليمن من راديو القاهرة.

«كما وأن أعضاء مجلس الثورة لقوا مساعدة من أغلب السكان والموظفين الذين كانوا يطلعونهم على ما يصلهم من معلومات.

إذاً فالثورة اليمنية كانت من تصميم اليمنيين ومن تنفيذهم وحدهم، وإن كانت الجمهورية العربية المتحدة قد هبت لمساعدتهم.

١ ـ إلغاء الإمامة كنظام سياسي واقتصادي واجتماعي وإقامة جمهورية عربية يمنية.

٢ ـ الإعلان عن إلغاء الفوارق القبلية والمذهبية.

٣ ـ إلغاء الرق والاستعباد اللذين تم القضاء عليهما.

٤ ـ إلغاء نظام الرهائن الذي كان القاعدة الأساسية لضغط الإمام على القبائل.

٥ ـ الوقوف بوجه التعسف الإداري ومحاكمة جميع الموظفين المرتشين.

٦ ـ مصادرة جميع ممتلكات الإمام وذويه وكبار الموظفين الذين جرت محاكمتهم.

٧ ـ الإعلان عن المباديء الديمقراطية ـ حقوق الإنسان والقانون المدني والجزائي.

٨ ـ إدخال تعديلات هامة على نظام الضرائب ـ التعسف والاستغلال.

٩ ـ وضع سياسة للتعليم والتربية الشعبية والتقدم الثقافي.

«وفي حقل الثقافة الخارجية:

١ ـ طلب مساعدة الجمهورية العربية المتحدة.

٢ ـ استعداد الجمهورية العربية اليمنية للدخول في وحدة مع أقطار عربية أخرى في إطار دولة عربية موحدة على أسس شعبية وديمقراطية.

٣ ـ انتهاج سياسة الحياد الإيجابي ـ وحسن العلاقات مع جميع الدول التي لا تهدد استقلال اليمن.».

التدابير المالية والاقتصادية

«١ ـ انتهاج سياسة اقتصادية للتعايش بين عدة قطاعات اقتصادية ـ العام والخاص.

٢ ـ وضع سياسة لدخول رأس المال اليمني الموظف بالخارج وللتعاون مع التجار اليمنيين والمغتربين قصد انماء الاقتصاد الوطني.

٣ ـ إلغاء الإحتكارات ومصادرة أملاك المحتكرين

٤ ـ إشراف وزارة الزراعة على استثمار الأراضي المصادرة.

٥ ـ إصدار عملة يمنية عوضاً عن الريال.

٦ ـ تهيئة دراسات عن الميزانية والضرائب ومصلحة الصرف.»

«قامت الجمهورية الفتية بطلب المساعدة العسكرية والفنية من الجمهورية العربية المتحدة، فلبى الرئيس عبد الناصر النداء بسرعة لمساندة النظام

الجمهوري ونزلت القوات المصرية في الحديدة في أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٦٢ لمساعدة الجيش الجمهوري وحاربت إلى جانبه.

رغم أن تصرفات بعض المصريين من عسكريين ومدنيين في اليمن لم تكن حكيمة، فلن ينسى الشعب اليمني المساعدات القيمة التي أمدتها بها الجمهورية العربية المتحدة والتضحيات البشرية التي تكبدتها، إضافة إلى المساعدات الفنية كإيفاد أطباء ومهندسين وأساتذة وإداريين واقتصاديين كانت مصر في أشد الحاجة لخدماتهم داخل البلاد.

برقية الزعيم السلال الى الرئيس جمال عبد الناصر

«لقد كلفنا ممثلو الشعب الحقيقيون تنفيذ رغبتهم في تغيير أوضاع الحكم الرجعي البالي والإطاحة بالطغيان الذي طالما تمناه شعبنا العربي الأبي النبيل - ولقد اشتركنا مع الشعب ومع كل جندي وضابط على تحقيق الأمنية التي انتظرنا طويلاً فرصة الحصول عليها، فكانت ثورتنا على العهد البائد ناجحة منذ ساعتها الأولى. وقد تم يوم ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢ هجرية الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ تأسيس جمهورية ديمقراطية تحت اسم «الجمهورية العربية اليمنية» تعتمد على نظم الحكم العصرية وتحافظ على كرامة الإنسان وحقوقه، وتؤمن له العدالة الاجتماعية والتطور، وتشارك في بناء صرح الأمة العربية الموحدة، وتقف في وجه المغتصبين والمستعمرين.

والله يوفق الجميع لخدمة شعبنا والأمة العربية واقبلوا عواطفنا الأخوية».

رد الرئيس جمال عبد الناصر على برقية السلال

«إن شعب الجمهورية العربية المتحدة تابع بكل اهتمام وعناية تطورات الأحداث الكبرى في اليمن ومحاولة الشعب والجيش إقامة حياة جديدة تحقق على أرض اليمن عزة الإنسان وكرامته.

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤمن بأن هذا العصر هو عصر الشعوب وحدها تصنع بأيديها أقدارها وتحقق بإرادتها الحرة كل أمانيها.

إن الله جلت قدرته خلق البشر أحراراً متساوين في الفرصة، متكافئين في العدل ولا يرضيه جل وعلا أن تقف دون قدرته حواجز الإستغلال وطغيان الرجعيين. وليس يخالجنا شك في أن شعب اليمن المتحرر قادر على الإسهام في معارك العرب الكبرى من أجل حياة عربية كريمة ومن أجل أمن عربي عزيز.

وإذا كانت القوى المعادية للتقدم من العناصر الرجعية والاستعمارية لا يرضيها تحرر شعب اليمن، فإننا نؤمن بأن الله يرضيه أن تعم الحرية لأنها كلمته القدسية.

ويسرني أن أبلغكم أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قررت الإعتراف بالجمهورية العربية اليمنية وحكومتها.

وإننا نقف مع شعب اليمن دون تردد، ونسند إرادته ونناصر حقه المشروع في الحياة.

وتقبلوا تحياتنا الصادقة».

بيان الثورة للشعب

أعلنت قيادة الثورة في بيانها رقم ٥ ما يلي:

«تعلن القيادة العليا سقوط الملكية وقيام الجمهورية في اليمن باسم «الجمهورية العربية اليمنية» وذلك ابتداء من الساعة الخامسة بتوقيت اليمن من يوم ٢٦ أيلول سنة ١٩٦٢.

ثم أذاعت بياناً مطولاً على الشعب عددت فيه ما تحمله شعب اليمن من المظالم والطغيان مئات السنين على أيدي الأئمة الطغاة، الذين سلبوا الشعب حريته وحقوقه وكرامته وأملاكه وماله وملأوا السجون بالأبرياء دون محاكمتهم، وجروا الكثيرين إلى ساحات الإعدام عقاباً لهم على المطالبة بحرياتهم. أهانوا الجندي وامتصوا دماء الفلاحين والتجار وشردوا قسماً كبيراً من الشعب اليمني في كافة أنحاء المعمورة.

إن الثورة قد قامت لتقضي على الطغيان ولتحقق العدالة والمساواة لكافة طبقات الشعب ولتدفع اليمن على طريق الحياة الكريمة، طريق التقدم والحضارة، طريق الوحدة العربية الشاملة، طريق الإنسانية. إنها ثورة شعب بأسره وليست ثورة أفراد معدودين - لا زيدية ولا شافعية ولا قحطانية ولا هاشمية ولا رأسمالية، بل شعب واحد يؤمن بأنه جزء من الأمة العربية وباسم الله وباسم الشعب قامت الثورة من الله تستمد العون والتوفيق».

أعلنت قيادة الثورة بعد ذلك تشكيل مجلس رئاسة الجمهورية برئاسة السيد أحمد علي

ومجلس الوزراء برئاسة الزعيم عبد الله السلال

ومجلس الثورة برئاسة الزعيم عبد الله السلال أيضاً

ومحكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف عبد الله

سياسة حكومة الثورة وأهدافها

«باسم الله وباسم شعب اليمن الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية تعلن قيادة الثورة أهدافها التالية في شتى المجالات:

١ ـ القضاء على الحكم الفردي المطلق والنفوذ الأجنبي.

٢ ـ إنهاء الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري ديمقراطي إسلامي أساسه العدالة الإجتماعية لدولة موحدة.

٣ ـ إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد عبث الفاسدين بها.

٤ ـ تنظيم جماهير الشعب وتوحيده في عملية البناء الثوري لمراقبة أجهزة الدولة ومنعها من الإنحراف.

٥ ـ رعاية تنظيم الجيش على أساس حديث لحماية الشعب والثورة.

٦ ـ إحداث ثورة ثقافية تعليمية تقضي على مخلفات العهود البائدة.

٧ ـ تحقيق العدالة الإجتماعية وإقامة نظام اجتماعي يتلاءم مع واقع الشعب وروح الشريعة الإسلامية الخ . . .

٨ ـ تشجيع الرأسمال الوطني كي لا يتحول إلى إحتكار واستغلال.

٩ ـ تشجيع عودة المهاجرين إلى أرض الوطن مع أموالهم وخبرتهم.

١٠ ـ الإيمان بالقومية العربية والعمل لتحقيق الوحدة العربية الشاملة.

١١ ـ التضامن الكامل مع جميع الدول العربية.

١٢ ـ العمل على تدعيم جامعة الدول العربية وزيادة فعاليتها.

١٣ ـ إقامة علاقات اقتصادية مع كافة الدول.

١٤ ـ التزام سياسة عدم الانحياز.

١٥ ـ مقاومة الاستعمار والتدخل الخارجي.

١٦ ـ التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة.
١٧ ـ إقامة علاقات ودية مع جميع الدول التي تحترم استقلالنا وحريتنا.
١٨ ـ قبول الإعانات والقروض الخارجية غير المشروطة وغير الماسة باستقلال البلاد».

مؤتمر قمة الإسكندرية

جرت مباحثات مباشرة في الاسكندرية بين السعوديين والمصريين حول النزاع اليمني وحسبما يقال، دون أخذ رأي اليمنيين أصحاب القضية الأصليين ـ توصل الطرفان لحسن الحظ إلى تفاهم كما اتفقا على عقد مؤتمر «أركويه» حيث صدر قرار وقف إطلاق النار وعقد مؤتمر وطني في حرض.

حكومة يمنية جديدة

في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٥ تشكلت في القاهرة حكومة يمنية جديدة برئاسة الفريق حسن العمري فقوبلت بالاستنكار الشعبي، مما حملها على إعلان الأحكام العرفية ووضع الزعماء الثلاثة النعمان والأرياني والزبيري قيد الاعتقال المنزلي.

ووصل المشير عبد الحكيم عامر والسيد أنور السادات إلى صنعاء واستدعيا النعمان والأرياني من تعز فأصرا على الاستقالة بسبب إعفاء الأستاذ محمد أحمد النعمان من منصبه كمندوب اليمن لدى جامعة الدول العربية وملاحقته.

مصرع الزبيري

في أواخر شهر آذار سنة ١٩٦٥ وبينما كان القادة الزبيري والأرياني والنعمان يسيرون وسط موكب المحتفين بقدومهم من قبيلة ذي الحسين في جبل برق، تعرض لهم مسلحون وأطلقوا النار فأردوا الزبيري قتيلاً وقد جرى لهذا الزعيم الرائد مأتم حافل في صنعاء لم تَرَ اليمن مثيلاً له.

ميثاق الطائف للسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل اليمن العزيزة، وفي سبيل اسعاد شعبها الأبي، وإذعاناً للشريعة الإسلامية الغراء، وتجنباً لإستمرار المأساة التي أنزلت باليمن المحن والكوارث، وإيماناً بمبدأ حق الشعب اليمني في تقرير مصيره واختيار النظام الذي يرتضيه بدون أي مؤشر خارجي، فقد قرر الموقعون أدناه الذين يمثلون مختلف فئات الشعب وقبائل اليمن وعاهدوا الله على الإلتزام بالمبادىء التالية:

أولاً : نصرة دين الله وإعلاء كلمته، والتقيد بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء.

ثانياً : وضع مصلحة اليمن ووحدة أراضيه فوق كل اعتبار.

ثالثاً : التعاون بنية صادقة وتصميم مخلص على وقف المأساة التي تعيشها اليمن وإيجاد الحلول لتوحيد جهود الشعب اليمني للحفاظ على أمن البلاد وسلامتها.

رابعاً : لقد أعطى المجتمعون عهداً أمام الله بأن لا يحمل أحد منهم، لا هو ولا من يمثله، سلاحاً، بقصد الإعتلاء والتآمر على أخيه اليمني.

خامساً : نسيان الماضي البعيد والقريب بآلامه وأحزانه وشروره وآثامه ونبذ الأحقاد التي خلفتها السنون، لينعم اليمن العزيز على قلوبنا جميعاً بشعب موحد متضامن، تسوده روح المودة والآخاء، قادر على بناء مستقبله والسير ببلده، بمساعدة شقيقاته العربيات إلى ذرى المجد والتقدم والرقي.

سادساً : إفساح المجال أمام الشعب اليمني ليعلن إرادته الحرة في تقرير مصيره واختيار نظام الحكم الذي يرتضيه، بعيداً عن كل مؤثر خارجي، وبعد إنسحاب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وإيقاف المساعدات السعودية.

وتحقيقاً لهذه المبادىء، فإن المجتمعين يعتقدون جازمين ـ بعد أن تدارسوا جميع الظروف والملابسات التي أحاطت بالنزاع القائم في اليمن ـ بأنه لا مخرج واقعياً من هذه المأساة إلا بالمرور في فترة إنتقال، تبنى على الأسس التالية، وهم يرجون جميع الوسطاء الذين يسعون مخلصين لإحلال السلام في ربوع اليمن مساعدتهم على تحقيقها وهي:

١ ـ إقامة دولة اليمن تحت اسم «الدولة اليمنية الإسلامية» وتقوم على أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، ويشرف على تسيير أعمال هذه الدولة بصورة مؤقتة:

أ ـ مجلس دولة يقوم باختصاصات رئيس الدولة ويتألف من سبعة إلى ثمانية أعضاء، وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية.

ب ـ مجلس وزاري يقوم باختصاصات السلطة التنفيذية، ويتألف من ثمانية عشر إلى أربعة وعشرين وزيراً، وتمثل في العناصر الواعية من مختلف الفئات اليمنية.

ج ـ مجلس شورى يوجه ويشرف على أعمال مجلس الوزراء ويساعده في أداء مهمته، ويتألف من ثمانين عضواً وتمثل فيه جميع الفئات اليمنية.

٢ ـ مهمة هذه الأجهزة الحكومية المؤقتة هي:

أ ـ توطيد الأمن الداخلي، والإشراف على سحب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وإيقاف المساعدات السعودية.

ب ـ التهيئة لإجراء استفتاء عام في اليمن ينبثق عنه تقرير النظام الأساسي للحكم.

والمجتمعون يدعون جميع أخوانهم في اليمن على اختلاف نزاعاتهم ومبادئهم، إلى الإنضمام إليهم للحروج باليمن العزيزة من هذه المأساة، على أساس المبادىء الواردة في هذا الميثاق، وإعلانهم تمسكهم بها، وموافقتهم على هذا الميثاق لحل هذه المشكلة.

وإلى أن يتم تجاوب الفئات اليمنية غير الممثلة في هذا الإجتماع على ذلك فإن المجتمعين سينسقون العمل فيما بينهم، ومع من سينضم إليهم باذلين جهودهم، متضامنين للتوصل إلى تحقيق ما جاء في هذا الميثاق.

وهم يتطلعون في فترة الإنتقال وما بعدها ـ بعد إتمام الإتفاق فيما بين جميع الفئات اليمنية المختلفة، إلى المساعدة المادية التي تقدمها الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وجميع دول الجامعة العربية، وذلك ليتمكن الشعب اليمني من بناء بلده وتطويره.

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يوحد كلمة العرب والمسلمين لما في صلاح دينهم ودنياهم والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الطائف: ١٠ آب ١٩٦٥ ـ ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥هـ

التواقيع: ٥٤١ توقيعاً لممثلي مشائخ وعلماء وشخصيات يمنية ملكية وجمهورية ومن كتلة الوسط

اتفاقية جدة

٢٢ ـ ٢٤ آب سنة ١٩٦٥

فيما يلي نص اتفاقية جدة المعقودة بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة وجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

«إن الهدف الذي رمى إليه الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل في مباحثاتهما في جدة أيام ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٥ هجرية، الموافق ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ آب سنة ١٩٦٥ ميلادية هو التمكين للإرادة الحرة للشعب اليمني، كي تكون قادرة على خدمة الآمال الكبيرة التي تحدو هذا الشعب المجيد وتوفير جو السلام الذي يعطي هذه الآمال موضوعياً المناخ الملائم للنمو والإزدهار ـ هذا فضلاً عن إزالة كل سبب للخلاف الطارىء بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وتوثيق الروابط التاريخية بين شعبيهما، وتأكيد الحرص على الرغبة الأكيدة في صون هذه الروابط من مضاعفات أي سبب للخلاف.

أما ما يختص بعلاقات الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بالموقف الحالي في اليمن، فإن الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر، بعد الإتصال بجميع ممثلي الشعب اليمني وقواه الوطنية والتعرف على رغباتها، يريان أن طريق الحق والأمان لمواجهة المسؤولية تجاه الشعب اليمني، وضماناً للهدف المقصود من الإجتماع، يتحقق على النحو التالي:

١ ـ يقرر ويؤكد الشعب اليمني رأيه في نوع الحكم الذي يرتضيه لنفسه، وذلك في استفتاء شعبي يجري في موعد أقصاه ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٦٦.

٢ ـ تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الإستفتاء فترة انتقالية بقصد الإعداد والترتيب للإستفتاء المذكور.

٣ ـ تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة لتشكيل مؤتمر انتقالي من ٥٠ عضواً يمثل جميع القوى الوطنية وأهل الحل والعقد للشعب اليمني، بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسبما يتم الإتفاق عليه. يجتمع المؤتمر المذكور في مدينة حرض يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٥ وعليه القيام بالمهام التالية:

أ ـ تقرير طريقة الحكم في فترة الانتقال وحتى إجراء الإستفتاء الشعبي.

ب ـ تشكيل وزارة مؤقتة تباشر سلطات الحكم خلال فترة الانتقال.

ج ـ تقرير شكل ونظام الإستفتاء الذي سيتم في موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٦.

٤ ـ تتبنى الحكومتان قرارات المؤتمر الانتقالي اليمني المذكور وتدعمانها وتتعاون في إنجاح تنفيذها وتعلنان منذ الآن قبولها لوجود لجنة محايدة منهما معاً للمتابعة والإشراف على الإستفتاء، وذلك فيما إذا قرر المؤتمر ضرورة وجود مثل هذه اللجنة المحايدة.

٥ ـ تقوم المملكة العربية السعودية فوراً بإيقاف كافة عمليات المساعدات العسكرية بجميع أنواعها أو استخدام الأراضي السعودية للعمل ضد اليمن.

٦ ـ تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن في ظرف عشرة شهور ابتداء من يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٥.

٧ ـ توقف الإشتباكات المسلحة في اليمن فوراً وتشكل لجنة سلام مشتركة من الجانبين تقوم بما يلي:

أ ـ مراقبة وقف إطلاق النار بواسطة لجان المراقبة الخاصة.

ب ـ مراقبة الحدود والموانيء وإيقاف المساعدات العسكرية بجميع أنواعها. أما المساعدات الغذائية فتتم تحت إشرافها. وللجان المراقبة المذكورة أن تستخدم وسائل النقل اللازمة، ولها الحرية في استخدام الأراضي اليمنية والسعودية إذا دعت الضرورة لذلك لإيصالها إلى نقاط المراقبة التي سوف يتفق عليها.

٨ ـ تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة تعملان إيجابياً لتأمين تنفيذ هذه الإتفاقية وفرض الإستقرار في الأراضي اليمنية حتى موعد إعلان نتيجة الإستفتاء وذلك بتخصيص قوة من الدولتين تستخدمها اللجنة عند اللزوم للقضاء على أي خروج على هذا الإتفاق، أو أي عمل لتعطيله أو إثارة القلاقل في سبيل نجاحه.

٩ ـ بغية دفع التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية إلى التقدم وإجتياز المرحلة الحالية إلى الوضع الطبيعي، كما كانت وكما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين البلدين، يتم إتصال مباشر بين فخامة الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك فيصل لتلافي حدوث خلافات تقف في طريق تنفيذ هذا الاتفاق.»

مؤتمر حرض

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٥

بناء على اتفاقيـة جدّة المعقـودة بين سيادة الـرئيس جمال عبـد النـاصـر رئيس الجمهورية العربية المتحـدة وجلالـة الملك فيصل بن عبـد العزيـز آل سعود، ملك العـربية السعـودية بتـاريخ ٢٤ أغسـطس سنة ١٩٦٥ ، التي نصت على حق الشعب اليمني في اختيار نوع الحكم الـذي يرتضيـه لنفسه بـواسطة استفتـاء شعبي ، وعلى وجوب تعاون الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العـربية السعـودية على تشكيـل مؤتمـر انتقالي يمثـل جميع القـوى الوطنيـة على الساحـة اليمنية وبعـد التشاور مـع الفئات اليمنية المختلفة.

وبنـاء على مضمون ميثـاق الـطائف للسـلام المعقـود في ١٠ أغسـطس سنـة ١٩٦٥ الموافق ١٣ ربيع الثـاني سنة ١٣٨٥ هـجـرية والـذي وقعه ٥٤١ شخصـاً من ممثلي الفعاليات اليمنية المختلفة من جمهـوريين وملكيين، ومن كتلة الوسط الـذي دعا إلى إقامة «الدولة اليمنية الإسلامية» ريثما يتم الاتفاق النهـائي على اسم وشكل هذه الدولة ومجلسي وزراء وشورى، إضافة إلى مجلس دولة للإشـراف على شؤون البلاد خلال الفترة الانتقالية المتفق عليها.

تقـرر تشكيل مؤتمـر انتقالي من ٥٠ عضـواً يمثل جميـع القـوى والفعـاليـات الـوطنية وأهـل الحل والعقـد للشعب اليمني ، وعقده في مـدينة حـرض بتاريـخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٥ للقيام بالمهام المحددة له في المواد ١ ـ ٩ من اتفاقية جدة.

افتتح مؤتمر حـرض في الموعـد المحدد لـه، أي في ٢٣ نوفمبـر سنة ١٩٦٥ في جلسة علنية وبعد تلاوة آيـات من الذكـر الحكيم ألقى الأمير عبـد الله السديـري رئيس لجنـة السلام كلمتـه، ثم تكلم القاضي عبـد الرحمن الأريـاني رئيس الـوفـد الجمهوري، وشكر سيادة الرئيس جمال عبد النـاصر وجـلالة الملك فيصـل بن عبد

العزيز آل سعود لاهتمامهما المشكور لعقد هذا المؤتمر، الذي يرجو له وفده التوفيق في تحقيق الأمن والاستقرار للشعب اليمني مع الحفاظ على أحسن العلاقات مع المملكة العربية السعودية. كذلك تكلم السيد أحمد الشامي رئيس الوفد الملكي شاكراً المساعي الحميدة التي جاء عقد هذا المؤتمر تتويجاً لمساعيها الكريمة، ورجا للمؤتمر التوفيق والوصول إلى حل سليم.

حضر حفلة الافتتاح هذه بالإضافة إلى أعضاء المؤتمر اليمنيين الخمسين مراقبو المؤتمر سفيرا الجمهورية العربية المتحدة في الرياض وصنعاء، وسفير المملكة العربية السعودية في فرنسا الدكتور رشاد فرعون، وأعضاء رئاسة لجنة السلام الشيخ عبد الله السديري، واللواء محمود عبد الهادي عن المملكة العربية السعودية، والفريق محمد فريد سلامة، واللواء عبد العزيز سليمان عن الجمهورية العربية المتحدة مع سكرتيرية المؤتمر.

عقد المؤتمر أربع جلسات وحل الخلاف حول تفسير اتفاقية جدة، ونسب كل فريق العراقيل التي وضعت إلى الطرف الآخر، وعلى الأخص فيما يتعلق في موضوع طريقة الحكم في فترة الانتقال المنصوص عنها في اتفاقية جدّة، وقد فسرها كل فريق طبقاً لمزاجه.

قام الجانب السعودي في هيئة الرقابة بتقديم بعض الإيضاحات مشدداً على عدم تمكن أحد من الجانبين المتنازعين من تسجيل نصر عسكري على الآخر، وهذا ما أوجب التفكير بحل سياسي يرضاه الطرفان، وقد سبق وأوصى به السكرتير العام للأمم المتحدة في نوفمبر سنة ١٩٦٣، والذي عرف آنئذ باتفاقية «فك الارتباط» عندما أرسل البوليس الدولي للمرابطة على الحدود وطبقاً لاتفاقية الاسكندرية بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل في سبتمبر سنة ١٩٦٤، التي انبثق عنها مؤتمر «أركويت» في السودان.

لم تؤدِ كافة المباحثات بين الوفدين الجمهوري والملكي إلى أي نتيجة إيجابية، ولما كان شهر رمضان المبارك قد أصبح على الأبواب، ورغبة في تجنب فشل المؤتمر، اتفق على تأجيل جلسات المؤتمر لمدة عشرة أسابيع تقريباً.

مؤتمر حرض الثاني

مثل الجمهوريين اليمنيين في هذا المؤتمر الأستاذان عبد الرحمن الأرياني وأحمد محمد نعمان، والملكيين السيدان أحمد الشامي ومحمد عبد القدوس، تأجل هذا المؤتمر بسبب الخلاف الذي سرعان ما نشب بين مندوبي الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية إذ حضر السعوديون على أساس لا جمهورية ولا ملكية، أي تجميد النظامين حتى لقاء المينيين وتأليف حكومة مؤقتة تعد للاستفتاء. وقد عاكس المصريون ذلك وبقي المندوبون شهراً في الخيام في حرض واختلفوا حتى على جدول الأعمال.

وفي ٢٨ مارس سنة ١٩٧٠ حصل اتفاق بين السيد محسن العيني والمملكة العربية السعودية على وجوب إيقاف القتال نهائياً ومنع وصول الإمدادات إلى الملكيين.

وفي يوليو سنة ١٩٧٠ أقيمت علاقات دبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية.

الفصل الثالث عشر

الإمامة(*)

شروط تولي الإمامة
موجز تاريخي عنها وعن آخر ثلاثة أئمة
كيفية حكمهم داخليا وخارجيا

شروط تولي الإمامة

أن يكون ذكراً حرًّاً مجتهداً علوياً فاطمياً عادلاً سخياً وَرِعاً سليم العقل والحواس والأطراف ذا رأي وتدبير وفارساً مقداماً أي:

١ ـ أن يكون من أهل البيت.

(*) أرى أنه من واجبي الاعتذار إلى القارىء الكريم عن عدم إدراجي أسماء الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن وعددهم وتاريخ حكمهم، رغم أنني أمضيت ساعات عديدة في درس المعلومات المتعلقة بذلك حسبما وردت في كتاب السيد شرف الدين وعنوانه ـ اليمن ـ العربية السعودية وهو باللغة الإنكليزية، ومن أحد ملفات جريدة النهار اللبنانية التي أعدها الصحفي المعروف فؤاد مطر وغيرهما. يرى بعضهم أن عدد الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن هو ٨٣، بينما يؤكد آخرون أن عددهم بلغ ٥٣ إماماً، بينما يعتقد البعض أن العدد لم يتجاوز الـ ٦٥ إماماً.

كان يحكم اليمن أحياناً إمامان أو ثلاثة أو خمسة أو حتى سبعة أئمة في وقت واحد، نظراً للخلافات بين المرشحين الذين جرت مبايعتهم لذلك المنصب في الوقت نفسه، ولو أردنا ضم كل هؤلاء إلى القائمة لزاد عددهم عن المائة.

٢ـ أن يكون عالماً.
٣ـ أن لا يكون في منشئه ما يدعو إلى التشكيك في أصله الحلال.
٤ـ أن يكون طاهر البدن والروح.
٥ـ أن تكون له موهبة ممارسة السلطة.
٦ـ أن يكون أريحياً كريماً وتقياً.
٧ـ أن يكون خالياً من العاهات البدنية.

وذلك باعتبار أن الإمام هو المصدر الأعلى لتفسير أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء، ويتمتع في الوقت نفسه بسلطة زمنية مطلقة.

عمائم الامامة وسيوف الاسلام

العذبة: عمة سيوف الإسلام، لها عذبة تمتد حتى منتصف الظهر ـ طرف من العمامة يمتد إلى الوراء، إشارة إلى أنهم أولاد الإمام.

الامامة: عمامة الإمام لها عذبتان ـ عذبة تمتد من الأعلى إلى جواز خده الأيسر وعذبة طويلة من الوراء.

سيف الاسلام

سيف الإسلام: اتخذ الأئمة الأسبقون لقب «سيف الخلفاء» ثم أطلقوا على أبنائهم الذين يخوضون الحروب وينتصرون فيها لقب «سيف الإسلام» الذي أصبح يطلق الآن على كل طفل ذكر يولد للإمام.

نبذة تاريخية موجزة عن أئمة اليمن

كان الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٢٨٤ هـ (٨٩٨ م) أول أئمة اليمن، ورغم أنه من الصعب تحديد عدد الأئمة فالمعروف أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين ثم ابنه المطهر والمنصور القاسم بن محمد علي، والمتوكل إسماعيل بن القاسم، الذي جرى في عهده توحيد اليمن الطبيعية من ١٦٨١ ـ ١٦٨٦ م والإمام يحيى الراسي كانوا من أشهرهم.

تنتسب سلالة الأئمة إلى الإمام يحيى الراسي الذي رحل من العراق حوالي عام ٨٧٠ هـ ونزل في مدينة صعدة في جنوبي اليمن، حيث اتخذ لنفسه لقب الهادي، وأعلن نفسه إماماً عام ٨٨٥ هـ كانت سلطة الأئمة الزيود الأولين لا تتعدى الشؤون الدينية المحضة، وإنما امتدت مع الوقت لتشما الأمور الزمنية برمتها.

بدأ الخلاف الديني في اليمن منذ أولى الشيعه اليمنيون ولاءهم الاسمي للخلفاء الفاطميين في مصر، في حين كان السنة في المناطق المنخفضة ـ تدين بالولاء للخلفاء العباسيين في بغداد، وهكذا نشبت الخلافات إذ أن ازدياد مناصرة اليمنيين للشيعة وتلكؤ الخلفاء العباسيين في حكم اليمن شجع التدخل المصري هناك، ولدى استيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي على الحكم الفاطمي في مصر في القرن الثاني عشر ميلادي قامت السلالة الأيوبية باحتلال اليمن. لدى سقوط الحكم الأيوبي، قام أحد حكام اليمن بتأسيس الدولة الرسولية التي تبعها في القرن الرابع عشر احتلال مصري جديد، ألا وهو حكم المماليك. احتل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ م، واستولوا على ممتلكات المماليك في اليمن ووثقوا احتلالهم لها.

في ١٥٩٠ قام إمام قوي اعتبره اليمانيون بطلاً عظيماً ألا وهو قاسم العظيم ـ مؤسس سلالة الأئمة المحللية ـ قاد مقاومة عنيفة ضد العثمانيين وكان ينتقل في أرجاء اليمن داعياً السكان لتكثيف مقاومتهم للحكم العثماني، ورغم جهود

العثمانيين للقبض والقضاء عليه فقد تمكن من الإفلات من أيديهم مراراً عديدة

في عام ١٥٩٧ وبعد أن انتشرت أنباء بطولاته في شتى أنحاء اليمن أعلن نفسه إماماً وبعث برسائل إلى زعماء البلاد للقيام بثورة عنيفة ضد المحتل العثماني، وفي آخر عام ١٥٩٨ كانت ثورته قد اتسعت بعد أن انضمت إليه إحدى عشرة ولاية مع حكامها. لم يكتب لثورته النجاح نظراً للإمدادات الحربية الواسعة التي وصلت إلى القوات العثمانية في اليمن التي تمكنت من إعادة السيطرة على اليمن في عام ١٦٠٥.

الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين

ولد في صنعاء سنة ١٣٥٥ ـ درس على أكبر علماء عصره ـ فارس شجاع ـ أخرج المكارمة من الحيمة ـ سجن في الحديدة أيام الوالي مصطفى عاصم ـ أجمع العلماء على مبايعته وهو في صنعاء لدى موت الإمام شرف الدين لأنهم لم يجدوا من يصلح للإمامة غيره ـ اعتذر لهم في بادىء الأمر، فاضطر للنزول على إرادتهم، ولما كان الأتراك غير راضين عنه كان ينتقل من بلد إلى آخر حتى وصل إلى صعدة حيث جرت مبايعته وكانت قبائل اليمن قد قاست الأمرّين من ضغط وظلم الأتراك. التف العلماء حوله وناصروه فأمدهم بالسلاح والمؤن لمقاومة الأتراك. بايعته قبائل أرحب وأرسلت له الرهائن.

سنة ١٣٢٢ اشتد المرض على الإمام المنصور وتوفي في التغلة ـ فاستدعى ابنه سيف الإسلام يحيى العلماء فحضروا ونعى إليهم والده وطلب منهم اختيار خلف له فاتفقت كلمة جميعهم على اختياره وبايعوه بالإمامة وتلقب بالمتوكل على الله.

المتوكل على الله رب العالمين

الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

ولد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين وهو الولد الوحيد لوالده قبيل وصول الحملة العثمانية الثانية سنة ١٨٧١ م إلى اليمن فأمر والده بنقله مع الحريم إلى «قافية اضهر» حيث أمضى طفولته وقد اهتم والده بأمر تثقيفه على أيدي كبار فقهاء الشريعة الإسلامية والآداب العربية وتدرب على استعمال السلاح فأظهر شجاعة فائقة ورجاحة عقل مشهودة.

ففي عام ١٨٩٠ ميلادي انتخب والده السيد محمد حميد الدين إماماً في صعداء وهكذا أصبح يحيى وهو ابنه الأكبر أميراً وسيفاً للإسلام. أظهر الشاب يحيى بن محمد خلال ولايته للعهد مقدرة فائقة جعلت اتباعه الزيود يسارعون لمبايعته إماماً عليهم فور وفاة والده الإمام محمد عام ١٩٠٤ م.

من أوائل أعمال الإمام يحيى قيامه بمهاجمة العثمانيين وملاحقتهم حتى أسوار صنعاء التي دخلها دخول الفاتحين وإنما وصول نجدات عثمانية قوية اضطرته للانسحاب إلى «قافية أضهر» حيث استمر في مناوشة القوات العثمانية الغازية. لدى فشل العثمانيين في القضاء عليه أو إبداله بإمام آخر اضطروا إلى عقد اتفاقية معه عام ١٩١٢ م وذلك بفضل توسط ضابطين عربيين من ضباط أركان المشير العثماني، عزت باشا وهما البكباشي عزيز علي المصري واليوزباشي طه الهاشمي اللذين تمكنا من التوفيق بين الحكومة العثمانية والإمام يحيى وعقد اتفاقية «دعان».

فيما يلي الشروط التي تضمنتها هذه الاتفاقية بين الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين وبين عزت باشا لاصلاح أمور بلاد صنعاء وعمران وحجة وكوكبان وحور وآنس ويريم ورداع وحراز وتعز التي يقطنها الزيود الذين هم تحت إدارة الدولة.

١ ـ ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية (ولاية صنعاء) ذلك وهذه تطلب من الأستانة التصديق على ذلك الانتخاب.
٢ ـ تؤلف محكمة استئناف للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام ويكون مركزها في صنعاء وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق الحكومة على تعيينهم.
٣ ـ تكون مسائل الأوقاف والوصاية منوطة بالإمام.
٤ ـ يصدر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف الضرائبية التي سلفت.
٥ ـ لا تجبى التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي أرحب وخولان لفقرهم وخراب بلادهم بشرط أن يحافظوا على صداقتهم للدولة.
٦ ـ تجبى التكاليف الأميرية بحسب موجبات الشرع الشريف.
٧ ـ يحق للزيديين تقديم الهدايا للإمام أما مباشرة وأما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام.
٨ ـ يسلم الإمام عشر حاصراته للحكومة.
٩ ـ لا تجبى الأموال الأميرية من جبل الشرق لمدة عشر سنوات لفقره.
١٠ ـ يخلي الإمام سبيل ما عنده من الرهائن من أهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران.
١١ ـ يمكن لموظفي الحكومة واتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلوا بالسكينة والأمن.

وهكذا هدأت الحالة واستقرت الأمور بعد ما يقارب الثلاثة قرون من الثورات والفتن.

خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حافظ الإمام على عهوده للعثمانيين رغم الفظائع التي ارتكبوها في بلاده طيلة سنين عديدة وأبى محالفة البريطانيين ضدهم حتى ولو كانوا أعداء لبلاده قائلاً: «حاربت الأتراك لضمان استقلال بلادي والآن آثر أن تقطع رقبتي ورقاب أولادي على أن أحالف الكفار».

كان الإمام يحيى رجلاً ذكياً ولطيفاً وإنما من المحافظين المتحجرين. أنجب جلالته نحو أربعين ولداً. لقد كان نجله الثاني الأمير محمد أحب أولاده إليه

وأقربهم إلى قلبه، وقد توفي غرقاً في ميناء الحديدة وهو يحاول انقاذ أحد خدمه سنة ١٩٣٣. لم يكن الإمام يعرف عن العالم الخارجي سوى النزر القليل، ويقال إنه مات ولم ير البحر ولم يغادر اليمن إلى الخارج، بل أقصى ما توغل إليه خلال السنوات العشرين الأخيرة من حياته كان إلى الروضة والوادي لتمضية فصل الصيف.

«إن الإمام هو حاكم اليمن المطلق، وإذا كان لويس الرابع عشر الملك الفرنسي قد تبجح بقوله «أنا الدولة»، فبإمكان الإمام أن يقول: «الدولة جزء مني فقط»، وقد ذكر الأستاذ أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» بعض صفاته وعلمه وفضله وأخلاقه وسيرته قائلاً: «الإمام يحيى رب الحرب والاجتهاد، رب السيف والقلم ـ هو الزعيم الأول والمعلم الأكبر في اليمن وهو القاضي العادل الشفيق يجلس في الغلاة لنصف المظلوم ـ إنك لا تجد في ملوك العرب اليوم من هو أعلم من الإمام يحيى، ولا من هو أكبر اجتهاداً واغزر مادة وأوسع نظراً ـ والإمام يحيى على ما هو دائماً عليه من أشغال الملك وهموم الإمام يستطيع حتى في رمضان أن ينظم قصيدة».

هذا ما كتبه فيلسوف الفريكة الأستاذ أمين الريحاني عن جلالة الإمام يحيى. أما غيره من الكتاب فقد اتهموا الإمام بما يلي:

ـ اتباع سياسة العزلة والانكماش، فعزل اليمن كلياً عن حضارة القرن العشرين.

ـ اهتمامه بجمع المال وسط المجاعات والأوبئة المنتشرة في بلاده وبين رعاياه.

ـ إلغاء حكم الشورى والاستئثار بالحكم على أساس كونه يسأل ولا يُسأل.

ـ اعتقال العديدين من الزعماء التقدميين.

ـ شجع حكمه الظالم رعاياه على الهجرة الواسعة إلى شتى أنحاء المعمورة.

ـ رجعية حكمه جعلت اليمن أكثر بلدان العالم تأخراً.

ـ اتخاذه لقب الملك والجلالة وإعلان أكبر أنجاله ولياً للعهد أغضب أكثر السادة.

القصور الملكية

قصرا «السعادة» و «الشكر»

العبارات المحفورة على باب المدخل الرئيسي لدار السعادة «قصر الإمام»

نصره الله
يحيى بن محمد حميد الدين
١٣٢٢
المتوكل على الله رب العالمين

الله خير حافظ وهو أرحم الراحمين
الله تعالى ـ لا إله إلا الله ـ ١٣٤١

الأشعار المحفورة على مدخل دار السعادة الداخلي

إن قصراً قد تسامى ... بالتقى دار السلامة
أجزل الله نعيماً ... لذويه وفخامة
نظم البناء فيه ... ما حوى كل الوسامة
هاك بيتاً بعد هذا ... فيه أرخت ختامه
أدخلوه بسلام
فلكم فيه الكرامة

(كتبه الفقير محمد شفيق التركي ١٣٤١)

وعلى مداخل أخرى ثانوية نقش ما يلي:

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ... ما كان يبقى في البرية جاهل
إجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً ... فندامة العقبى لمن يتكاسل

قصرا «السعادة» و «الشكر» الاماميان

لقد كان قصر السعادة هذا مستشفى شيده العثمانيون لمعالجة جنودهم ورعاياهم. إنني شخصياً لم أرَ منه سوى الديوان الملكي «المقام الشريف» في الطبقة الأولى من القصر المذكور والمستودعات الفسيحة تحته. يصفه الكاتب الإيطالي سلفاتور أبونتي بأنه:

«قصر واسع الرحاب فسيح الجنبات حسن التنسيق مزخرف بالزخارف والتخاريم البيضاء الناصعة أقام الإمام إلى جانبه قصراً آخر أعظم منه وأفخم له شرفات واسعة ومشربيات أنيقة تحيط بنوافذه وقد سماه دار الشكر. توجد فيه مساكن الإمام الخاصة ومسجد جميل شاهق البنيان له سبع قباب بيضاء كبيرة، ومحلى بأعمدة رشيقة عليها نقوش وزخارف بديعة جمعت كلها من أطلال مدينة سبأ، كما شيد أيضاً برجاً كبيراً خصص لضيافة الأمراء والزوار الذين يمرون بالعاصمة، وعدة ثكنات للحرس الخاص وبعض المكاتب وأمامه حديقة واسعة والمفرج الملكي الصيفي الحسن التنسيق. وقد كان القصر الملكي هو المبنى اليمني الوحيد المضاء بالكهرباء.

المقام الشريف

تقع قاعة الاستقبال في الديوان الملكي أو المقام الشريف في الطابق الأول من قصر السعادة، كما يقع الدرج المؤدي إلى القاعة إلى جانب الباحة التي يجلس فيها جلالة الإمام صباح أكثر الأيام لسماع شكاوى رعاياه. نوافذ هذه القاعة مزخرفة بالزجاج الملون وبألواح الرخام الرقيق ـ الجند موزعون حول الدرج ومن أسفله إلى أعلاه، وهنا تؤدى التحية العسكرية لكبار الزائرين.

أرض القاعة مكسوة بأفخر السجاد والوسائد مفروشة على طول جدران القاعة. يجلس الزائرون العرب من يمنيين أو غيرهم مربعي الساقين، وكثيراً ما يصعب النهوض إذا استمر الجلوس طويلاً. أما الزائرون الأجانب فيجلسون على

كراسي مرتفعة في مقابل جلالة الإمام الجالس على منصته التي لا يوازي ارتفاعها ارتفاع مقاعد زائريه، وهذا ما حدا البعض وأنا منهم للتفكير في تصميم كرسي للعرش يكون أكثر ارتفاعاً من مقاعد الزائرين. يجلس الإمام على وسائد حريرية وثيرة وفخمة بلباسه الفضفاض الذي كان يصنع بعضه في مصانع نسيج مدينة حلب وعليه نقوش وكتابات مذهبة مثل «ما شاء الله» وما شابه. وهكذا يجلس الأمراء إلى يمين الإمام والوزراء بدءاً برئيسهم وكبار كتاب المقام إلى يساره. فالعادة المتبعة في الديوان بألا يتكلم أحد إلا إذا وجهت إليه الحضرة الشريفة سؤالاً. يقول الأستاذ أمين الريحاني: وهكذا يتوقد الذهب من لباسه الخارجي وأكمامه الفضفاضة وعمته الخضراء وحزامه الزبرجدي وتسطع الأحجار الكريمة من قبضة خنجره. ويقف على قرب منه كبير رجال عكفته ممسكاً ببندقيته بإحدى يديه، ورافعاً سيف الإمام المذهب بالأخرى.

وفي الطبقات السفلى وبجوارها مستودع الأدوية على أشكالها وهي باستلام مدير لا يعرف عنها شيئاً، والتي غالباً ما يدب فيها الفساد لنفاد المدة المحددة لاستعمالها فيعمد المسؤولون عندئذ إلى توزيعها.

وهنالك أيضاً المطبعة الوحيدة التي يتم طبع جريدة الإيمان الشهرية فيها. وفي إحدى جوانب هذه الطبقة الأرضية نجد زرائب الحيوانات التي يملكها الإمام والتي يذبح منها يومياً عدداً معيناً لاستعمال قصور الإمام وأبنائه ودار الضيافة الرسمية، بالإضافة إلى المواشي التي يقدمها المشتكون لجلالته خلال مقابلاته في باحة القصر لقاء منحهم حق أسبقية النظر في شكاويهم.

كما تحوي هذه الطبقة أيضاً اسطبل الخيول الملكية الخاصة وكاراج السيارات الإمامية. المعروف أن قصور الإمام في صنعاء والروضة والوادي قد أصبحت إما فنادق أو منتزهات عامة.

اجتماع الإمام بالمتقاضين

كما ذكر الأستاذ الريحاني كان الإمـام يحيى يحرص على الجلوس في بـاحة السعادة في أكثر الأيام لمدة ساعتين تقريباً ليستمع إلى شكـاوى رعايـاه بغية تعميم العدالة والتأكد من وصول كل مشتـكٍ إلى حقه. كمـا وإنه كـان يحرص على عـدم حيلولة حرسه الخاص دون مقابلة الشاكين له، لعلمه أن بعض ضباط الحرس دأبوا على الارتشاء للسماح للناس بالوصول.

يجلس الإمام تحت مظلته الخاصة التي وصفها الأستاذ أمين الريحاني «كأنها القبة الزرقاء المرصعة بالكواكب، وقد مشى تحتها القمر المنير سبل الدنيا والـدين» يقف أمام جلالته حامل سيفه الـذهبي المرفـوع عاليـاً، ولعله يرمـز إلى الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه». كان مكتبي في وزارة المواصلات على بعد نحو أربعين متـراً من مكان جلالته، وكنت أرى جموع الناس تتوافد وهي تصرخ بأعلى صوتها:

«أسألك بالله يا مولاي ـ يا أميـر المؤمنين ـ أنا مـظلوم ـ ظلمني فلان وأطلب إنصافك يا بن رسول الله».

«العـامل الفـلاني حكم ضدي بعـد أن رشـاه خصمي ولا يمكن أن يـظلمني أحد ومولاي أمير المؤمنين في الوجود».

«الضـابط الفلاني دخـل منزلي مـع جنده وأخـذوا بـالقـوة عـدداً من الأغنـام والماعز والدجاج ولم يبقوا لنا شيئاً، أطلب الإنصاف يا أمير المؤمنين».

«جبـاه الضرائب استـولوا بـالقوة والتهـديد على القسم الأوفـر سن محاصيلنـا الزراعية والحيوانية وما أبقوه لنا لا يكفي لمعيشتنا».

كان بعضهم يقدم للإمام أوراقاً صغيرة وقصاصات ملفوفة كـالسجائـر تتضمن الشكاوى، فيفضها الإمام ويقرأها بكل عناية ثم يتناقش مع مقـدمها ويكتب الحكم على الورقة نفسها، أو يحيلها إلى المـرجع المختص «للنـظر والإفادة» أو «للتحقيق والإفادة» إلخ . . .

وهكذا دواليك، طلب الرحمة والعدالة تنطلق من حناجر المشتكين المظلومين في نفس الوقت، وعلى وتيرة واحدة، ولا أعلم كيف كان باستطاعة الإمام سماع أو استيعاب كل تلك الاستخبارات الصارخة.

كما أن أكثر ما أدهشني من جلسات المحاكمة هذه هو الحلم الذي كان يبديه الإمام مع هؤلاء المشتكين الذين أراد أحدهم أن يهمس شيئاً في أذنه كي لا يسمعه الآخرون فما كان من جلالته إلا أن رفع أحد أكمامه (والأكمام في الأثواب اليمنية تستهلك نحو ثلث قماش الثوب نظراً لطولها ووسعها) ووضعه فوق رأس الشاكي واستمع إلى أقواله وتناقش وإياه نحو دقيقتين.

كان بعض المشتكين يصلون إلى المكان ومعهم عجل أو ثور أو بقرة، فيسرع الحرس لفتح الطريق لهم كي يصلوا إلى الإما رأساً، ودونما أي تأخير، أو بكلمة أخرى يحصلون على حق الأفضلية والأسبقية. ينظر الإمام إلى الهدية المقدمة وبأمر بضمها إلى الزريبة الكائنة في أسفل القصر ثم يباشر في السماع للشكاوى. حق الأفضلية هذا غير مستحب لأن في ذلك تفضيلاً للغني على الفقير، ولربما يؤثر على مجرى العدالة، فالمفروض في الإمام أن يكون على رأس العلماء والمجتهدين لأنه كما كان يقال «قبح الله ملكاً يدخل عليه من هو أعلم منه»، فهو رب العلم والاجتهاد والقاضي الأكبر العادل.

جولة الإمام اليومية

بعد الانتهاء من سماع شكاوى رعاياه يقوم الإمام بجولته ونزهته اليومية في أنحاء المدينة مصحوباً بعكفته وبموظفي ديوانه غالباً مشياً على الأقدام، وإنما بسرعة تقارب الهرولة وأحياناً قليلة بالسيارة أو على جواده الخاص كثيراً ما كان أصحاب الشكاوى والحاجات يلحقون بالركب الإمامي يرددون شكاياهم ومظالمهم دون أن يبدي جلالته أي مضايقة من ذلك، إذ إنه كان يقف في بعض الأحيان للتحدث إلى بعض أصحاب الدعاوى. يقوم رجال الحرس (العكفة) بإنشاد الزامل المتضمن الإشادة بأمير المؤمنين وعدالته والدعاء له بدوام الصحة وطويل العمر

لضمان خير شعبه وتأمين العدالة للجميع . يسير جلالته تحت المظلة الكبرى المزركشة التي يرفعها أحد رجال حرسه الخاص فوق رأسه، وبقربه حامل سيفه الذهبي ويتبعه جواده الأبيض المطهم والعربة الملكية، يصلي جلالته صلاة الظهر بعد عودته إلى القصر ثم يتناول الغداء بعد قيلولة قصيرة، ينزل إلى ديوانه حيث يعمل في تصريف شؤون الدولة حتى موعد صلاة المغرب».

المظلة الامامية

يستظلها الإمام حسبما وصفها الأستاذ أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» إلى المسجد أو في نزهته اليومية مشياً على الأقدام، وبين جنده الذين ينشدون «الزامل» وهو الحداء اليمني، والمظلة هي في وسط الموكب «كأنها القبة الزرقاء المرصعة بالكواكب وقد مشى تحتها القمر المنير سبل الدنيا والدين».



الإمام الناصر لدين الله
أحمد بن يحيى حميد الدين

ولد الإمام أحمد عام ۱۸۸۸ وتلقى دروسه الدينية الأولية في مدارس شهارة.

عرف منذ صغره بنزعته للعنف واشتهر في شبابه وكهولته بفراسته وخبرته بعقلية ونفسية القبائل وبراعته في استغلال الظروف لتنفيذ مآربه وأوامره. شعر بما يكنه آل الوزير من خطر على حكمه فأقصاهم عن إمارتي الحديدة وتعز واتخذ مدينة تعز مقراً له لقربها من النواحي المحتلة حيث يتسنى له رصد التحركات البريطانية ومقاومتها.

عاش الإمام أحمد فترة غير قصيرة من شبابه في المناطق الشمالية من بلاده. أقام في «حجة» المشرفة على تهامة ثم في «صعدة» وسط قبيلتي حاشد وبكيل القويتين.

في عام ۱۹۲۸ ـ عهد إليه اخضاع وتأديب قبائل الزرانيق الذين عاثوا في المنطقة فساداً وقطعوا طرق المواصلات بين الحديدة والمخا واتخذوا من مدينة «بيت الفقيه» قاعدة لأعمالهم العدوانية ـ قاومت هذه القبيلة القوات العثمانية بضراوة. تمكن أحمد بعد قتال عنيف وطويل وشاق من اخضاعهم وعاد إلى صنعاء فدخلها دخول الفاتحين المنتصرين وكان أشد الناس افتخاراً ببطولة والده الإمام يحيى الذي بدأ منذ ذلك التاريخ إعداد نجله الأكبر لولاية العهد.

أحمد يا جنّاه

كان العديد من اليمنيين وعلى الأخص رجال القبائل يعتقدون أن الإمام أحمد مشمول بحماية الجن وإنه لا يمكن الاعتداء على حياته بأي صورة كانت.

في نزهتي اليومية في تعز كان يرافقني جندي خاص بحجة حمايتي وإبعاد الأولاد والمتسولين عني، وقد يكون لهذه الرفقة الإلزامية أسباب أخرى كنت أدركها

تماماً وأتجنب حدوثها. فمرافقي هذا كان يتباهى بأنه جندي الإمام أمير المؤمنين وأنه سيظل كذلك حتى آخر يوم من حياته ليدافع عن حياض الوطن. جرى بيني وبينه الحديث التالي ذات مرة:

سألني إذا كنت أعلم أن الإمام أحمد يحميه الجن، فأجبته إنني لم أسمع بذلك وإنني شخصياً أعتقد أن جلالته يحميه خالقه رب العالمين.

قال: هل تعلم أنه إذا أقدم أي مجرم أو خائن للوطن والدين على رمي جلالة مولانا الإمام بالرصاص، فإن ذلك الرصاص يحيد عن جسم مولانا ويصطدم بأقرب جدار ثم يعود ويصيب قلب الرامي الجاني فيقتله؟ لم أجب فوراً ولذلك كرر سؤاله قائلاً: ما قولك يا أستاذ؟ فأعدت عليه جواب السؤال السابق بأن الله سبحانه وتعالى كفيل بحماية جلالته ودرء أي شر وأذى عنه.

سؤالات محرجة كانت توجه إلي وإلى غيري من الجنود وبعض الزوار، وكنا حذرين من عدم التفوه بأي شيء يسيء إلى الإمام وحكومته وقد تبين للموظفين العرب غير اليمنيين بأن هكذا سؤالات كانت تطرح علينا بإيعاز من حاشية الإمام لامتحان إخلاصنا وولائنا للسدة الإمامية إلى درجة أن بعض الزوار اليمنيين كان ينتقد حكم الإمام ويصفه بالجائر والغاشم، ويمتدحون بلادنا لوجود المؤسسات الديمقراطية البرلمانية والحكم المسؤول أمام الشعب ومعالم الرقي والعمران، بينما لا يجد الإنسان في اليمن سوى الجهل والظلم والخراب والتخلف، وكنا جميعاً بناء على اتفاق سابق فيما بيننا نظهر امتعاضاً لمثل تلك التهم والأقاويل، ونطلب منهم توجيه انتقاداتهم إلى المسؤولين في حكومتهم.

سفر الإمام أحمد الى روما للاستشفاء واصلاحات البدر في غيابه

في أبريل سنة ١٩٥٩ ازداد مرض الإمام أحمد فاضطر للسفر إلى روما للعلاج.

انصرف الأمير البدر خلال غياب والده لإدارة شؤون البلاد طبقاً للنهج الناصري الذي ارتاح له العدنيون التقدميون، وحتى الأحرار اليمانيون الذين اعتبروا خطة البدر التصحيحية كمقدمة لإقامة جمهوريتهم اليمنية المرتقبة. قضى البدر على نفوذ خدم

والده واستئثارهم بالنفوذ وعين عدة خبراء من المصريين عسكريين ومدنيين. ومما ساعد على التفاف البعض حوله هي الدعاية التي انتشرت في اليمن بأن البدر هو رجل عبد الناصر الذي يساعده لإخراج بلاده من أجواء القرون الوسطى إلى عصر النور.

أما العناصر الرجعية في اليمن فقد استاءت من خطة البدر الإصلاحية هذه ووصفته بصنيعة موسكو والقاهرة.

وعد البدر الجيش بزيادة معاشاته بمعدل ٢٥ بالمئة، ولم يتمكن من تنفيذ وعده نظراً لفراغ الخزينة وهذا ما زاد في تململ الجيش الذي انقسم على نفسه.

عاد الإمام أحمد إلى بلاده بعد شفائه في أغسطس سنة ١٩٥٩ فوجد الاضطرابات في الشمال والجنوب، خصوصاً بعد محاولة الإمام استرجاع ما دفعه البدر لرؤساء حاشد وغيرهم بغية شراء ولائهم. استدعى الإمام أحمد ابن الأحمر شيخ مشائخ حاشد الذي ساعده عام ١٩٤٧ في استرجاع الملك من ابن الوزير وأعطاه الأمان وإنما قام بقطع رأسه لدى وصوله.

الإمام أحمد والاشتراكية

سر الإمام أحمد لدى سماعه أنباء انفصال سورية عن مصر في عضوية الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، لأنه كان قد سبق وعبّر عن امتعاضه من الخطط الاشتراكية المتبعة في كلتا الدولتين، معتبراً ذلك منافياً لمبادىء الإسلام وخروجاً على تعاليمه. لقد فاضت قريحته آنذاك فنظم قصيدته التي نشرت في ديسمبر سنة ١٩٦١، وقد أذيعت مراراً من محطة راديو صنعاء، وفيها هجوم واضح على الرئيس جمال عبد الناصر ومبادئه الاشتراكية.

جاء في مذكرات السيد محمود رياض الأميـن العام السابق لجامعة الدول العربية عن عهد الإمام أحمد ما يلي:

«الإمام أحمد فرض عزلة على اليمن منذ توليه الإمامة سنة ١٩٤٨، بعد مقتل والده والقضاء على الثورة فأحمد كان واثقاً أن حركة الإصلاح ستؤدي بحكمه الفردي. قضى على كل حركة إصلاحية لضمان حالة الانفلات سنة ١٩٥٥. انضم

أحمد إلى الاتفاق العسكري بين مصر والسعودية في ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٦ لدعمه ضد الاستعمار البريطاني في اليمن الجنوبي ولضمان مؤازرة مصر والسعودية له، ولم يقم بتنفيذ مواد الاتفاقية بجدية.

الوحدة بين مصر وسوريا: طلب أحمد من عبد الناصر قيام اتحاد بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة. أكد (البدر) لعبد الناصر أن انضمام اليمن صوري فقط لاكتساب قوة سياسية ضد معارضيه في الداخل، لم يكن ممكناً رفض طلبه. تشكل مجلس اتحادي مركزه القاهرة من ٦ أعضاء. (٣ من اليمن). لم يعبأ الإمام بتنفيذ قرارات المجلس. استاء اليمانيون التقدميون من عدم استعداد الإمام لأي إصلاحات رغم أملهم بأن الاتحاد سيدر الخير والإصلاح. حاول عدد من الضباط الأحرار اغتيال أحمد في الحديدة سنة ١٩٦١. فشلت المحاولة وأعدم ضابطان. أصدر عبد الناصر القوانين الاشتراكية، انتقدها الإمام بشدة بقصيدة هاجم فيها مصر والاشتراكية. أعلن عبد الناصر سحب البعثة العسكرية وحل الاتحاد مع اليمن في ديسمبر سنة ١٩٦١.

بيان من الإمام أحمد
يتضمن النص الكامل لقصيدته: سبب الأزمة

أذاعت محطة صنعاء مساء الأربعاء بياناً وجهه ملك اليمن الإمام أحمد «إلى الشعب اليمني والعالم العربي والإسلامي» هذا نصه:

«شعبي العزيز وأخواننا في العالمين العربي والإسلامي أحييكم تحية الإسلام وإليكم أوجه هذا البيان:

إنه لمنا كان ديننا الإسلامي الحنيف يدعونا إلى التناصح فيما بيننا،

وكان القرآن الكريم الذي ننضوي جميعاً تحت لوائه يقول: لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس.

ويقول: إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم.

وكان رسوله الأعظم (صلعم) يقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

ويقول: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

ونظراً إلى ما لنا من الزعامة الروحية التي تربطنا بعامة المسلمين، شعرنا أن المسؤولية كما تخص كل فرد من أفراد المسلمين، فإنها بحسب شعورنا عظيمة ومضاعفة بالنسبة إلينا.

ولما رأينا من الاختلاف القائم بين بعض أخواننا من رؤساء وملوك الدول العربية الذي نجم عنه تبادل الشتائم والتراشق بالتهم والتنابز بالألقاب التي غصت بها صحافتها وشرقت بها أذاعتها، الأمر الذي وسع شقة الخلاف، ولم تجن الشعوب العربية والإسلامية من ورائه إلا التنابذ والتخاصم وإقرار عين العدو المشترك من الصهيونيين والمستعمرين.

بهذه الدوافع النبيلة وبالنية الحسنة، التي يعلم الله، وجهنا إلى الجميع نصيحتنا التي لم نقصد من ورائها شخصاً بعينه ولا قطراً بخصوصه، وإنما وجهناها نصيحة عامة إلى عموم العرب والمسلمين، استوحيناها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم نكن فيها ضالعين مع أحد ولا قصدنا إساءة بها إلى أحد، بل هي خالصة لوجه الله والمسلمين جميعاً.

ويؤسفنا أن بعض حكومات الأقطار الشقيقة قد أساءت فهم هذه النصيحة نفسها فقامت لتذكي في إذاعتها وصحافتها حرباً كلامية على اليمن وأهله وإمامه بدون مبرر، وفي الوقت الذي نحن أحوج ما نكون فيه إلى التصافي والتآخي والتضامن الذي يدعونا إليه القرآن بقوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، كما ينهانا عن التنازع والتخاصم، ويعرفنا بأنه المنفذ الخطير للعدو المشترك والسبيل إلى الفشل والانتكاس فيقول ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم:

وإليكم هذه النصيحة:

نصيحة تهدى إلى كل العرب ... ذوي البطولات العظام والحسب
نصيحة تحرك الضمائرا ... وتوقظ القلوب والمشاعرا
وتستثير نخوة الأجداد ... وشيم الأكارم الأمجاد
من شرفوا ألسنهم عن الخنا ... وللحمى والعرض كانوا أصونا

نصيحة أزفها إليهم عسى أرى قبولها لديهموا
أن يذكروا ما جاء في القرآن من حكم معجزة البيان
تدعوهم لألفة القلوب ووحدة الصفوف في الخطوب
وأن يكونوا كالبنا المرصوص فيسلموا مذمة النكوص
ويرفعوا في قمة المجد علم وينصروا الحق إذا الخطب ادلهم
وينشروا مبادىء الإسلام والعدل السلام في الأنام
فقد أتى في محكم التنزيل ما لا مجال فيه للتأويل
كونوا على عدوكم أعوانا ورحماء بينكم أخوانا
أعزة عند اشتداد البأس لا يستلين عزمكم لليأس
فاتبعوا ما أنزل الله لكم وأخلصوا لوجهه أعمالكم
واعتصموا بحبله جميعاً واجتنبوا الفرقة والتشنيعا

* * *

وكم أتى على لسان أحمد من الهدى إلى السبيل الأرشد
كم حثنا لوحدة الصفوف ونبد كل مبدأ سخيف
وكم دعانا للإخا والحب والبعد عن قول الخنا والعجب
هذي التعاليم التي علمنا خير رسول جاء رحمة لنا
فما دعاكم يا بني العرب إلى هذا النزاع والخصام القلى
وما لكم حدتم عن الطريق وعبثت فيكم يد التمزيق
وأصبحت قلوبكم أشتاتاً ليست تعير رشدها التفاتا
فأدرك العدو منكم أمله وفت زندكم وحز مفصله
ما لي أراكم تملأون الأرضا قولاً يفيض حسداً وبغضا
وتفعمون الجو بالشتائم وتصفعون جبهة المكارم
وتصرخون من فم المذياع بكل صوت ناشز الإيقاع
كم تشتمون بعضكم بعضا وكم هتكتوا يا قوم جانب الحرم
أقلقتم مضاجع الآباء ولم تصونوا ذمة الوفاء
واستحيت الأمجاد منكم والشرف وسخرت منكم عناوين الصحف

وابتسم العدو بسمة الظفر كأنما احتل حماكم وانتصر
نسيتم عدونا المشتركا وصرتم بعضاً لبعض شركا
شننتم الحروب فيما بينكم ودستم العهد الذي يصونكم
ولم تراعوا حرمة الإسلام ولا شعار القادة العظام
فصرتم عاراً على الآباء ولعنة في شفة السماء
وصيرتكم شهوة الأطماع سفينة تاهت بلا شراع
فهل تعودون إلى الرشاد تغسلون درن الأحقاد
وتقطعون ألسن السباب وتغلقون عنه كل باب
وتنبذون الكيد والخداعا والعجب والغرور والأطماعا
متى تكفرون عن أخطائكم وتأخذون الدرس من آبائكم
وتجمعون صفكم كي تضربوا أعداءكم وتعمروا ما خربوا
هيا فقد آن الأوان وانتهت عصور ذل سيطرت واستحكمت
خضعتم فيها لأمر الأجنبي وذاب فيم كل عرق عربي

* * *

هيا بنا نبني صروح الوحدة ونرتقي للمجد أعلا قمة
فينتشي تأريخنا افتخاراً وتركع الدنيا لنا إكباراً

* * *

هيا بنا لوحدة مبنية على أصول بيننا مرضية
قانونها شريعة الإسلام قدسية الأوصاف والأحكام
ليس بها شائبة من البدع تجيز ما الإسلام عنه قد منع
من أخذ ما للناس من أموال وما تكسبوا من الحلال
بحجة التأميم والمعادلة بين ذوي المال ومن لا مال له
لأن هذا ماله دليل في الدين أو تجيزه العقول
فأخذ مال الناس بالإرغام جريمة في شرعة الإسلام
ولا يجوز أخذ مال الغير إلا بأن يرضى بدون ضير

والـديـن قـد سـن الـزكـاة فينـا طـهـارة لمـا حـوت أيـديـنـا
يـعيش منهـا الـعـاجـز المحـروم ويـسـعـد الحـاكـم والمحكـوم
وليس فـي مقـدارهـا إجحـاف ولا خـلا من أمـرهـا الإنصـاف
وممكـن إصـلاح مـا قـد كـانـا ومحـو مـا قـد غيـر الأذهـانـا
وعـودة المـاء إلـى مجـراه فينـعـم الشـعـب بمـا يـهـواه
ويستتـب الأمـن فـي البـلاد وينـزل الخصـب بكـل وادي
وليس فـي الـعـود إلـى الصـو اب مـذمـة لـدى أولـي الألبـاب
فـالحسنـات تقتـل الآثـامـا وتـذهـب الأحقـاد والأوهـامـا
والبـعض قـد يـغـدو إلـى وئـام إذا محـوت الـذنـب بـالإكـرام
فـإن وعيتـم يـا ولاة الأمـر نصحـي أمتـم غـائـلات الـدهـر
وسـدتـم الـدنيـا بكـل فخـر وجئتـم الأخـرى بكـل أجـر
واللـه يـهـديكـم إلـى الـرشـاد ويبسط الخيـر علـى الـعبـاد

الأسباب التي دعت الجمهورية العربية

لإنهاء اتحادها مع اليمن

الشعب اليمني لم يستفد من تجربة الاتحاد

وفيما يلي نص البيان الذي أصدره الدكتور عبد القادر حاتم وزير الدولة بتاريخ ١٩٦١/١٢/٢٨ ويعلن فيه انتهاء الاتحاد مع اليمن

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تنهي أعمال اتحاد الدول العربية الذيكان يجمعها مع حكومة حضرة صاحب الجلالة أحمد بن حميد الدين إمام اليمن. وترى حكومة الجمهورية العربية المتحدة وهي تتخذ هذا القرار أن تعلن للرأي العام العربي حقيقة الدوافع التي حدت بها إلى هذه الخطوة.

اختلاف الطبيعة

أولاً ـ إنه لا يوجد في طبيعة أي من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا

الإتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الإسهام الإيجابي في تطوير النضال العربي. ومن هذا الإختلاف في الطبيعة تختلف نظرة كل منهما للأمور، ومع أن هذا حق ثابت لكل من الحكومتين إلا أنه من المتعين مواجهة هذا الإختلاف بطريقة حاسمة بعد سنوات التجربة، خصوصاً، وأن الجمهورية العربية المتحدة تشعر بالتزامها العميق أمام حركة الجماهير العربية سعياً للعدل الإجتماعي.

الوحدة والاتحاد

ثانياً ـ إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تجد لزاماً عليها أن تحدد موقفها من قضايا الوحدة أو الإتحاد في جلاء لا يلابسه شك. إن قضية الوحدة أو الاتحاد لا يمكن أن تقوم على أسس صحيحة ما لم يكن هناك توافق بينها وبين الأطراف التي يعنيها الأمر على حلول مشاكل التطور الإجتماعي.

وإذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعتقد عن إيمان بأن الإشتراكية هي الحل الصحيح لمشاكل الواقع العربي، فإنها في نفس الوقت وبكل إيمانها الذي لا يتزعزع بحتمية الوحدة ترى أن توافق النظرية الإجتماعية حيوي لإنجاح تجربة الوحدة.

مساعدات لليمن

ثالثاً ـ إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة إقامة الإتحاد العربي تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة في خدمة الشعب اليمني وفي خدمة قضاياه العادلة.. ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالاً للشك إن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة. وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة وهي تقدم على هذه الخطوة تتمنى بإخلاص لو أدركت حكومة اليمن حقيقة الموقف الذي دعا إلى ذلك.

على أن هذه الخطوة لا تؤثر إطلاقاً في تمسك الجمهورية العربية المتحدة بإمكانية التعايش السلمي بين الدول التي تختلف نظرياتها الإجتماعية ومناهجها ولسوف تحرص الجمهورية العربية المتحدة كل الحرص على علاقاتها مع حكومة

اليمن ولن تتردد أن تقدم إلى هذه الحكومة أي مساعدات سياسية أو اقتصادية أ
عسكرية يمكن أن تكون لها فائدة بالنسبة لشعب اليمن الشقيق الذي يكن له شعب
الجمهورية العربية المتحدة كل محبة صادقة وكل ود متين.

وفاة الإمام أحمد واعتلاء البدر سدة الإمامة

توفي الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى مساء الثلاثاء في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وقد أعلن البدر نبأ الوفاة فور حصولها وبويع بالإمامة في اليوم التالي.

جرى نقل جثمان الإمام أحمد إلى صنعاء يوم الخميس في ٢٠ سبتمبر حيث دفن في مسجد الرضواني.

السياسة الخارجية والعلاقات الدولية
في عهدي الإمامين يحيى وأحمد

من المعلوم أن جلالة الإمام يحيى تسلم زمام الحكم الكامل في بلاده من العثمانيين فور اندحار هؤلاء في الحرب العظمى الأولى/١٩١٨ وجل ما كان يهم جلالته آنئذ هو السيطرة الكاملة على كافة أنحاء بلاده. أما ما يختص بإقامة علاقات دبلوماسية مع الدول العربية الشقيقة والدول الأجنبية الصديقة، فلم يكن جلالته ليعيرها أي اهتمام لاعتقاده الراسخ بأن البعد عن المعترك السياسي الدولي غنيمة والتقرب منها كمن يدعو الدب إلى كرمه وإنه على كل حال قادر على حكم بلاده وعلى مقاومة ودحر كل من تسوله نفسه الاعتداء عليها وأنه «سنصون هذا البلد بدمائنا وسيوفنا اعترفت بنا الدول أم لم تعترف». كان كبار معاونيه من السادة يؤيدون سياسته ونظرته هذه ويشجعونه على الاستمرار في اتباعها حفاظاً حسب زعمهم على الدين ونقائه ومنعاً لإمكانية تلوثه، فيما إذا اتجه الحكم في اليمن نحو إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الأجنبية.

يقال إنه بفضل إلحاح البعض من أنجاله وفي مقدمتهم سيف الإسلام عبد الله وزير الدفاع والمعارف آنئذ، الذي كان كما يظن أكثرهم رغبة في صرف أكثر أوقاته في الخارج، وافق الإمام حوالي منتصف هذا القرن على تعيين مندوب يمني مستمع لدى جامعة الدول العربية الذي اقتصرت مهمته في بادىء الأمر على الأمور التجارية المتعلقة بشراء ما تحتاجه اليمن من معدات، وباستقبال سيوف الإسلام والبعثات المرافقة لهم وبمراقبة العدد اليسير من الطلبة اليمنيين الذين يتلقون العلم في معاهد القاهرة، والتأكد من عدم تدخلهم بالسياسة أو التأثر

بتياراتها المختلفة. أما مهماته السياسية فاقتصرت على الاستماع لما يقال حول الشؤون السياسية العربية والدولية وإرسال قصاصات الصحف التي تتناول تلك المواضيع إلى صنعاء.

كان القاضي محمد راغب وزير الخارجية اليمنية آنذاك يحاول جهده لإقناع الإمام بضرورة إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية واقتصادية وثقافية مع الدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة، ورغم أن جلالة الإمام كان يعطف على القاضي راغب، ويثق به فإنه لم يكن ليبالي بنصائحه وتوصياته فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية الحساسة خصوصاً وأن كافة كبار موظفيه كانوا معادين لراغب ويحاولون دوماً الكيد له. لقد سبق ووافق جلالة الإمام على عقد معاهدات واتفاقيات مع المملكة العربية السعودية (اتفاقية الطائف) حول عسير سنة/١٩٣٤، ومعاهدة صنعاء مع بريطانيا/١٩٣٤ وكان جلالته مجبراً على ذلك وفي ظروف قاسية وليس عن طيبة خاطر. كما أنه وافق فيما بعد على عقد معاهدات صداقة وتجارة مع هولندا وأثيوبيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا الخ، كي لا تقتصر علاقاته الخارجية مع بريطانيا التي اعتبرها آنذاك عدوته الكبرى.

ذكرت سابقاً أن جلالة الإمام كان يعتبر نفسه اليمن أو بالأحرى أن اليمن هو بعض منه، فلقد كان يلقب بصاحب اليمن وأمير مؤمنيها ومالك رقابها، ولقد كانت رسائل رعاياه تختتم بعبارة «المملوك» فلان ولذا فإنه دأب على رسم خطوط سياسته الخارجية العريضة على أساس ما يطيب لشخصه. ولم يكن جلالته ليعير الفوائد الاقتصادية والثقافية وغيرها التي قد يجنيها شعبه نتيجة التعاون مع الدول العربية والأجنبية أي اهتمام أو ليأبه بمصالح وشؤون رعاياه المهاجرين المنتشرين في شتى أصقاع العالم وضرورة وجود سفراء أو قناصل تدافع عنهم وتصون مصالحهم.

كان الإمام يحيى يخشى عدوان الدولتين البريطانية والإيطالية على بلاده، فركز سياسته على أساس ضرورة اتباع خطة التوازن والمساواة في التعامل معهما ـ كلتاهما عدوتان له ولبلاده ولن تتأخرا عن مهاجمته وضم ما طاب لهما من بلاده إذا سنحت لهما الفرصة. لذلك عمد إلى محاسنة ومسايرة كل منهما ظاهرياً، ولاطلاع كل منهما على مطامع الأخرى في بلاده، وعن حاجته لمساندة كل منهما ضد

الأخرى أي أنه جعل البريطانيين في عدن والصومال يقفون دوماً على أهبة الاستعداد لرد أي عدوان قد تقوم به إيطاليا ضد اليمن من قواعدها في الصومال الإيطالي وأرتيريا والحبشة والعكس بالعكس. هذا لعمري دهاء سياسي برهن الإمام على أنه من أبرز فرسانه. كان إذا اضطر لقبول استخدام بعثة إيطالية يبادر إلى طلب بعثة مماثلة من بريطانيا حفاظاً على التوازن الذي يحرص عليه.

أما الإمام أحمد فكان يفضل استخدام طيارين من دولتي أسوج ونروج ليقينه أنه ليس لأي منهما أي مطامع استعمارية ولا يمكن أن تكوّنا خطراً على بلاده نظراً لصغرهما وبعدهما، ومما كان يسمعه عن درجة الرقي التي بلغاها ـ كما وأنه عمد إلى استحضار بعثات طبية وغيرها من فرنسا.

لم يكن الإمام أحمد ليعير أي اهتمام للأحلاف الغربية القائمة في المنطقة العربية كحلف بغداد ومشروع أيزنهاور، ولا أعتقد أنه كان مطلعاً على تفاصيل أهداف ومرامي تلك الأحلاف وإنما كان يعلم ولا شك أن أكثر الدول العربية لم تكن راضية عنهما ولذلك ضم صوته إليهم في معارضتها.

الغريب في أمر الإمام أحمد أنه كان يعمد إلى التهديد بالانضمام إلى تلك الأحلاف إذا قام أحد مناوئي حكمه من الأحرار اليمنيين أو غيرهم بنشر مقالة أو إذاعة حديث ضد عهده في مصر أو سوريا أو في أي بلد عربي آخر، ويطلب من البلد العربي الذي تنشر فيه هكذا مقالات وإذاعات تسليمه ناشريها ومذيعيها، لإنزال العقاب بهم أو طردهم من بلادها، وهكذا كان موقفه من حلف بغداد أو مشروع أيزنهاور يتوقف على ما يقوم به الأستاذ أحمد محمد نعمان أو القاضي محمد محمود الزبيري أو سواهما من نشاطات ضده في الخارج.

أم الخطة التي اتبعها الإمام يحيى طيلة مدة حكمه والتي حاول الإمام أحمد تبنيها إلى درجة ما في المراسلات الخارجية، وعقد المعاهدات والاتفاقيات سواء مع الدول العربية الشقيقة أو الأجنبية فهو اللجوء إلى الإيهام في العبارات المستعملة لضمان إمكانية تفسيرها على أكثر من وجه إن دعت الحاجة ويمكنني أن أؤكد أنه خلال الثلاثة عشر شهراً التي عملت فيها في عهده لم أتمكن من معرفة ما

إذا كان مقتنعاً مما كنت أوضحه لجلالته أم لا رغم أنه كان يردد أحياناً كلمتي «ناهي ناهي» أو ما معناه حسب مفهومنا «طيب وحسن» ـ كان عميقاً جداً في تفكيره ولم تكن قسمات وجهه لتدل على ما يضمره في قلبه وعلى ما قد ينوي اتخاذه من أحكام وإجراءات.

أما الإمام أحمد فكان رجلاً عاطفياً سرعان ما يبدي موافقته أو رفضه لما يعرض عليه من أمور كنت دائماً أحاول إقناعه بما يلزم اتخاذه من إجراءات حيال الأحداث الجارية وكان في غالب الأحيان يبدي اقتناعه التام بما اقترحه عليه ويطلب من البدء بتنفيذ ذلك ويثني على مقترحاتي التي كان يصفها بالحكيمة والمعتدلة ولكن سرعان ما يطلع أحد أفراد بطانته على ذلك حتى يغير موقفه ويطلب مني إيقاف الإجراءات اللازمة ـ كانت بطانته هذه تقنع الإمام أحمد بأنني أسعى دوماً لتشجيع العناصر الوطنية المثقفة ولتقريبها منه وأن تلك العناصر لن تتوانى عن القيام بانقلاب شبيه بما سبق وقام به السيد عبد الله بن الوزير وأعوانه، وطبعاً كانت هذه النقطة حساسة جداً لديه ولربما كانت هاجسه الأكبر.

وزارة الخارجية اليمنية

كانت وزارة الخارجية اليمنية لدى التحاقي بها عام ١٩٣٦ تتألف من شخص واحد هو القاضي محمد راغب بن رفيق ـ رجل هرم وجليل، بهي الطلعة وأنيق الهندام، رجل الكياسة والبروتوكول والتهذيب الرفيع. كاد يكون الوجه الباش الوحيد الذي يهتم بالوفود والشخصيات الوافدة إلى اليمن ـ لقد كان أحد رجال التشريفات في قصر السلطان العثماني وتقلب في عدة وظائف دبلوماسية عثمانية.

لم يكن لهذه الوزارة السيئة الطالع أي مستشار قانوني أو سكرتيرية ولا دائرة محفوظات ولا تمثيل خارجي ولا من يحزنون. وهكذا ظل آلاف اليمنيين المنتشرين في كافة أنحاء المعمورة وفي شتى أنحاء المهاجر، دون أي سفير أو وزير مفوض أو حتى قنصل يهتم بشؤونهم ويحافظ على حقوقهم.

كانت أكثرية الأمراء سيوف الإسلام وكبار رجال الدولة من سادة وقضاة لا

يثقون به، رغم أن الإمام كان يعزه ويقربه ويعطف عليه لتأكده من إخلاصه له وتفانيه في خدمته. لذا جرى إبعاده عن عدة مفاوضات مع وفود عربية وأجنبية أدت إلى عقد معاهدات، وإنما بعد أن ذاقت الوفود الزائرة الأمرين من عدم تمكن المفاوضين اليمنيين آنئذ من فهم النقاط القانونية المتبعة ولا من التمسك برأي واحد، فكانوا إذا وافقوا على بند من بنود المعاهدة المنشودة اليوم نقضوه في الغد وطلبوا إبداله بنص ركيك غامض، مما جعل العديد من أولئك المفاوضين الزائرين يهرعون إلى القاضي راغب شاكين ما يلاقونه من صعوبات وعراقيل غير قانونية ولا مبرر لها إطلاقاً.

قلت إن وزارة الخارجية كانت عبارة عن موظف واحد هو وزيرها القاضي محمد راغب بك، ولدى وصولي إلى صنعاء في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٦ وتعييني في وزارتي الخارجية والمواصلات أصبحت تتكون من موظفين اثنين لا غير.

البعثات السياسية والدبلوماسية الزائرة

خلال خدمتي في الحكومة اليمنية في صنعاء وتعز لم تكن هنالك أي بعثات دبلوماسية عربية أو أجنبية مقيمة في اليمن، إذ كانت أكثر الدول المرتبطة مع الدولة اليمنية بمعاهدات صداقة وتجارة تكتفي باعتماد سفرائها في السعودية أو في مصر لتمثيلها في اليمن دون الإقامة فيه لأسباب عديدة أهمها: عدم وجود ضرورة قصوى لاعتماد ممثلين سياسيين لهم في اليمن نظراً لضآلة العلاقات السياسية والتجارية معه، ولعدم رغبة حكومة جلالة الإمام في إقامة هكذا بعثات في بلاده بصورة دائمة، ولربما أيضاً لعدم توفر الأبنية الصالحة للسفارات ولسكن موظفيها آنئذٍ كما وإن جلالة الإمام كان يخشى أن تصبح دور السفارات في بلاده قواعد للتجسس.

لدى وصول البعثة الرسمية الزائرة إلى ضواحي صنعاء أو تعز يكون في استقبالها ضابط من الجيش اليمني يرافقها إلى دار الضيافة المعدّ لنزولها نظراً لعدم وجود أي فنادق في اليمن، يرحب بهم في دار الضيافة أحد رجال الديوان الملكي أو وزارة الخارجية محاطاً بالضابط المشرف على الدار وبعض الخدم ويرشدون

الضيـوف إلى غـرفهم حيث يستـريحـون ويغتسلون بعـد سفـر طـويـل بـراً بين تعـز والحديدة وصنعاء، نظراً لوعورة الطرق.

كان دار الضيافة في صنعاء فخماً نسبياً إذا ما قيس بدار ضيافة تعز والحديدة، إذ انه كان مكوّناً من طابقين بناهما العثمانيون أيام احتلالهم صنعاء، يحـوي الطابق السفلي من البنـاء متحف الآثار والتمـاثيل اليمنيـة القديمـة ومساكن لمـوظفي الـدار وحرسها من الجنود، أما الطبقة العليا فتحتوي على عـدد من الغرف الفسيحـة معدة للمنامة والجلوس وأمامها الصالون الكبير، الذي كانت تجري فيـه المفاوضـات مع البعثات الخارجية.

لم تكن دار الضيـافة في تعـز لائقـة لاستقبـال الضيـوف الـرسميين من وزراء وسفراء، لأنها كانت قديمة البناء ولا يتجاوز عدد غـرفها عـدد أصابـع اليدين، ولأن حماماتها كانت بدائية للغاية ولا وجود لغرفة للطعام، التي استعيض عنهـا باستعمـال الممـر الكائن أمـام غرف المنـامة. لقـد كنت أنا والـزملاء العـرب المـوظفـون في الحكومة نسكن في هذه الدار وكان علينا إخلاء غرفنـا قبيل وصـول البعثات الـزائرة والانتقال إلى الطابق الأسفل الذي كـان أشبه مـا يكون بـزرائب الحيوانـات والذي يفتقد كافة الوسائل الصحية.

فبعد وصول هذه البعثات الرسمية إلى دار الضيافة وأخذها القسطَ الـلازم من الراحة، يبـدأون باستقبـال الزائـرين من كبار رجـال الدولـة اليمنية فيعبّـر لهم رئيس البعثة عن امتنانهم لما أحاطهم به جلالة الإمام وحكـامه في المنـاطق التي مروا بهـا من حفاوة وإكرام وفي اليوم التالي يقـوم أفراد البعثـة برد الـزيارات لكبـار من زارهم في اليـوم السابق ويـرجون المسؤولين منهم التفضـل بتحديـد موعـد لمقابلة جـلالة الإمام ويسلمونهم ما يحملونه من رسائل من رؤساء دولهم لترجمتها إذا كانت محررة بلغة أجنبية، وللاطلاع على مضمونها قبل مثولهم أمام الحضرة الشـريفة كي يتمكن جلالة الإمام من مناقشتها معهم.

أهم المشـاكل التي كـانت تعتـرينا خلال هكـذا زيارات رسميـة هـامـة هي محاولة إقناع جلالته بضرورة تعيين موعد مبكر لاستقبال البعثات والشخصيات الهامة

التي كثيراً ما تكون على ارتباط بمواعيد هامة في مراكز عملها خارج اليمن.

كان الإمام يمقت أي رجاء لتحديد موعد مبكر لاستقبال البعثات أو الشخصيات المرموقة وذلك للأسباب التالية:

١ـ إنهم (البعثات الرسمية) هم الذين طلبوا زيارتنا وليس نحن الذين دعوناهم.
٢ـ الضيف هو أسير المضيف ولا يليق بأن يفرض هذا الضيف موعد المقابلة على مضيفه.
٣ـ ما سبب الإلحاح على سرعة تحديد موعد المقابلة لهم، ولماذا جاءوا إلينا إذا كانت أعمالهم كثيرة ولديهم ارتباطات عاجلة، أي بمعنى آخر فليتفضلوا بالرحيل إذا كانوا مستعجلين وغير مرتاحين في رحابنا وضيافتنا.

بحثت ذلك مع الأمير البدر وأطلعته على عدم محافظة جلالة الإمام على المواعيد المحددة لاستقبال البعثات الدبلوماسية وغيرها، إذ إننا لدى وصول هذه البعثات إلى تعز نطلعها على البرنامج المعد لاستقبالها وعلى الموعد المحدد لها لمقابلة جلالة الإمام وأركان وزارة الخارجية، وكثيراً ما تصلنا الأوامر من جلالته قبل وقت قصير من موعد الزيارة لإلغائها لأن جلالته إما مريض أو معتكف أو صائم، وهذا ما يحرجنا كثيراً لأن رئيس البعثة ومرافقيه يكونون قد استعدوا للمقابلة فنأتي قبل ساعة أو ساعتين من موعدها لنقول لهم إنها قد تأجلت لسبب أو آخر. إن أمثال تلك التصرفات قد تسيء إلى شخص جلالة الإمام وإلى سمعة بلاده.

وافق سموه على كل ما ذكرته وطلب رأيي فيما يجب عمله لتلافي تلك المصاعب. أجبته إن الحل الوحيد في نظري هو تعيينك أنت أو أحد الأمراء نائباً لجلالة الملك للقيام بمهام الحكم أثناء اعتكاف جلالته المتكرر. قال الأمير إن الفكرة رائعة وإنه سيحاول إقناع جلالة الإمام بضرورة تنفيذها ودعوت له بالتوفيق فأجاب إنه ليس متفائلاً كثيراً بموافقة جلالته، وإنه يعلم أنني أشاركه نفس الشعور. فقلت: لا بأس من المحاولة.

طبعاً لم ترق الفكرة لجلالة الإمام الذي لربما اعتبرها افتئاتاً على صلاحياته الملكية، لأنه كان يمانع في إسناد أي صلاحية إلى أي كان، حتى إلى ولده الذي كان مزمعاً على إعلانه ولياً للعهد في الوقت المناسب.

اتفاقية قديمة معقودة بين بعض أئمة اليمن وحكامهم مع شركات وشخصيات بريطانية

في الوقت الذي كان يطوف فيه عدد من الضباط البحريين البريطانيين لذرع مياه الموانىء المعروفة في شبه الجزيرة العربية وخصوصاً في عدن وجوارها، لاختيار المواقع المناسبة لإقامة محطات لتموين البواخر العاملة بين بريطانيا والهند وشرقي أفريقيا والشرق الأقصى بالوقود والمؤن، كان ممثلو شركة الهند الشرقية التجارية البريطانية وغيرها من الشركات الأجنبية يحاولون الاتصال بحكام اليمن الشمالية منها والجنوبية، بغية الحصول على رخص للاتجار مع تلك المناطق وإقامة المصانع والوكالات التجارية المختلفة فيها، وعلى ضمان سلامة ممثليها وعمالها وتأمين سير أعمالهم وعدم وضع العقبات والعراقيل في طريقهم.

معاهدة معقودة بين امام صنعاء ووكيل الحكومة البريطانية بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٢١

«تفسيراً للمواد المتفق عليها بين الأمير فتح الله، وكيل الإمام المهدي، رئيس صنعاء ووكيل الحكومة البريطانية الآغابروس خان في العام ١٢٣٦ الهجري، الموافق ١٨٢١ ميلادي.

المادة الأولى: سيكون للوكيل المقيم نفس عدد الحرس الذي للوكلاء البريطانيين في كل من بغداد والبصرة وبوشير، أي ثلاثون رجلاً للمحافظة على كرامته.

المادة الثانية: يمنع الحاق أي استخفاف أو عدم احترام بالوكيل البريطاني المقيم الممثل للحكومة البريطانية، الذي ستكون له حرية ركوب الخيل متى وأينما شاء والحق بدخول أو الخروج من كافة أبواب المخا بما فيها باب الشيخ شادلي الذي يمنع الأوروبيون من استعماله لعدة سنوات، وسينعمون جميعهم بنفس الحريات والامتيازات التي لهم في بوشير والبصرة وبغداد ومسقط.

المادة الثالثة: ستحدد قطعة أرض لاستعمالها كمدافن للرعايا البريطانيين الذين لم يسمح لأحد بالتعرض لها.

العلاقات اليمنية البريطانية

والنزاع المسلح

العلاقات اليمنية الأميركية

في عام ١٩٢٧ بدأ النزاع المسلح بين القوات الإمامية اليمنية وقوات السلطات البريطانية في عدن وجنوبي اليمن المحتل. كانت القوات الجوية هي المسؤولة عن الأمن في عدن نظراً لطبيعة البلاد، الجبلية ووعورتها وصعوبة الوصول إليها، وهكذا شرعت الطائرات البريطانية في قصف المناطق اليمنية في الضالع وجوار سلطنة العواذل وبيحان والصبيحة وغيرها. المعروف عن الجندي اليمني أنه من أبسل جنود العالم حتى في وجه الأسلحة البرية الحديثة، إذ إنه لن يتوانى عن مهاجمة جنود القوات البريطانية المسلحة بأحدث الأسلحة وأفعلها ببندقيته القديمة التي أورثه إياها العثمانيون في أوائل القرن العشرين وبالطلقات الرصاصية القليلة المخصصة لها. أما الطائرات فكانت تثير آنئذٍ الرعب في قلوب هؤلاء المقاتلين المجاهدين في سبيل الله والوطن، وكان يعتبرها أكثرهم من أدوات الجن والشيطان. أدرك جلالة الإمام ذلك، ويقال إنه أمر أئمة المساجد في كافة أنحاء البلاد بأن يوالوا قراءة سورة الفيل في المساجد **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾** (صدق الله العظيم).

كانت القوات اليمنية قد احتلت إمارات لحج والصبيحة والعواذل والضالع وجوارها بين عام ١٩٢٧-١٩٣٤ وقد تمكنت القوات البريطانية والمحلية من استعادتها بفضل اشتراك سلاح الجو البريطاني المعسكر في عدن. انسحبت القوات اليمنية على أساس أن تبقى إدارة المناطق التي أخلوها بيد أمرائها وليس بيد البريطانيين والإمام. وعلى شرط إخلاء البريطانيين والإدريسي للحديدة واللحية والصليف وتسليمها إلى الإمام دون قيد أو شرط.

معاهدة الطائف بين المملكة اليمنية والمملكة العربية السعودية المعقودة في جدة في صفر سنة ١٣٥٣ هـ

حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة

وحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة أخرى.

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظراً لضرورة تاسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة:

وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما

ورغبة أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قرر عقد معاهدة صداقة إسلامية واحدة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن،

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير:

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق. وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما، فوجداها موافقة للأصول قررا باسم مليكهما الإتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى : تنتهي حالة الحرب القائمة بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين

وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن تسود علاقتهما روح الأخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والإتفاق سراً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية : يعترف كل من الفريقين الساميين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز وخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على المملكة العربية السعودية ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن، ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبنية في صلب هذه المعاهدة.

إن جلالة الإمام يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عايض أو في نجران وبلاد يام، كما أن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة أي حق يدعيه من حماية واحتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها.

المادة الثالثة : يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة : تفصيل خط الحدود بين البلدين الذي يعتبر فاصلاً قطعياً بين بلاديهما.

المادة الخامسة : تعهد بعدم احداث أي بناء محصن على مسافة ٥ كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود وعلى طول تلك الحدود.

المادة السادسة : سحب جنود كل من الفريقين من المناطق التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة إلى الفريق الآخر.

المادة السابعة : يمنع كل فريق رعاياه من إلحاق الضرر برعايا الفريق الثاني ومنع الغزو وإعادة كل ما أخذ بعد إبرام هذه المعاهدة والتعويض عن الأضرار الحاصلة.

المادة الثامنة : يمتنع الفريقان عن اللجوء إلى القوة لحل المشاكل بينهما، بل يجب اعتماد الطرق السلمية والودية واللجوء إلى التحكيم طبقاً لملحق هذه المعاهدة.

المادة التاسعة : يمنع كل فريق استعمال بلاده كقاعدة للأعمال العدوانية ضد الفريق الثاني على الأسس التالية:

١ ـ إذا كان الساعي للفساد من رعايا إحدى الدولتين المتعاقدتين فعلى دولته معاقبته فوراً.

٢ ـ إذا كان الساعي للفساد من رعايا الدولة المطالبة باتخاذ التدابير فيلقى القبض عليه ويسلم إلى دولته وعدم السماح له بالفرار.

٣ ـ إذا كان الساعي للفساد من رعايا دولة ثالثة فإنه يطرد فوراً ويسحب شخصاً غير مرغوب فيه.

المادة العاشرة : يتعهد الفريقان المتعاهدان بعدم قبول من يخرج على طاعة دولته ومنع دخوله إلى حدود بلاده، وإذا دخل أراضي إحدى الدولتين يقبض عليه ويسلم إلى حكومته.

المادة الحادية عشرة : يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بمنع كافة موظفيهم من التدخل بشؤون رعايا الدولة الأخرى منعاً لسوء التفاهم.

المادة الثانية عشرة : يعترف كل من الفريقين بأن رعايا المناطق التي أصبحت تحت حكم الفريق الآخر رعية لذلك الفريق وعدم قبول أي شخص من رعايا الفريق الآخر بدون موافقته طبعاً للأحكام الشرعية.

المادة الثالثة عشرة : يتعهد الفريقان المتعاهدان بإعلان العفو الشامل عن الأعمال العدائية والإجرامية، التي قد يكون ارتكبها أفراد من رعايا الفريق الآخر، الذي أصدر العفو وبإصدار عفو عام شامل عن رعاياه اللاجئين أو المنحازين إلى الفريق الآخر وعدم إلحاق الأذى أو الضرر بهم.

المادة الرابعة عشرة : يتعهد كل من الفريقين برد أملاك الذين يعفى عنهم من رعاياه لدى عودتهم إلى وطنهم وإعلانهم خضوعهم لأحكام حكومتهم، كما أعلنا عدم رغبتهما في حجز حقوق أو أملاك الفريق الآخر.

المادة الخامسة عشرة: يتعهد الفريقان بعدم التعاون مع فريق ثالث في أي أمر يخل مصلحة الفريق الآخر أو ببلاده ورعاياه.

المادة السادسة عشرة: يعلن الفريقان الساميان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية العربية بأنهما أمة واحدة يعملان لما فيه خير بلادهما وأمتهما وعدم رغبتهما بإظهار أي عداء لأحد.

المادة السابعة عشرة : في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين يتحتم على الفريق الآخر تنفيذ التعهدات التالية:

١ ـ الوقوف على الحياد التام.
٢ ـ العون الممكن أدبياً ومعنوياً.
٣ ـ البدء بالبحث مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة ذلك الفريق.

المادة الثامنة عشرة : في حالة حصول فتن وقلاقل داخلية في بلاد أحد الفريقين يتعهد كل منهما بما يلي:

١ ـ اتخاذ التدابير اللازمة لعدم تمكين المعتدين من الإستفادة من أراضيه.

٢ ـ منع دخول اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا.

٣ ـ منع رعاياه من مساعدة المعتدين والثائرين بأي صورة.

٤ ـ منع الإمدادات والأرزاق والمؤن عن المعتدين.

المادة التاسعة عشرة : يسهل الفريقان المتعاقدان المواصلات البريدية والبرقية بين بلاديهما كما يسهلان تبادل السلع والمحاصيل الزراعية والتجارية وعقد اتفاق

جمركي يصون مصالحهما معاً وتوحيد الرسوم الجمركية دون تقييد حرية أحدهما في أي شيء.

المادة العشرون : يعلن كل من الفريقين المتعاقدين استعداده للأذن لممثله في الخارج أن ينوب عن الفريق الآخر في أي شيء، وإذا وجد ممثلان للطرفين في مكان واحد فإنهما يتباحثان عن الفريق الآخر في أي شيء، وإذا وجد ممثلان للطرفين في مكان واحد فإنهما يتباحثان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل لمصلحة البلدين مع عدم تقييد حرية أحد الجانبين بأي صورة.

المادة الحادية والعشرون يلغى ما تضمنته اتفاقية ٥ شعبان سنة ١٣٥٣ اعتباراً من تاريخ هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون تبرم وتصدق هذه المعاهدة من صاحبي الجلالة الملكين في أقرب وقت ممكن وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات ابرامها باستثناء ما نصت عليه المادة الأولى لإنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الأشهر الستة الأولى السابقة لإنتهاء مفعولها، وإذا لم تجدد أو تعدل فتظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من أعلام أحد الفريقين الفريق الآخر برغبته في التعديل.

المادة الثالثة والعشرون تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وحررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين نسخة موقعة من المندوبين المفوضين.

حررت في مدينة جدة في ٦ صفر سنة ١٣٥٣

المعاهدة اليمنية البريطانية

(١١ فبراير سنة ١٩٣٤)

فيما يلي نص معاهدة صنعاء المعقودة بين الحكومتين اليمنية والبريطانية بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٣٤. لقد حرصت على إدراج نصها الكامل نظراً لما لهذه المعاهدة من أهمية خلال النصف الأول من هذا القرن رغم الاجحاف الذي الحقته بالحقوق والمصالح اليمنية والكسب الوحيد الذي جناه جلالة الإمام يحيى منها هو ما تضمنته المادة الأولى من «اعتراف جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممتلكات البريطانية في ما وراء البحار، قيصر الهند وايرلندا الشمالية باستقلال ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها». لقد ضمنت بريطانيا بعقدها هذه المعاهدة استتباب السلام والصداقة معها والمحافظة على مصالحها الاقتصادية والتجارية وسلامة سفنها وملاحيها والبضائع التي تنقلها تلك السفن التي سبق وحصل اعتداء عليها وعلى ملاحيها وممثلي شركات تجارية بريطانية في مينائي الحديدة والمخا وغيرها من مناطق النواحي المحتلة.

أما الكسب الأكبر الذي حصلت عليه الحكومة البريطانية من هذه المعاهدة فهو في مضمون ما نصت عليه المادة الثالثة منها أيّ «بتأجيل البت في مسألة الحدود اليمنية إلى أن يتم مفاوضات تجري بينها قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة كما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة واتفاق كاملين بدون حدوث أي منازعة أو مخالفة ويقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة وأن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعد من قواتهما في الحدود المذكورة وأي تدخل من أتباعهما في تلك الحدود». ولما كانت مدة هذه المعاهدة اربعين عاماً فمعنى ذلك أن البريطانيين قد ضمنوا كافة مصالحهم في المنطقة المختلف عليها لمدة أربعين عاماً خصوصاً، وقد نصت المعاهدة كما رأينا أعلاه على إجراء مفاوضات يتفق عليها الفريقان المتعاقدان وبمعنى آخر بقاء الحالة الراهنة على الحدود على حالها فيما إذا لم يتوصل الفريقان إلى اتفاق يرضيان عنه

معاً وطبعاً لم يكن من المنتظر أن توافق الحكومة البريطانية على الانسحاب من الحدود اليمنية الجنوبية المتنازع عليها قبل انتهاء الأربعين عاماً هذا إذا وافقت على ذلك. وهكذا ظل الإمام يطالب بالسيادة على الأراضي المحتلة والمحمية كونها جزءاً لا يتجزأ من بلاده وظل البريطانيون يدعون بحق حماية المناطق المحتلة الواقعة جنوبي خط الحدود البريطاني التركي سنة ١٩١٤ الذي لم يعترف به الإمام إطلاقاً.

عقدت هذه المعاهدة في ظروف حرجة إذ كانت النزاعات اليمنية السعودية حول منطقة عسير على أشدها والتي أدت إلى دخول القوات السعودية بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الحديدة وجوارها دون أن تلقى مقاومة تذكر.

كما وأن النزاعات المسلحة كانت قائمة منذ سنوات عدة بين القوات البريطانية واليمنية في مناطق الحدود وعلى الأخص في بيحان وجوارها والضالع وجواره وبلاد العوذلي الخ.

يمكن الاستنتاج مما تقدم أن جل ما كان يطمح جلالة الإمام إلى تحقيقه هو الاعتراف به كملك مستقل ووضع حد للحملات البريطانية وعلى الأخص الجوية منها على أنحاء مختلفة من بلاده. إنني شخصياً لا أعتقد أن جلالة الإمام كان جاداً في مطالبته استعادة أطراف بلاده الجنوبية المحتلة لأنه كان يدرك أن سكان تلك المناطق المجاورة لعدن لن يرضوا بحكمه الفردي وأنهم سيسببوا له القلاقل والاضطرابات التي هو بغنى عنها والتي لديه منها ما يكفي داخل بلاده.

نص المعاهدة

«بما أن لحضرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية من جهة وملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من الجهة الأخرى رغبة في الوصول إلى معاهدة تعطي أساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين، فقد قررا عقد المعاهدة وعينا المندوبين المفوضين:

عن جلالة ملك اليمن حضرة الإمام - صاحب السعادة القاضي محمد راغب بن رفيق،

عن جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار، وقيصر الهند وايرلندا الشمالية، حضرة صاحب السعادة اللفتننت كولونيل برنارد راودون رايلي س.ي ـ المحترم،

اللذين اتفقا على ما يأتي:

المادة الأولى : يعترف جلالة ملك بريطانيا وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار، وقيصر الهند وايرلندا الشمالية باستقلال ملك اليمن حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها.

المادة الثانية : يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من جميع الوجوه.

المادة الثالثة : يؤجل البت في مسألة الحدود اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة، كما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة واتفاق كامل بدون إحداث أي منازعة أو مخالفة، وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها في الفقرة السابقة الذكر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعد من قوانهما في الحدود المذكورة وأي تدخل بين أتباعهما أو من جانبهما في تلك الحدود في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة.

المادة الرابعة : سيعقد الفريقان المتعاهدان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور الاقتصادية والتجارية على أساس المبادىء الدولية العامة مع التراضي والموافقة بينهما.

المادة الخامسة :

١ ـ رعايا كل من الفريقين الساميين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر. يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.

٢ ـ كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتهما تتمتع في موانىء الفريق الآخر بنفس المعاملة التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية، وتعامل ركاب تلك السفن وشحناتها في موانىء بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان تابعاً لسفن الدولة الأكثر رعاية.

٣ ـ الغرض بهذه المادة يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية وراء البحار قيصر الهند.

(أ) لفظة «بلاد» ينبغي أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات حضرة جلالته في البلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في المملكة المتحدة.

(ب) لفظة «رعايا» ينبغي أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالي البلاد التي تحت حماية جلالته، وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أي بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته.

(ج) لفظة «سفن» ينبغي أن يعد معناها جميع السفن التجارية مسجلة من أي بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية.

المادة السادسة : هذه المعاهدة تكون أساس لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين الساميين حالاً ومستقبلاً في معنى تقوية الوداد والصداقة ويتعهد الفريقان الساميان المتعاهدان بعدم إعطاء المساعدة والمسامحة لأي حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصحيح بينهما.

المادة السابعة : يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع، وتبادل حجج التصديق في صنعاء، ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولاً بها لمدة أربعين سنة، وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما أوضاعهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليها، وقد تضمنت هذه المعاهدة نسختين باللغة الإنكليزية والعربية، وإذا نشأت شكوك في تفسير شيء من هذه المواد فالفريقان الساميان المتعاهدان يعتمدان النص العربي، وحررت في صنعاء اليمن في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ للهجرة يقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد.

كتاب جلالة الإمام الى العاهل البريطاني حول القضية الفلسطينية

كان جلالة الإمام يحتني دائماً على موافاته بأخبار فلسطين، وعما يجري فيها من تطورات نتيجة للسياسة البريطانية الخرقاء التي ترمي إلى تهويد فلسطين العربية ومقدساتها المجيدة وتسليمها لقمة سائغة إلى الصهاينة. كما وإنه كان يستلم الرسائل من بعض الزعماء الفلسطينيين يشكون فيها بمرارة تلك السياسة الجائرة، فكان يتأثر كثيراً لما آلت إليه الحالة في الأراضي الفلسطينية المقدسة.

طلب جلالته من راغب بك ومني ذات يوم أن نعد كتاباً منه إلى جلالة الملك جورج السادس يستنكر فيه سياسة حكومته تجاه الشعب العربي الفلسطيني العريق، الذي حافظ على مقدسات المسلمين والمسيحيين واليهود مدى القرون، تلك السياسة الهادفة إلى طرد الفلسطينيين العرب من بلادهم وتسليمها إلى الصهاينة مذكراً أنه من واجبات الدولة المنتدبة والوصية على فلسطين أن تتوخى العدالة في معاملتها لجميع السكان دون تحيز لفريق ضد الآخر. ومما جاء في هذا الكتاب أن العرب كانوا أرحم الشعوب في معاملتهم لليهود والحفاظ عليهم، وما ذنب الأمة العربية إذا كانت بعض بلدان أوروبا الغربية قد أساءت إلى اليهود ونكلت بهم، وهل من العدالة أن يدفع العرب ثمن تلك الإساءة وذلك التنكيل. كما وأن جلالة الإمام ذكّر العاهل البريطاني أن أي إجحاف تلحقه حكومته بالشعب العربي الفلسطيني يسيء إلى الأمة الإسلامية والعالم العربي بقدر ما يسيء إلى الفلسطينيين أنفسهم.

في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ ورد جواب العاهل البريطاني يشكر فيه جلالة الإمام على كتابه، ويبدي حرص بلاده على المحافظة على الصداقة التقليدية بين بريطانيا والبلدان العربية، ويؤكد «أن حكومته تتوخى الوصول إلى حل عادل للقضية الفلسطينية منصفاً للعرب واليهود معاً».

استشاط جلالة الإمام غضباً لدى مطالعته الكتاب وتساءل عن شكل تلك العدالة وذلك الإنصاف اللذين تزعمهما الحكومة البريطانية وهي تساعد الصهاينة على إقامة وطنهم القومي توطئة لطرد وتشريد باقي السكان. ثم قال وهل يستوي في

عين العدالة البريطانية الظالم والمظلوم أو المحتل والذي سيطرد من منزله ووطنه؟

نظر الإمام إلى القاضي راغب وإليّ، وطلب منا أن نأتيه بصورة الكتاب الذي وجهه إلى العاهل البريطاني وسألنا: «هل ذكرتم في هذا الكتاب أنني أطلب إنصاف الصهاينة المعتدين؟» - أجاب القاضي راغب «أستغفر الله يا مولاي إننا طلبنا فقط إنصاف العرب المظلومين. وهل يعقل أن نطلب إنصاف المعتدين؟» لم يقتنع جلالته إلا بعد أن أحضرنا له صورة الكتاب المذكور.

أراد جلالته أن يعرف كيف يمكن لملك عظيم كالعاهل البريطاني أن يبعث بهكذا جواب، وهو يدرك ولا شك أن الظالم في فلسطين هو بريطانيا والصهيونية وليس العرب. تمكنت بعد الجهد من إقناعه أن الرسائل التي تصل إلى الملك البريطاني تحال فوراً إلى المختصين في حكومته للإجابة عليها لأنها هي المسؤولة عن السياسة البريطانية وليس الملك الذي هو مجرد رمز للأمبراطورية ليس إلا.

طلب الامام يحيى الحماية البريطانية لمضائق باب المندب

اتصل بي في عدن مساء الثامن من مايس سنة ١٩٣٩ القاضي حسين بن علي الحلالي كبير عمال قضاء الحجرية وأخبرني عن وصوله إلى عدن للبحث مع الوالي في أمر على جانب كبير من الأهمية، وطلب مني زيارته في المنزل الذي ه. زرت القاضي المذكور في الموعد المحدد فطلب مني الاتصال بدار الحكو... ب موعداً مستعجلاً لمقابلة الوالي لأنه مكلف من جلالة الإمام لإجراء محادثات هامة معه.

قمت بالاتصالات اللازمة وتحددت الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ٩ مايو موعداً لاستقبال الوالي للقاضي الحلالي الذي كان يتمتع بسمعة طيبة في الأوساط العدنية، وعلى الأخص الرسمية منها لكونه أنزه حكام الإمام وأكثرهم حكمة وروية. رافقت سيادته إلى دار الحكومة وعلى غير عادته لم يذكر لي شيئاً عن سبب هذه الزيارة المفاجئة والمهمة وطبعاً لم أسأله أنا عن فحواها مع أنه كان في زياراته السابقة والمتكررة إلى عدن يزورني في منزلي ويطلعني على كنه المهمة التي قدم من أجلها ويطلب رأيي ونصيحتي ومساعدتي.

بعد تبادل المجاملات المألوفة من سلام وترحيب أبلغ الحلالي تحيات وتمنيات جلالة الإمام يحيى بن حميد الدين الذي أوفده إلى عدن للبحث معه في أمر خطير جداً يتعلق بالكيان اليمني أولاً، وبالمصالح البريطانية في المنطقة ثانياً، وإنه على الطرفين المذكورين في هكذا حالة التعاون الجدي الصادق لدرء ما قد يتعرضان له من أخطار وتهديدات، خصوصاً وإن العالم كما يبدو على أبواب حرب عالمية ثانية. أضاف أن جلالة الإمام يخشى أن تقوم القوات الإيطالية الفاشية بغزو المناطق الساحلية الجنوبية من بلاده واحتلالها للسيطرة على مضائق باب المندب التي تتمتع بمميزات استراتيجية هامة، لكونها المدخل الجنوبي للبحر الأحمر والذي تصله بالأوقيانوس الهندي، وإن جلالته يعترف بصراحة تامة بعجز اليمن عن إجراء التحصينات اللازمة لصد هكذا هجوم إذا حصل. رجا الحلالي الوالي السر جون هاثورن هول الاتصال بحكومته لدرس إمكانية مساعدة الحكومة اليمنية لإقامة التحصينات اللازمة ووضع قوة ـ يمنية بريطانية مشتركة وتجهيزها بالمعدات الحربية الضرورية والتي لا تملك اليمن شيئاً منها.

كانت تبدو على وجه الوالي هاثورن هول خلال استماعه للقاضي الحلالي علامات الاستغراب والذهول، في الوقت الذي كنت أتلعثم في ترجمة أقوال الحلالي وكأني لا أصدق ما أسمعه وما أنقله إلى الوالي، وهكذا كان ولا شك شعور الوالي الذي صعب عليه تصديق ذلك. إذ إنه قاطعني ليتأكد من أنني أنقل إليه كلام القاضي بدقة، فنظرت إلى الحلالي وقلت له: إن الوالي يريد التأكد مما نقلته إليه عن رغبة جلالة الإمام في إشراك الحكومة البريطانية في تحصين مضائق باب المندب والدفاع عنها. ابتسم الحلالي وقال: «بكل تأكيد ـ بكل تأكيد»، وهو يهز برأسه مؤيداً قوله. كان والي عدن على حق في ما اعتراه من شكوك لدى سماعه طلب الإمام الذي منذ اعتلائه سدة الإمامة ما فتىء يلعن الاستعمار البريطاني، ويصفه بأنه العدو الأكبر لليمن بسبب احتلاله عدن في عام ١٨٣٩، ثم المناطق المجاورة وإعلان حمايته عليها والسيطرة التامة على الملاحة عبر البحر الأحمر والأوقيانوس الهندي، وهو الآن يطلب مساعدته لتحصينها وحمايتها.

لدى انتهاء الحلالي من إبلاغ الوالي رسالة جلالة الإمام الشفهية، شكر

الـوالي القاضي الحـلالي على زيارتـه ورجاه إبـلاغ جلالـة الإمام وحكـومتـه شكـر بـريطانيـا على ثقتهم الكريمـة بها وبصـداقتهـا وحسن نـواياهـا تجـاه اليمن الجـار الصديق، ووعد بإجراء الاتصالات اللازمـة مع حكـومته فيمـا يتعلق بطلب الإمـام. ودع الوالي ضيفه وطلب مني إيصاله إلى منزله ثم العودة إلى دار الحكومـة لمقابلتـه ثـانية ففعلت. طلب مني الـوالي لدى عـودتي إعـداد تقـريـر مفصـل عن اجتمـاعـه بـالقاضي الحـلالي وما دار فيـه من مطالب وأحـاديث. أعددت التقـرير وسلمتـه لـه شخصياً فألح علي بوجوب إبقاء مضمونه سراً.

كانت الساعة قد بلغت الثانية بعـد الظهـر، ورغم أنه كـان لديـه ضيوف على الغـداء فقد استبقـاني في مكتبه للتـأكـد مني عمـا إذا كـان مـا سمعـه من القـاضي الحلالي حلماً أم حقيقة. قال لي: «إن جـلالة الإمـام الذي ينفحني بمعـدل كتاب شهرياً أحياناً أكثر من كتاب متهماً الحكومة البريطانية بـالعدوان على بـلاده، إضافـة إلى تأييد الصحافة العربية لـه والنعوت غيـر المستحبة التي تنسبهـا لبريطانيا، يـرسل الآن أحد كبار معاونيه طالباً مسـاعدتنـا في تحصين مضائق بـاب المندب ومشـاركتنا الفعلية في ذلك ضـد أي هجوم فـاشي مرتقب من القـواعد الإيـطالية في الصـومال وأرتيريا والحبشة». أضاف بعد فترة صمت وتأمل «ألا تعتقد يا سيد أبو عز الدين أن القصد من هذه الزيارة وهذا الطلب هـو نوع من جس النبض حـول مدى رغبتنـا في احتلال المضائق المذكورة في هذه الظروف الفـائقة الحـرج والخطورة؟» صـارحت الوالي بأنه من الصعب الارتجال برأي ما، وإنما لا يستبعد أن يكون جـلالته قـد تبلغ إنذاراً ولو غيـر مباشـر حول إمكـانية هجـوم إيطالي فـاشي على المضائق والمنـاطق الساحلية من بـلاده أو إخطاراً من دول عـربية بـوجوب تحصين ذلـك الممر المـائي الخطير. لاحظت من مجرى كلام الوالي أنه لربما اعتقد أن الإيطاليين الفاشيين قـد اتصلوا بـالإمام عـارضين عليه المسـاعدة لتحصين مضـائق باب المنـدب خوفـاً من احتلالها من البريطانيين، مما حمله على الإسراع في طلب المسـاعدة البـريطانيـة. وممـا لا شك فيـه حسبما لمستـه من نظرة جـلالة الإمـام إلى الـدولتين البـريـطانيـة والإيـطالية بـأنه كـان يخشى ويكره الاثنتين، وإنمـا كـان يعتقـد في قـرارة نفسـه أن الاستعمار البريـطاني رغم مساوئـه وأخطاره، أخف وطـأة من الاستعمار الإيـطالي.

خصوصاً بعد أن لمس عن قرب فظائع الحكم الفاشي في الحبشة والصومال وأرتيريا وليبيا عمر المختار.

بناء على طلب القاضي الحلالي قمت بزيارته مساء واختليت به ما يزيد على الساعتين. قال لي بالحرف الواحد: «أنا أعتبرك كولدي وأقدر إخلاصك وغيرتك علينا ولذا أريد منك تقييم زيارتي الصباحية للوالي لأنني شعرت أنه لم يكن مرتاحاً لطلب جلالة الإمام ولم يظهر أي حماس لتلبية ذلك الطلب. أجبته بأنني كنت أنتظر منه أن يطلب رأيي قبل مقابلة الوالي وليس بعدها، إذا كان حقيقة يثق بي وبرأيي. قلت له: إن طلب الإمام بتحصين باب المندب على أيدي البريطانيين كان صدمة لي كعربي، وسألته إذا كان جلالة الإمام قد استشار الدول العربية الشقيقة كمصر والسعودية والعراق وغيرها، قبل الإقدام على عرض تسليم هذا الممر المائي العربي الهام إلى بريطانيا لتحصينه وحمايته. أجابني الحلالي بأنه حاشا على جلالة الإمام أن يكون قد نوى تسليم هذا الممر الاستراتيجي إلى البريطانيين أو غيرهم وإنما جل ما يطلبه هو مساعدتهم له لحمايته. قلت له لنفرض أن البريطانيين استجابوا لطلبه، فأي ضمانة لديه بأنهم سيتركونه فيما بعد وهم ما لبثوا يحلمون باحتلاله منذ مائة عام. قال إنه إذا وافقت بريطانيا على طلب جلالة الإمام فسيطلب جلالته عقد اتفاقية يتعهد البريطانيون بموجبها بترك المضائق المذكورة لدى تلقيهم إشعاراً بذلك من الإمام. أجبته إن عقد هكذا اتفاقية ممكن ولكن من يكفل بأنهم سيلبون طلب الانسحاب عندما يرتأي الإمام ذلك، خصوصاً إذا وجدوا أن انسحابهم قد يهدد سلامة طرق مواصلاتهم البحرية ومصالحهم الاقتصادية وعلى الأخص مع الهند واوستراليا والشرق الأقصى، وفي حالة رفضهم الانسحاب فهل بإمكان اليمن إخراجهم بالقوة وقد مضى على اليمنيين مائة عام وهم يطالبونهم بإعادة عدن وجنوبي اليمن المحتل إليهم.

بعد تنهد طويل وتكرار عبارة «لا حول ولا قوة إلا بالله»، شكرني القاضي على صراحتي وإخلاصي وأكد لي أنه حاول اقناع جلالة الإمام بدرس المسألة مع الدول العربية قبل مراجعة البريطانيين، وأنه لم يكن راغباً بالقيام في هكذا مهمة خطرة، وإنما اضطر لقبول ذلك بناء على إلحاح الإمام الذي كان يعتقد بأن

الإيطاليين الفاشيين سيحاولون احتلال منطقة مضائق باب المندب ولـذلك ارتـأى أن يجعـل من البريـطانيين سـداً منيعـاً في وجههم رغم كـرهـه لهم لاحتـلالهـم الجـزء الجنـوبي من بلاده بمـا فيه مينـاء عـدن، لأنـه يعتقـد أن البـريـطانيين هم بـالنسبـة للإيطاليين أهون الشرين. قلت له: إنني لا أعتقد أن بريطانيا ستقف مكتوفة الأيدي إذا حاول الإيطاليون مهاجمة باب المندب أو أي موقـع آخر في جنـوبي اليمن، لأن مصالحهم الحيوية تحتم عليهم ذلك حالياً كمـا سبق وحتمت عليهم مع الإفـرنسيين والإيـطاليين والبرتغـاليين في الماضي لضمـان إبعادهم عن هـذه المنطقـة. شكرني القاضي الحلالي على هذه الصراحة، فرجوته عـدم ذكر اسمي إذا بحث المـوضوع مع أي جهة في عدن فوعدني بذلك، وإنما ألح بوجـوب إطلاع الإمـام على موجـز آرائي فوافقت على ذلك.

بقي القـاضي الحلالي في عـدن حتى ٢٧ مايـو أي ١٩ يومـاً قـابـل خـلالهـا وبحضوري الوالي خمس مرات، وقد أقام الوالي على شرفه مـأدبة غـداء كبرى في دار الحكومة وبناء على طلبه قام بجولة جوية فوق عدن وجوارها.

قابلت الوالي ثلاث مرات خـلال زيارة الحـلالي لعدن، وفهمت منـه أنه غيـر متحمس لتـوصية الحكـومة البـريطانيـة التي رفع إليهـا عدة تقـارير عن اجتمـاعـاتـه بالحلالي لتلبيـة طلب الإمام نـظراً لما لا يـزال ينتابـه من شكوك حـول هذا الـطلب الغريب المفاجىء، ولردة الفعل التي ستجتاح ولا شك العالم العربي بـأسره إذا مـا أقدمت الحكومة البريطانية على الاستجابة لطلبه إذ لن تصدق الدول العربية وشعوبها بأن جلالة الإمام قد قدم طلبـه بمحض إرادته وسيعـزون ذلك إلى ضغط الاستعمـار البريطاني وتنفيذاً لمطامعه في المنطقة.

ففي ٢٤ مايو سنة ١٩٣٩ عقد الحلالي اجتماعه الأخير مع الوالي الذي أبلغه بأنه قد بعث بعدة تقارير إلى حكومته شرح فيها مطولاً مطالب جلالة الإمـام وأنه قـد تلقى جوابها الذي تبدي أسفها فيه لعدم تمكنها من تلبية رغبة الإمـام تجنباً للسخط الذي ستثيره في حالة تحقيقها في كافة الأوساط العربية على كلا الحكومتين البريطانية واليمنية. كرر الوالي شكره وشكر حكومته على ثقة جلالة الإمـام الغاليـة لبريـطانيا، ورجـا أن تظل العـلاقات بين بـلاده واليمن قائمـة على الود والتعـاون لما فيـه خير

البلدين. «نصح الوالي هاثورن هول الحلالي بأن يطلب اليمن مساعدة دولة إسلامية كالعراق وتركيا لتحصين مضائقه في باب المندب».

شكوى يمنية على التعديات البريطانية الى جامعة الدول العربية

في ١٨ ديسمبر/١٩٥٦ أرسلت الحكومة اليمنية تقريراً إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ضمنته شكوى ضد العدوان البريطاني المتكرر على الأراضي اليمنية. أصدرت الأمانة العامة المذكورة البيان التالي:

علمت أمانة جامعة الدول العربية ببالغ الاهتمام الهجوم الأخير الذي شنته بريطانيا على الأراضي اليمنية واستخدمت فيه الدبابات والطائرات لإلقاء القنابل على القرى، فأحدثت بذلك خسائر جسيمة بين المدنيين ومن بينهم نساء وأطفال، كما تلقت الأمانة العامة أنباء وثيقة بأن البريطانيين يحشدون قواتهم على الحدود الجنوبية لليمن استعداداً لشن هجمات جديدة، وأن العالم العربي ليؤيد شعب اليمن تأييداً كاملاً في كفاحه العادل وفي مطالبته بالقسم الجنوبي من بلاده الذي تحتله بريطانيا بغير حق وهو الطلب الذي ايدته "الشعوب الآسيوية والأفريقية في مؤتمر باندونغ.

اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بتاريخ ٧ ينابر/١٩٥٧ القرار التالي:

١ـ تستنكر اللجنة العدوان البريطاني على اليمن استنكاراً شديداً وتؤيد اليمن في كفاحها من أجل الدفاع عن سياستها ووحدتها الاقليمية.

٢ـ الاتصال بالوفود العربية في الأمم المتحدة وبالأمين العام للجامعة العربية لاتخاذ موقف موحد بالتعاون مع الوفود الأفريقية والآسيوية والحكومات الصديقة.

العلاقات اليمنية الأميركية

زيارة تشارلز موزر

كانت أول زيارة قام بها مسؤول أميركي إلى اليمن في عام ١٩١٠. عندما وصل قنصل الولايات المتحدة في عدن تشارلز موزر إلى صنعاء للتحقيق في مقتل مبشر أميركي على أيدي العثمانيين. قابله جلالة الإمام ورحب به وساعده على إتمام مهمته.

وفي عام ١٩١٩ أرسل الإمام يحيى كتاباً إلى رئيس الولايات المتحدة توماس ودرو ولسون جاء فيه: «إنني أسألك باسم الإنسانية لاستعمال نفوذك وتأييد حكومتك للاعتراف بحقوق الإمامة في اليمن وباستقلال العرب». وبعد أن أثنى على جهود الرئيس لإحلال السلام العالمي رجاه الاعتراف والتأكيد على حدود اليمن المعروفة، واستقلاله التام تحت حكم الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين، الذي حكم أسلافه اليمن باستمرار ما يقارب الألف عام.

المعروف بأن الرئيس الأميركي لم يتخذ أي إجراءات لتلبية طلب الإمام.

تشارلز كراين (١٩٢٦-١٩٢٧):

اتصل تشارلز كراين المثري الأميركي المعروف بالإمام يحيى بعد أن سمع الكثير عنه من مواطنه تشارلز موزر. نشأت صداقة متينة بين الإمام وكراين الذي اطلع الإمام على الإمكانيات المعدنية الباهرة في اليمن وعلى وجوب تحسين الزراعة والمواصلات داخل البلاد. تبرع كراين بإرسال المهندس الأميركي الشهير كارل توتشل الذي لقب «بباب التقدم الاقتصادي في الجزيرة» للقيام بالدروس اللازمة على حسابه الخاص، فرحب الإمام بهذا العرض الكريم. بين ١٩٢٧ و

١٩٣٢ زار توتشل اليمن ست مرات بصحبة معاونيه وقاموا بدراسة إمكانيات استثمار المعادن ووضعوا تخطيطات لبعض الطرقات ولإقامة مزارع نموذجية. أول إنجازات توتشل كانت إقامة جسر حديدي فوق وادي لعا كهدية من كراين لمنع السيول من قطع الطريق بين الحديدة وصنعاء.

كان حسب تقرير البعثة أكثر المشاريع إمكانية للنجاح ولزيادة الإيرادات هو استثمار الملح المعدني (الصخري) في الصليف قرب الحديدة ـ أبدى الإمام تردداً في إعطاء الامتياز إلى الأجانب، رغم يقينه أن استثمار هذا المشروع على أيادٍ وطنية أمر غير ممكن ـ هكذا باءت المساعي الأميركية لإدخال رأس المال الأميركي إلى اليمن بالفشل.

جايمس لودر بارك ١٩٢٨

زار اليمن نائب القنصل الأميركي في عدن ووجد أن التحسينات التي طرأت على البلاد منذ زيارة سلفه القنصل موزر تكاد لا تذكر، وأن الإمام أكرم وفادته. وفي العام نفسه حاولت شركة أميركية الحصول على امتياز لاستثمار الملح المعدني في الصليف شمالي الحديدة فلم يوافق الإمام على ذلك.

كارلتون كون ١٩٣٣

سمح الإمام له بزيارة اليمن وهو عالم انتروبولوجي (دراسة المجتمعات البشرية) ولم يأذن له بزيارة مأرب.

وفي مايس عام ١٩٤٤ وبعد ١٦ عاماً من زيارة وكيل القنصل الأميركي في عدن «بارك» لليمن، اتصل أحد كبار أعوان الإمام السيد حسين الكبسي بالمفوضية الأميركية في القاهرة طالباً تدخل الولايات المتحدة الأميركية في نزاع اليمن مع الحكومة البريطانية حول حدود اليمن الجنوبية، فنصحه الوزير الأميركي المفوض بالقاهرة حل تلك المشكلة بالمفاوضات الثنائية بين اليمن والحكومة البريطانية، وإنما ارتأت الحكومة الأميركية إرسال بعثة صغيرة للاطلاع على واقع الحالة والأمور في اليمن، ولذا أرسل القنصل الأميركي الجديد في عدن كتاباً إلى ولي عهد اليمن

سيف الإسلام أحمد يسأله إذا كان يستنسب وصول بعثة أميركية صغيرة لزيارة اليمن.

وفي ٣ فبراير سنة ١٩٤٥ استلم القنصل هارلان كلارك الكتاب التالي من سيف الإسلام أحمد:

«صديقنا المحبوب قنصل الولايات المتحدة

«تناولت كتاب سعادتكم ووجدناه ألطف كتاب استلمناه حتى الآن من رجل أوروبي. فعباراته ومضمونه ملأى بالتهذيب واللياقة والكياسة، ولذلك نقدرها كنموذج للتهذيب وللأدب الرفيع، كما وأننا تأكدنا أنك بعباراتك الرقيقة وتواضعك ستنجح في خدمة حكومتك وستصل إلى أرفع المراكز الرسمية قريباً وسيكون نجاحك أكثر بتقوية الصداقة الحميمة بين حكومتك الجليلة وحكومة جلالة الإمام يحيى، فأهلاً وسهلاً بك».

المعاهدات اليمنية مع الولايات المتحدة

في ٤ مايس سنة ١٩٤٦ عقدت اليمن والولايات المتحدة الأميركية اتفاقية حول التمثيل الديبلوماسي والقنصلي والحماية القانونية والتجارة والملاحة - تنص المعاهدة على «المعاملة المتبادلة لرعاياها طبقاً لمستلزمات وموجبات القانون الدولي للتنعم غير المشروط بمعاملة الدول الأكثر رعاية». لم تحدد مدة لهذه المعاهدة التي يمكن إنهاؤها بموجب إنذار يوجه قبل ثلاثين يوماً، أو بعقد معاهدة أخرى أكثر شمولاً.

تعيين ريفز تشايلدز وزيرا مفوضا للولايات المتحدة في اليمن ١٩٤٦

في سبتمبر سنة ١٩٤٦ وصل إلى صنعاء السفير تشايلدز لتقديم أوراق اعتماده كوزير مفوض لبلاده لدى المملكة المتوكلية اليمنية وبرفقته هارلان كلارك من موظفي السفارة الأميركية في جدة.

استقبله الإمام وكان مريضاً ورحب به وأقام له سيوف الإسلام مأدبة غداء حافلة في مصيف الروضة قرب صنعاء.

مفاوضات سيف الإسلام عبدالله مع الولايات المتحدة ـ مايس سنة ١٩٤٧

بدأت هذه المفاوضات بواسطة السفارة الأميركية في القاهرة ـ حول حصول اليمن على كميات من المواد الغذائية الأميركية الفائضة، وقد دعته الحكومة الأميركية لزيارة واشنطن للتفاوض فقبل الدعوة وطار مع الملحق الجوي الأميركي في القاهرة وعلى طائرته الخاصة إلى صنعاء، حيث قابل والده الإمام ثم عاد مع الملحق الجوي إلى القاهرة.

سافر سيف الإسلام عبد الله إلى الولايات المتحدة وقابل الرئيس ترومن في واشنطن، ثم قام بجولة في الولايات المتحدة، وقد طلب مساعدة الرئيس الأميركي وتأييده لطلب اليمن للانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة، وقد تم ذلك بمساعدة الدول العربية وأصبحت اليمن في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ العضو السادس والخمسين في الأمم المتحدة. وبينما كان الأمير يجري اتصالاته بالمؤسسات المالية والتجارية والصناعية لبحث احتياجات اليمن المتنوعة، جرى اغتيال الإمام يحيى في ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨.

القنصل الأميركي هارلن كلارك
والطبيب القومندان بالمر

في عدن ـ ابريل سنة ١٩٤٦ زار القنصل كلارك والقومندان الطبيب بالمر اليمن ابتداء من تعز حيث قابل سمو ولي العهد سيف الإسلام أحمد، ثم زبيد فبيت الفقيه فالحديدة، ثم باجل ثم معبر فصنعاء، وكانوا محل الترحيب وقد قام الطبيب بالمر بمعالجة المرضى في الطريق.

قابل الإمام القنصل ورفيقه وكرر طلبه بوجوب اعتراف الولايات المتحدة باليمن وبمساعدته في المشاريع العمرانية التي يزمع القيام بها. عاد القنصل إلى عدن ونقل إلى حكومته ما سمعه من الإمام ـ ولما كانت حكومة الولايات المتحدة قد شرعت بإدخال تعديلات جذرية على سياستها في الجزيرة العربية بعد أن أصبح لها مصالح مباشرة في المنطقة، قررت إرسال بعثة رسمية يرأسها مبعوث فوق العادة

ووزير مفوض يمثل رئيس الولايات المتحدة إلى صنعاء برئاسة الكولونيل وليم أدي الوزير الأميركي المفوض في جدة، ومن أعضائها ريشارد سانغر من وزارة الخارجية وهارلن كلارك القنصل الأميركي في عدن.

في ٨ أبريل سنة ١٩٤٦ رست المدمرة الأميركية التي أقلت البعثة في ميناء الحديدة وحيت المدينة بـ ٢١ طلقة من مدافعها، فاستقبلها الممثل الشخصي للإمام مرحباً بقدومها. أخذت التحية الرسمية للضيوف وأنزلوا في دار الضيافة ثم زاروا مقر أمير اللواء.

غادرت البعثة الحديدة إلى ميناء باجل فمدينة العبيد فحمام علي فمعبر فصنعاء، حيث تقدمتهم فرسان الخيالة والهجانة، وأخذت لهم التحية فرقة من الجيش المتوكلي بموسيقاها، وحلوا ضيوفاً مكرمين في دار الضيافة حيث مكثوا ثلاثة أسابيع وزاروا قصور الإمام داخل وخارج صنعاء.

القصد من زيارة بعثة ادي

كانت بعثة الكولونيل ادي تهدف إلى أمرين:

١ـ الاعتراف بمملكة اليمن.

٢ـ عقد اتفاقية صداقة وتجارة تفتح الأبواب لعلاقات تجارية أوثق.

فالاعتراف بمملكة اليمن، تم عندما أطلقت المدمرة التي نقلت الوفد لدى وصولها إلى ميناء الحديدة ٢١ طلقة تحية لليمن.

بدأت المفاوضات لعقد اتفاقية الصداقة والتجارة في ١٤ أبريل سنة ١٩٤٦ عندما أبلغت البعثة بأن الإمام سيستقبلها في ذلك اليوم ـ بالفعل توجهت البعثة في سيارتين تحيط بها ثلة من الفرسان، ووسط جماهير غفيرة اجتمعت لمشاهدة الموكب، وعلى مدخل قصر الشكر قابل البعثة القاضي محمد راغب بك وزير الخارجية ورافقها إلى قاعة العرش، وبعد هنيهة دخل الإمام القاعة وحيا زائريه.

سأل الإمام الكولونيل إدي عن سفرته وعن إقامتهم في دار الضيافة، فأجابه الكولونيل بأن السفرة كانت سهلة والإقامة في دار الضيافة مريحة، وشكر الإمام

على حسن ضيافته. سأله إدي عن صحته، فأجابه بأنه قد استشار عدة أطباء أجانب وأنه لم يلمس أي فائدة سوى من الدكتور بالمر الذي سبق ورافق القنصل كلارك إلى صنعاء، ومن الدكتور هدلي الطبيب الأميركي المرافق لإدي.

حدثهم الإمام عن علاقاته الخارجية المحدود فقال إنه منذ الحرب العالمية الأولى كانت علاقاته الخارجية الرئيسية مع إيطاليا التي برهنت عن عدائها له مؤخراً وإن هتلر قد حاول اجتذابه إليه فأرسل له الهدايا، وإنه رفض التعامل مع هذا الرجل. أضاف إنه سعيد الآن للتعامل مع الأميركيين الذين سبق له وأجرى عدة اتصالات معهم وعلى الأخص الرجل الكريم كراين ومهندسه النشيط توتشل.

عندئذ سلم الكولونيل إدي الإمام كتاباً من الرئيس ترومن الذي يعترف فيه باستقلال مملكة اليمن العام مع صورة ممضية للرئيس الأميركي. ثم أبدى إدي رغبة الولايات المتحدة الأميركية في عقد اتفاقية صداقة وتجارة مع اليمن على نمط الاتفاقيات المماثلة للولايات المتحدة مع أكثر من ستين دولة في العالم، أظهر الإمام رغبة في عقد هكذا معاهدة وعين وزير خارجيته راغب بك وأحد كبار موظفي المقام الشريف القاضي عبد الكريم المطهر كوفد مفاوض عن اليمن.

استمرت المفاوضات بانتظام مدة أسبوعين، ووضع الوفدان مسودة الاتفاقية بعد أن راجع الوفد الأميركي حكومته حول بعض التعديلات المقترحة، وإنما حصل بعد سبعة عشر يوماً من المفاوضة والاتفاق على معظم مواد المعاهدة ما لم يكن في الحسبان، مما هدد بانقطاع وفشل المفاوضات، وذلك بعد سحب راغب بك ومساعده القاضي عبد الكريم المطهر من المفاوضة وإحلال سيف الإسلام الحسين مكانهما. لهذا بدأت المفاوضات من جديد، فأبدى سيف الإسلام الحسين اعتراضه على أكثر البنود التي عدلت بموافقة الطرفين. بقيت نقطة هامة واحدة لم يكن بالإمكان الاتفاق عليها. فلقد ألح الوفد الأميركي بأن تتضمن الاتفاقية العبارة التالية: «رعايا جلالة ملك اليمن في الولايات المتحدة ومواطني الولايات المتحدة الأميركية في مملكة اليمن ـ سيقابلان ويعاملان طبقاً لمضمون وأحكام القانون الدولي المعترف به دولياً» ـ فبدون هذه العبارة يصبح مواطنو الولايات المتحدة

الأميركية في اليمن عرضة لدخول السجون دون مبررات قانونية والبقاء فيها لمدة غير محددة، إضافة إلى التعرض لأحكام وعقوبات تنص عليها الشريعة الإسلامية. فلقد أصر الحسين على وجوب اعتماد القوانين اليمانية في اليمن. وأضاف أن الاعتراف بفعالية القوانين الغربية في اليمن ستكون الخطوة الأولى لزوال الأحكام الدينية والاجتماعية الخاصة ببلاده. لم يكن بالإمكان التغلب على هذه العقبة رغم المحاولات العديدة من قبل الوفد الأميركي، مما حمل الكولونيل إدي على الكتابة للإمام وإعلامه عن فشل المفاوضات ورجاه تعيين موعد آخر ليقوم الوفد الأميركي بواجب وداعه.

في صباح ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٦ قابلت البعثة الأميركية جلالة الإمام الذي تساءل عن أسباب عرقلة المفاوضات، فأجابه الكولونيل إدي بأنه قد شرح لجلالته الأسباب في كتاب أرسله إليه قبل يومين، فأجاب الإمام أنه لم يستلم هذا الكتاب وطلب من ابنه سيف الإسلام القاسم البحث عنه وإحضاره إليه فوراً. وهكذا كان. وقد تبين أن سيف الإسلام الحسين كان قد أمر رجاله بمصادرة جميع الرسائل المتبادلة بين الوفد ووزارة الخارجية والمقام الشريف. عندما اطلع الإمام على الكتاب المذكور قال: إنه بالإمكان التغلب على الصعوبات القائمة، ورجا الكولونيل إدي تأجيل سفره والاجتماع بالقاضي راغب الذي أعيد ليتولى المفاوضة والتفاهم معه على ما يجب عمله لإنقاذ ولإنجاح المفاوضات.

عندئذ حصل ما أذهل الحاضرين: تقدم القاضي راغب من كرسي العرش وانتصب أمام جلالة الإمام وخاطبه بلهجة ملؤها التأثر والانفعال قائلاً: إنه سبق وخدم جلالة الإمام بإخلاص مدة ٣١ عاماً، أكثرها كانت على رأس وزارة الخارجية، وإنه نجح في قيادة دفة السياسة الخارجية والعلاقات الدولية لليمن في ظروف حرجة وصعبة. أضاف إنه الآن أصبح هرماً وإنه سيموت عما قريب، وإنما يرجو أن يتأكد قبل وفاته بأن سياسة اليمن الخارجية ستسير في الطريق المستقيم وفي الاتجاه الحكيم.

ردد القاضي راغب على مسامع الإمام والوفد الأميركي، أن القرن العشرين مليء بالمشاكل الدولية وبالمنازعات بين الدول الكبرى. فالآن بعد خسارة ألمانيا

وإيطاليا واليابان للحرب بقيت بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة كدول عظمى جبارة، وهكذا على الدول الصغيرة إذا أرادت الحياة أن تحالف إحدى هذه الدول. وكما يعلم المسلمون فالروس يستهينون بالدين ويعاملون الدول الصغيرة بصلافة وقساوة، وهكذا يستحيل التحالف معهم. أما بريطانيا فهي قوية وإنما مع الأسف لم تتمكن اليمن من الاتفاق معها على حدود اليمن الجنوبية. وهكذا لم يبق أمام اليمن سوى صداقة الولايات المتحدة التي لا أهداف استعمارية لها، وأن اتصالات اليمن مع بعض الشخصيات الأميركية كانت ودية ومشجعة، وقد سبق وأهدى المستر كراين جسراً حديدياً لليمن. والآن فالولايات المتحدة راغبة في عقد معاهدة صداقة وتجارة مع اليمن يرجو أن يتوج بها راغب حياته الدبلوماسية. فهذا لا يعني تسليم اليمن للولايات المتحدة وإنما القصد كسب اليمن صديقاً وفياً تتعامل معه في المستقبل، وأضاف والدموع في عينيه: «بيما كنت على وشك عقد هذه الاتفاقية الدولية الرائعة أوقفت عن العمل وطردت في قصركم كما تطرد الكلاب، وأخذ مكاني في المفاوضات ولدكم العديم الخبرة والحنكة فرمى بالمعاهدة الرائعة التي أنجزتها على بلاط دار الضيافة فتحطمت وتناثرت أجزاؤها وتوقفت المفاوضات. والآن عندما اتضح أنه يلزم عمل شيء لانقاذ الموقف تستدعوني ثانية للقيام بعمل الزبال لجمع ولمّ القطع المحطمة والمندثرة وإعادة بنائها بعد أن قام ابنكم بتحطيمها. إنني لا أقبل أن أعامل كعبد للقصر، وإنني أستقيل من منصب وزير خارجية جلالتكم ولا يمكنني البقاء في اليمن بعد الآن، وأطلب إذنكم للعودة إلى بلادي الأصلية تركيا لأموت فيها»(١).

لما أنهى راغب بك كلمته المؤثرة، نظر إليه الإمام بعطف وحنان «لا تضطرب يا راغب بك. سيكون كل شيء على ما يرام، استرح وستشعر بتحسن حالتك حالاً.

نظر الإمام إلى الكولونيل إدي وسأله إذا كان يرغب في الاستمرار في المفاوضات فأجابه الكولونيل، أنه سيعود مع رفاقه إلى دار الضيافة حيث ينتظرون لمدة ساعة، وإذا كان لديكم أي رسالة لي أو إلى حكومتي فإنني سأستلمها هناك.

---

(١) انظر: الصفحات ٢٦٧ ـ ٢٧١ من كتاب «شبه الجزيرة العربية» لمؤلفه ريتشارد سانجر

كرر الإمام طلبه لراغب بك لكي يتولى المفاوضات ثانية، وأجاب مذكراً إياه بأنه لم يعد وزير خارجيته، فلم يجد الإمام بداً من تسمية القاضي عبد الكريم المطهر للقيام بهذه المهمة، ثم انصرف الكولونيل إدي ورفاقه إلى دار الضيافة بعد أن ودعهم الإمام بحرارة وتمنى لهم عوداً سعيداً إلى بلادهم.

رغم استمرار الحسين في معارضته فقد وافق الإمام على النص الأميركي للعبارة المختلف عليها، وأمر القاضي المطهر بإمضاء المعاهدة والموافقة على العبارة «موجبات وأحكام القانون الدولي المعترف به عالمياً». ثم أمضى القاضي المطهر والكولونيل إدي معاهدة التجارة والصداقة بين الولايات المتحدة الأميركية ومملكة اليمن وغادر إدي صنعاء بالسيارة إلى الحديدة ومنها بالمركب البخاري إلى جزيرة قمران، حيث استقل الطائرة إلى جدة وغادر رفاقه في اليوم التالي إلى الحديدة براً، وبقي اثنان من أفراد البعثة لتدريب اليمنيين على استعمال جهاز اللاسلكي الذي تركته البعثة الأميركية كهدية لحكومة اليمن.

المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الدولة اليمنية وبعض الدول العربية والأجنبية

١- مع مملكة هولندا ـ معاهدة صداقة وتجارة بتاريخ مارس سنة ١٩٣٣ .
٢- مع المملكة العربية السعودية ـ معاهدة الطائف بتاريخ صفر ١٣٥٣- سنة ١٩٣٤ .
٣- مع بريطانيا العظمى ـ حول نزاعات الحدود بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ .
٤- مع أثيوبيا ـ صداقة وتجارة بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٥ .
٥- مع فرنسا ـ صداقة وتجارة بتاريخ أبريل سنة ١٩٣٦ .
٦- مع بلجيكا ـ صداقة وتجارة بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ .
٧- مع إيطاليا ـ تجديد معاهدة سابقة ـ صداقه وتجارة بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ .
٨ - مع مصر ـ صداقة ومودة بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥ .
٩- الولايات المتحدة الأميركية ـ اعتراف باليمن وصداقة بتاريخ ٤ مايس سنة ١٩٤٦ .
١٠- اتفاقية مع بريطانيا حول منازعات الحدود (موقت) بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٥١
١١- معاهدة مع الاتحاد السوفياتي ـ صداقة وتجارة مجددة بتاريخ ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٥ .
١١- حلف جدة الثلاثي الدفاعي بتاريخ ٢١ أبريل سنة ١٩٥٦ .
١٣- ميثاق الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٥٨ .
١٤- قرار حل الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٦١
١٥- اتفاقية الدفاع المشترك مع الجمهورية العربية المتحدة تاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٢ .

- ☐ الوحدة اليمنية
- ☐ موقف المملكة المتوكلية من النواحي الجنوبية المحتلة
- ☐ تصرفات جائرة من بعض حكام الأئمة في الامارات الجنوبية المحتلة

الوحدة اليمنية

لقد أكدت لي الأعوام العديدة التي أمضيتها في خدمة اليمنين الشمالي تحت حكم الأئمة والجنوبي تحت الإدارة الفعلية للسلطات البريطانية المحتلة ضرورة لا بل حتمية إعادة توحيد الشطرين اليمنيين نظراً لكونهما بلداً واحداً تاريخياً وجغرافياً وعرقياً واقتصادياً واسراتيجياً. فاليمن كان موحداً حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت أصابع الدول البحرية الكبرى بالامتداد باتجاهه بغية احتلال موانئه الرئيسية والجنوبية منها على الأخص لاستغلالها اقتصادياً واستراتيجياً(١).

جرى ذلك في زمن كان ائمة اليمن وحكامه في صراع مستمر مع الجيوش المصرية والعثمانية الغازية أي في أبان حكم الأئمة المنصور علي بن عباس والمهدي عبد الله بن أحمد بن علي والهادي أحمد بن علي السراجي الذي في عهده دخل البريطانيون عدن واحتلوها مع ما جاورها من أماكن ومواقع استراتيجية

---

(١) يمكن الاطلاع على تفاصيل تلك الاحتلالات في كتاب «الامارات اليمنية» لمؤلفه نجيب أبو عزالدين.

ثم تابعوا احتلالاتهم في عهد كل من الإمام المنصور بن عبد الله المهدي والناصر عبد الله بن الحسن وأحمد بن العباس والحسين بن علي المؤيد جبريل والهادي محمد بن أحمد والمتوكل محمد بن علي بن يحيى ثم المتوكل الحسن بن أحمد الشهاري الذي دخل العثمانيون اليمن ثانية في عهده عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٧٥ ميلادياً ثم الهادي شرف الدين بن محمد والمنصور محمد بن يحيى والمتوكل يحيى بن محمد حميد الدين حتى عام ١٩٤٨ ميلادي. وهكذا برهن البريطانيون عن مهارتهم في اغتنام فرص مصائب ومحن اليمن واستغلالها لصالحهم.

كنت خلال هذه السنوات ١٩٣٦ - ١٩٥٦ أسعى للحصول على معلومات إضافية تاريخية واجتماعية عن العلاقات لا بل أواصر القربى بين بعض القبائل اليمنية الجنوبية وما جاورها من سكان وقبائل المناطق الشمالية فاتضح لي أن بعضهم كان يحمل الاسم نفسه ويعترف بأن أصلهم ونسبهم كان واحداً قبل الاحتلال البريطاني لمناطقهم. وتشتيتهم. فلقد كان يقال لي خلال تجوالي في بعض المناطق والقرى الجنوبية أن منازل عدد من مشائخهم «عقّالهم» كانت تعرف «ببيوت الإمام» والمقصود من ذلك طبعاً هو مقر عمّال وحكام الإمام.

إن السفير والشاعر اليمني المبدع السيد أحمد بن محمد الشامي هو من مواليد إمارة الضالع عام ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤ ميلادي وهذا ما يذكره السيد أحمد في كتابه القيّم «رياح التغيير في اليمن»:

«ولدت في مدينة الضالع التي هي اليوم إحدى محافظات جمهورية جنوب اليمن. وكان والدي السيد محمد بن محمد بن أحمد الشامي رحمه الله «عاملاً عليها» من قبل الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين رحمه الله قبل أن تنشب الحرب بين بريطانيا واليمن على الحدود اليمنية الشمالية سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨ م والتي اسفرت عن دخول الضالع وما صاقبها تحت الحماية البريطانية.

«والعامل» في اليمن يحمل نفس المعنى الذي كان يعرف ويستعمل أيام الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعدهم وهو يعني «الوالي» أو «المحافظ» بالاصطلاح المعاصر. وكان والدي قد استولى على «الضالع» وما صاقبها بعد انتهاء

الحرب العالمية الأولى حوالي سنة ١٩١٩/١٣٣٨ هـ فقد كانت هذه المنطقة كسائر المناطق الجنوبية (ما عدا مستعمرة عدن حينذاك) تحت سيطرة الحكم العثماني، فلما تمزقت الامبراطورية العثمانية كان من مشاريع الإمام يحيى توحيد اليمن كلها، فأرسل والدي بحامية يمنية كقائد لهذه المنطقة وفيها ولدت ونشأت حتى بلغت الخامسة. ففي مطلع سنة ١٣٤٧ هـ/١٩٢٨ م وخوفاً من قنابل الطائرات البريطانية نزحنا من الضالع إلى صنعاء... والواقع أن هذه الحرب التي يسميها اليمنيون حرب الطائرات، وأسبابها ونتائجها وانهزام والدي وخسران الضالع «مسقط رأسي» ودخولها تحت الحماية البريطانية بين سلطانها و«الوالي الانكليزي» في عدن والملامسات التي صاحبت ذلك كانت السبب في وفاة والدي حزيناً كئيباً في نفس العام ولو ترك له فرصة العمل بالطريقة التي كان يفضلها ويراها لما انهزم ولا دخلت الضالع تحت الحماية البريطانية».

كما وإنني حاولت جهدي خلال عملي في تلك النواحي المحتلة تقريب رؤساء ومشائخ النواحي الجنوبية من الإمام وأقطاب حكمه فالحيت على عدد منهم لزيارة جلالة الإمام في صنعاء وولي عهده الأمير سيف الإسلام أحمد في تعز وأمراء وحكام وعمّال المناطق اليمنية الشمالية المجاورة لهم. لبى بعض هؤلاء الرؤساء طلبي وإنما عاد أكثرهم يشكون ما لاقوه من صعوبات قبل السماح لهم بمقابلة المسؤولين وبعد دفع الرشوات لرجال الحرس.

لقد شكى أكثرهم أيضاً من عدم اهتمام السلطات المسؤولة بطلباتهم وكانوا يعودون إلى بلادهم حانقين وناقمين ويلومـوني على تشجيعي لهم للقيام بتلك الزيارات الفاشلة. كما أكد لي بعضهم بأنهم لم يلقوا سوى الاهانات بسبب كونهم تحت الحماية البريطانية ووصفهم بأنهم عملاء وأعوان الكفار. وهكذا كانت نتائج تلك الزيارات عكس ما توخيت إذ جعلت هؤلاء الرؤساء يتمسكون بالحكم البريطاني أكثر من ذي قبل.

زار سمو الأمير سيف الإسلام أحمد ولي العهد وأمير لوائي الحديدة وتعز عدن خلال شهري أيار وحزيران (يونيو ويوليو) من عام ١٩٤٦ وقبل ثلاثة شهور من

تقديم استقالتي إلى الإدارة العدنية وعودتي إلى وطني لبنان بداعي المرض وعدم الانصاف. اسندت إلي أنئذٍ السلطات مهمة ملازمة الامير الضيف والاهتمام بتوفير أسباب الراحة له ولحاشيته والإشراف على ترتيب مواعيد استقباله للوفود التي ستحضر للاحتفاء به وللاتصال بالدوائر الصحية لتحديد مواعيد لاجراء الفحوصات الطبية لسمو ولي العهد الذي علل سبب قدومه إلى عدن للاستشفاء مما يعاني منه من أمراض.

اتضح فيما بعد أن القصد الأول من تلك الزيارة لم تكن للاستفشاء وإنما لوضع حد لدعايات ونشاطات الأحرار اليمنيين بقيادة الزعيمين الخطيرين الاستاذ أحمد محمد نعمان والشاعر المجيد محمد محمود الزبيري في عدن. حاول الأمير أحمد الاتصال بالزعيمين المذكورين للاتفاق معهما حسب زعمه على ما يصلح لتقدم البلاد والعباد مؤكداً إصرار عفوه عنهما وملحاً عليهما للعودة معه إلى اليمن. رفض الزعيمان اليمنيان هذا العرض المشبوه مما نتج عنه محاولة اغتيالهما التي فشلت ولله الحمد واحدثت ضجة كبرى وإستياء عام لدى السلطات الحاكمة وعلى الأخص لدى عامة العدنيين المناصرين لحركة الأحرار. لقد أوردت تفاصيل ذلك الحادث المؤسف في فصل سابق خاص.

خلال هذه الزيارة الفاشلة نصحت كافة الرؤساء الجنوبيين الموجودين في عدن زيارة ولي العهد للتعرف عليه ومؤانسته مما قد يكون مفيداً لمستقبل العلاقات بين شطري اليمن فامتثل عدد منهم لنصيحتي وزاروا الأمير في مقره في قصر سلطان لحج عبد الكريم بن فضل بن علي العبدلي فعادوا كغيرهم يشكون من صلف استقبال رجال عكفة الامير لهم. كان ذلك بالإضافة إلى محاولة اغتيال الزعيمين النعمان والزبيدي مما زاد في حذرهم من إجراء أي تقرب مع الحكومة اليمنية إذ ذاك.

أما أنا كما سبق وذكرت فقمت بتقديم استقالتي بعد أيام قلائل من عودة الأمير إلى تعز بداعي المرض والإرهاق وبناء على نصيحة سيادة القاضي الحلالي

الذي كان انئذٍ اليد اليمنى لـولي العهد الـذي بلغه من بعض المصـادر المحلية عن

حثي لبعض الـرؤساء لـزيارة ولي العهـد قد بلغت السلطات البـريـطانيـة بـواسـطة مخابراتها التي قد تذكر في اتخاذ اجراءات ضدي وأنه من الأفضل الإسراع بمغادرة عدن ومرافقتهم إلى اليمن حيث يرغب سمو الأمير أحمد إسناد مركز مرموق لي في حكومته ـ شكرت القاضي الحلالي على عاطفته الكريمة نحوي وافهمته أن ظروفي العائلية والصحية تستوجب سرعة عودتي إلى لبنان.

حصل ذلك في منتصف عام ١٩٤٦ عندما كانت أكثرية الامـارات الجنوبيـة تشكـو من مظالم وتجـاوزات الحكم الامامي اضـافة إلى الضغـوط البريـطانية على الرؤساء الجنوبيين المرتبطين منذ عهد أجدادهم بمعاهدات الحماية البريطانيـة التي تمنعهم من أي اتصال خارجي حتى مع الجزء الشمالي من بلدهم اليمن والذين لم يجرأوا على إظهار أي تقرب أوصله مع أهلهم في الشمال.

زرت القاهرة في شهر يناير سنة ١٩٥٩ حيث سعدت بلقاء اصدقائي اليمنيين القـدامى الشماليين منهم والجنـوبيين وفي طليعتهم الاستـاذ أحمـد محمـد نعمـان والقاضي محمد محمود الزبيدي والسلطان علي عبد الكريم العبدلي والسيد محمد علي الجفـري والمحامي السيـد شيخان الحبشي والشيـخ قحطان الشعبي والشيـخ محمد بوبكر العولقي والسيد بافقيه وجميعهم من المبعدين عن شطري اليمن لقد كان الموضـوع الرئيسي الـذي خضناه معـاً إذ ذاك هو ضـرورة وحتمية الـوحدة بين شطري اليمن رغم العراقيل الامامية والبريطانية انئـذ وعلى أمل قـرب زوال الحكم الدكتاتوري في شمالي وجنوبي اليمن. كلفني الحاضرون خلال حفلة اقـاموهـا على شـرفي بوضـع مسودة اتفـاقية وحـدوية للعمـل بموجبهـا والسعي لتحقيقهـا ففعلت وسلّمت نسخة منها إلى السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج ونسخة أخـرى إلى القاضي الزبيدي والاستاذ أحمد محمد نعمان واستمرت المراسلات فيما بيننا حتى عام ١٩٦٢ عندما استلمت الرسالة التالية من الصديق الزبيدي يشكرني على مسودة مشروعي الوحدوي وعلى إخلاصي لليمن.

بسم الله

سيادة الأخ الكريم نجيب أبو عز الدين حياكم الله

تحية اعجاب وتقدير

وبعد فقد تسلمت رسالتك الكريمة بتاريخ ١ اكتوبر سنة ١٩٦٤ وتأملت كل ما جاء فيها واشكر تهنئتك اللطيفة وشعورك العظيم والله المسؤول ان يوفق الجميع الى ما فيه خير الأمة وسعادة الوطن وحيى الله الأحرار وقادة الثورة الأبطال الذين قاموا بالجهود وهم الجبار في هدم معاهد الظلم ولا ننسى ايام الماضي التي عشناها مراحل واعوام في الجهاد المرير حول ما فيه رفع معالم الدين والحرية الذي حقق الأمل لكل مواطن عربي كريم مؤمن بقوميته ووطنيته

اني لاقدر شعورك الفياض حول كل ما شرحتموه من الاجتماع في القاهرة مع رابطة ابناء الجنوب وما تداولت به الآراء من الأحاديث الشيقة حول تحرير الوطن السعيد وانقاذه من ورطة الجهالة الى النور وما سبق لكم من الاجتماع بالأخ السيد الجابتي رعاكم ارجو اعفوك عن الاختصار لانشغال بمهام الأعمال التي تتطلب اليها البلاد من الترتيب والتحسين من كل الوجوه كما لا يخفى وفي اول فرصة سيكون للانسان لقاء رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقائد القوات المسلحة الزعيم العظيم والابلاغ بما اوضحتم عما تعرفه عنك

اخيرا انقلوا تحياتي الحارة مع الاحترام.

وزير المعارف

محمد محمود الزبيري

تا ٩/ ٨/ ٨٤

أخي الصديق الحميم لا بد من لقاء قريب
لننا نتطلع الى المخلصين الأوفياء ان يقفوا
[illegible] الكتلة [illegible] الخيرة [illegible]
[illegible] في سبيل [illegible]
[illegible]

بيان الرئيس العطاس حول الوحدة

بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٨٨ نشرت الصحافة اللبنانية بياناً وزعته سفارة اليمن الجنوبية في بيروت عن تصريح لسيادة الرئيس حيدر أبو بكر العطاس حول موضوع الوحدة بين شطري اليمن جاء فيه:

«إننا نعتز بمسيرة العمل الوحدوي التي تم انجازها حتى الآن وبالعلاقات الأخوية الرفيعة المستوى بين قيادتي الشطرين وإننا نحرص كل الحرص على تطويرها بما يخدم الهدف المشترك وإخلاصنا لقضية الشعب، قضية الوحدة اليمنية. وعلى هذا الطريق نؤمن إيماناً عميقاً بأنه لا يمكن أن توجد قضية أياً كانت بين قيادتي الشطرين لا يمكن التشاور فيها وحلها إذا ما صدقت النيات وتعززت الثقة وظل الهدف الكبير واضحاً أمامنا ، وإننا نؤكد في هذه المناسبة عزمنا على مواصلة الجهود الصادقة في سبيل استعادة الوحدة اليمنية عن طريق الحوار السلمي والديمقراطي مع أشقائنا في الشطر الشمالي من الوطن وتطوير كل منجزات العمل الوطني الوحدوي».

لا شك أن هكذا بيان وحدوي يثلج صدر كل مواطن عربي مخلص لوطنه وعروبته كما وأنه بتاريخ ٢١ يونيو/١٩٨٨ تم في صنعاء بتاريخ ٤ مايس/١٩٨٨ التوقيع من سيادة الرئيس العقيد علي عبد الله صالح والأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني العدني سيادة الأستاذ علي سالم البيض على اتفاقين هامين حول مشروع مشترك للاستثمار النفطي وعلى اتخاذ الإجراءات والخطوات الوحدوية بين البلدين.

والآن وأنا على وشك دفع مذكراتي اليمنية هذه وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٨٩ يسرني كما يسر كل عربي أن أطالع في الصحف عن توصل الأقطاب السياسيين اليمنيين الشماليين والجنوبيين إلى إتفاق مجيد حول اقامة لا بل إعادة الوحدة بينهما حسبما تقتضي العوامل التاريخية والجغرافية والعراقية والاقتصادية وجعل صنعاء عاصمة الدولة اليمنية الموحدة. كما يثلج صدر كل عربي معرفة ما سبق واتخذه القطران الشقيقان من تشريعات واجراءات ديمقراطية لضمان العدالة الاجتماعية والمساواة بين كافة طبقات الشعب اليمني والقضاء على كافة الميزات

التي كان يتمتع بها البعض سابقاً. لقد أصبح باب الديمقراطية الحقة مفتوحاً أمام إقامة الأحزاب وضمان الحريات على أنواعها ولا شك أن مجرد رؤية الرئيس العقيد علي عبد الله صالح واقفاً بين صفوف مواطنيه منتظراً دوره للادلاء بصوته في إحدى عمليات الاقتراع كأي مواطن آخر ودونما احاطته بسور من الحرس أو العكفة لمما يدعو إلى الاعجاب وإلى الدعاء بدوام وازدياد هذه النعم وبالشكر تدوم النعم. الأمل أن تستعيد الديار اليمنية لقبها التاريخي السابق «العربية السعيدة» قريباً!

موقف المملكة المتوكلية من النواحي الجنوبية المحتلة

أعتقد أن ما ورد في كتاب الصديق الكريم الرئيس قحطان محمد الشعبي الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن ـ عدن والإمارات» صفحات ١٩٢ ـ ١٩٤ هو أدق وأصدق وصف لموقف حكومة المملكة المتوكلية اليمنية من جنوبها المحتل. قال الرئيس قحطان:

«إن موقف الحكومة المتوكلية اليمنية من قضية الجنوب كان من البداية موقف العاجز الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً على وجه الإطلاق. فالنظام البدائي الفوضوي الرجعي في المملكة لا يستطيع أن يرتفع إلى مستوى الأحداث في الجنوب، ولا يستطيع أن يخطط لأي عمل ثوروي تحرري في المنطقة، ولا يستطيع أن يقدم أي مساعدات منتظمة مجدية للحركة القومية التحررية، ولا يستطيع بطبيعة الحال أن يواجه الاستعمار وقواته في الجنوب وجهاً لوجه بجيش لا يملك من مقومات الجيش إلا اسم الجيش الذي أطلق عليه تجاوزاً. فالجيش اليمني ليس سوى مجموعة من المرتزقة غير مدرب وغير منظم وغير موحد أسلحته، بل وليس له حتى «زي رسمي» وأنظمته هي نفس الأنظمة القبلية فلا روح عسكرية ولا نظام ولا انضباط، وسلاحه لا يتعدى البندقية وهو نفس سلاح القبيلي، ومسؤولياته تنحصر في قمع الانتفاضات الإصلاحية في المملكة المتوكلية اليمنية وجمع الضرائب والإتاوات وانتزاع لقمة العيش من فم المواطن لتقسم على طغمة خاصة ممن

يسمون بموظفي الدولة ابتداء من المشائخ وكتاب الجمارك والعمال والحكام والقضاة إلى موظفي الدائرة الإمامية وإلى مستشاري الإمام وإلى ما يسمى بالوزراء ثم إلى الخزائن الإمامية. . كل منها يأخذ حصته التي تنهب وتسلب من المواطنين باسم الدولة وباسم الضرائب وباسم الغرامات. وأفظع من هذا كله تسلب أموال المواطنين في شكل الرشوة المتفشية بين كافة الموظفين صغيرهم وكبيرهم. . فلا مصلحة تقضى لمواطن بدون أن يدفع رشوة، ولا يستطيع المواطن أن يؤمن نفسه من أي موظف حكومي وتعسفه ما لم يدفع رشوة مقابل ذلك. ولهذا نجد الموظف في الحكومة المتوكلية اليمنية الذي يتقاضى خمسين ريالاً في الشهر يصرف على معيشته ورفاهيته ما لا يقل عن خمسمائة ريال شهرياً. فمن أين له هذا؟ والعامل الحاكم الذي يتقاضى مرتباً شهرياً قدره مائتي ريال يصرف على معيشته ورفاهيته أكثر من ألفي ريال في الشهر ويشترى الأراضي ويبني المنازل، وموظفي الجمارك والقضاة والحكام «العمال» أصبحوا من أصحاب الثروات الطائلة جمعوها من الرشوة بل ومن اختلاس أموال الدولة نفسها».

إذن من الواضح أن حكومة المملكة المتوكلية اليمنية وهي على هذا المنوال من الأوضاع الفاسدة المفككة المهلهلة عاجزة تماماً أن تقوم بأي دور إيجابي تجاه قضية تحرير الجنوب. . . وقد تقوم بين وقت وآخر ببعض المناوشات البسيطة المرتجلة على ما يسمى بالحدود كمجرد رد فعل لتنفيذ عمل من أعمال الاستعمار أو مشروع من مشاريعه في المنطقة، ولكن سرعان ما يستعرض الاستعمار عضلاته فيقصف بعض مدن المملكة المتوكلية اليمنية نفسها بالمدفعية والطائرات، كما حدث لمدينة البيضاء وحريب، وبالتالي يدخل الرعب في قلب الإمام والطغمة الحاكمة ويعودون إلى تجميد الطغمة من جديد .

أما الإمام يحيى فيحكم المملكة المتوكلية اليمنية بمفرده وإرادته، فلا وزارات ولا إدارات ولا مجالس دستورية ولا نظام حكم. لا حكومة ولا دولة بالمعنى الصحيح، بل نظام عشائري بحت يقاوم كل خطوة لتطوير البلاد وتحقيق العدالة الاجتماعية ويطلق يد أفراد الجيش في إذلال المواطنين واستغلالهم وإرهابهم ونهب ما في منازلهم إلخ». .

تصرفات جائرة من بعض حكام الأئمة
في الإمارات الجنوبية المحتلة

لن أحاول سرد كل المصاعب وعدم التعاون الذي لقيته من حكام اليمن في المناطق المحمية المجاورة لهم وإنما سأقتصر على ذكر بعضها علّي أصور للقارىء العقلية الغريبة والوسائل المقلوبة التي كان يتبعها الحكام الذين بدلاً من اجتذاب القبائل المحمية إليهم كانوا يبعدونهم عنهم وعن اليمن الأم نتيجة للظلم والابتزاز وسوء المعاملة.

في عام ١٩٤٠ قام فريق من قبيلة الحميدة اليمنية المجاورة لمنطقة الصبيحة بغزو تلك المنطقة والاستيلاء على ما يقارب الثلاثين رأساً من الأغنام والماعز التي ساقوها معهم إلى منطقتهم - احتج أصحاب الماشية المسروقة لدي في مركز طور الباحة الحكومي فكتبت إلى العامل (الحاكم) المسؤول أرجوه فيه معاقبة السارقين وإعادة المسروق فلم أتلقى منه أي جواب - أرسلت إليه كتاباً آخر مع الحاكم العرفي الذي طلبت منه إطلاع العامل على كافة التفاصيل وإنما امتنع العامل المذكور عن استقباله وأبقاه ينتظر خارج مقره ما يقارب الساعتين مما حمله على العودة إلي وإعلامي عن رفض العامل استقباله فبادرت إلى إرسال تقرير مستعجل إلى حكومة عدن اقترحت عليها فيه مخابرة الحكومة اليمنية ورجاءها حث العامل المتعجرف على حمل السارقين من الحميدة على إعادة الماشية المنهوبة إلى أصحابها الفقراء وذكرت في تقريري هذا أن أصحاب الماشية المسروقة يهددون بغزو الحميدة ونهب ماشيتهم وأنني قد ردعتهم عن ذلك وإنما لن يكترثوا للردع في المستقبل طالما أن ماشيتهم التي هي إحدى أهم موارد رزقهم لا تزال بأيدي الحميدة. كتبت حكومة عدن إلى جلالة الإمام الذي لم يستنسب الإجابة.

حسب المنتظر هاجم بعض رجال الصبيحة بعد حين مراعي الحميدة وعادوا بعدد من الإبل والأبقار والأغنام. سارع العامل في اليوم التالي إلى الاحتجاج بلغة أقل ما يمكن وصفها هي أنها بعيدة عن التهذيب والأخلاق وآداب المراسلة وبلهجة

كلها تهديد ووعيد للكفار الذين يجرأون على نهب مواشي المسلمين من رعايا جلالة الإمام أمير المؤمنين. لم أجد من المناسب الإجابة على الكتاب التافه وأخبرت الرسول بأنني انتظر زيارة العامل لي في طور الباحة لكي ألقنه مجاناً درساً لن ينساه في الأخلاق والدين وفي واجبات أمير المؤمنين مع كافة المؤمنين المسلمين.

تناولت بعد أسبوع رسالة من العامل يخبرني فيها أنه قد رفع شكوى الحميدة إلى أعتاب إمارة المؤمنين وأن جلالة الإمام قد أمره بزيارتي وبحث كافة القضايا المتعلقة معي فأجبته بأنني مستعد لاستقباله متى شاء. ففي صباح اليوم التالي وصل إلى مقري جندي يمني ليخبرني أن حضرة العامل في طريقه إلي وسيكون عندي بعد حوالي نصف ساعة - استدعيت ضابط لحرس وطلبت منه القيام بالواجب الذي تفرضه اللياقة والآداب علنا نعطيه بعض الدروس في ذلك المضمار خصوصاً وأنه قبل مدة وجيزة كان قد رفض استقبال حاكمنا العرفي.

اصطف حرس الشرف في باحة دار الحكومة في طور الباحة وأخذ التحية للعامل الزائر الذي كان برفقته نحو ١٥ شخصاً من أتباعه ثم استقبلته مع أربعة من مساعديه في مكتبي ورحبت بزيارته. شكرني على حفاوة استقبالي له ورجا أن تكون زيارته هذه فاتحة عهد من التعاون والصداقة والتفاهم بين منطقة الصبيحة ومنطقته. أجبته بأنني أرجو ذلك من كل قلبي وأكدت له أن مبدأ التعاون هو ما أتبعته منذ وصولي إلى طور الباحة وأن أسباب المشاكل الحاصلة يقع على عاتقه وذكرته بالرسائل العديدة الحازمة والمهذبة التي أرسلتها له والتي لم يبادلني بمثلها قلت له أنني رجل عربي سبق وخدمت في اليمن وأصبح لي خبرة واسعة فيما يتعلق بالحكم ووسائل تنفيذه وتأكدت أن كثيراً من تصرفات حكام جلالة الإمام لا تصل إلى مسامع جلالته الذي حاشا أن يقبل بالظلم والجور والإرهاق الحاصل في أطراف بلاده الجنوبية وأنني شخصياً لا فرق لدي بين اليمني الشمالي واليمني الجنوبي وجل ما أتوخاه هو التأكد من إعطاء كل ذي حق حقه وإنني أسمح لنفسي بالتصريح أ[illegible] تحيزت في بعض الأحيان لرعايا جلالة الإمام منعاً للنزاع بين صنعاء و[illegible]حسين العلاقات بين شمالي اليمن وجنوبه وأنني مع الأسف لم

ألمس أي استجابة مماثلة من طرف الفريق الآخر. قلت أنكم يا حضرة الأخ تسارعون بالإبراق إلى جلالة الإمام عندما يغزوكم بعض أفراد الصبيحة وتمتنعون عن اطلاع جلالته على ما سبق من غزوات وتعديات من بعض قبائلكم على أهل الصبيحة الذين إن اشتهروا بشيء فبالغزو والأخذ بالثأر مع أن جهدي منصب على ردعهم عن تلك العادات الهمجية ولكن كيف يمكنني ردعهم والحميدة من قبائلكم قد غزتهم ونهبت بعض مواشيهم. اضفت أنني سأحاول اطلاع جلالة الإمام على ما يجري حولي وأقترح عليه إرسال أحد كبار موظفيه للتحقيق فيما سأذكره له.

كرر العامل شكره على حفاوتي به وأطلعني على أوامر حكومته القاضية بالاجتماع بي ومحاولة تسوية جميع المشاكل المعلقة بين المنطقتين وبدأ بسؤالي كيف أسمح لنفسي بالدفاع عن مصالح السركال (الإنكليز) ضد بني قومي وديني إذا كنت حقيقة أعتز بعروبتي وإسلامي. أجبت العامل أن إجابتي على ذلك تنحصر في عدة سؤالات أسمح لنفسي بطرحها عليه مع الإلحاح بوجوب إبلاغها لجلالة مولانا الإمام أمير المؤمنين وأنني سأشهد رفاقه على كل كلمة أقولها والتمس من جلالته طلب شهادتهم إذا هو (العامل) تقاعس عن إبلاغها إلى مسامع الحضرة الشريفة.

قلت إنك يا حضرة العامل تتهمني باسم جلالة الإمام بأنني أنبري دائماً للدفاع عن المصالح البريطانية ضد بني قومي اليمنيين **وسؤالي الأول** في هذا الصدد هو:

هل أن الأبقار التي نهبتها قبيلتكم «الحميدة» تخص ملك بريطانيا جورج السادس أم هي ملك القبيلي علي بن أحمد الصبيحي العربي المسلم.

هل الأغنام المنهوبة تخص ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا أم هي ملك القبيلي أحمد بن حسين الصبيحي العربي المسلم؟

هل الماعز المنهوب يخص إيدن وزير خارجية بريطانيا أو والي عدن أم هي ملك حسن بن علي الصبيحي العربي المسلم؟

فإذا كانت هذه الماشية هي ملك الشخصيات البريطانية التي ذكرت آنفاً فحق لكم لومي واتهامي رغم أن العدالة تقضي بإعطاء كل ذي حق حقه.

أما إذا كانت تخص قبيلي فقير وعربي مسلم يعتمد عليها لكسب معيشته مع عائلته فكيف تريدني ألا أتحمس له وأدافع عن حقوقه؟.

السؤال الثاني: هل أن جلالة الإمام أمير المؤمنين والقيم على تنفيذ كتاب الله الكريم وسنة رسوله العربي صلوات الله عليه يرضى بأن ينهب مسلم حقوق وأموال مسلم آخر؟

السؤال الثالث: هل يرضى جلالة الإمام بتقاعسكم السابق عن التفاوض معي رغم طلبي المتكرر لإعادة المنهوب إلى أصحابه وهل يوافق معك على عدم استقبال مندوبي وتحقيره وهو سيد جليل من عترة رسول الله؟ أهكذا تريدون كسب قلوب وتأييد القبائل المحمية لكم وإعادتهم إلى أحضان اليمن الأم؟

الهجوم على منزلي في طور الباحة

قلت لحضرة العامل أنني لن أطول سرد كل العقبات والعراقيل التي لقيتها منهم إنما أود أن يتفضل ويذكر في تقريره إلى جلالة الإمام أن في ١١ مايو سنة ١٩٤٠ حصل نزاع في سوق السبت في طور الباحة بين أحد أفراد الحرس القبيلي المكلف بحراسة السوق المذكور وبين قبيلي يمني من الحميدة الذي رفض دفع الضريبة المفروضة على كل من يبيع ماشيته أو غلاله أسوة بكافة الأسواق الأخرى. لقد شحن هذا القبيلي بندقيته محاولاً قتل رجل الحرس الذي تمكن بمساعدة رفاقه نزع البندقية منه وتسليمها إلى ضابط الحرس الذي اقتاد الرجل وبندقيته إلى مكتبي. سألت الحميدي عن سبب تمنعه من دفع الضريبة التي سبق له ودفعها مراراً من قبل فأجاب أنه يرفض دفع ضرائب لغير دولته فأفهمته أن الريالات القليلة التي يجمعها الحرس أسبوعياً تكاد لا تكفي لتنظيف السوق وإعداده للأسبوع التالي فأصر بأنه لن يدفع - قلت له أن عليه أن يرضخ لقوانين السوق كما يفعل العديدون من أهله وأنه إذا كان ذلك لا يروقه فالأفضل أن يمتنع عن الاشتراك في هذا السوق في السمتقبل فوعد بأنه لن يحضر ثانية.

أخذت البندقية وسلمتها إلى صاحبها رغم احتجاج ضابط الحرس الذي ألح

بوجوب إرسال الرجل وبندقيته إلى عدن للمحاكمة لمحاولته الاعتداء على أحد رجال الحرس. سلمت البندقية لصاحبها رغم معرفتي بعدم قانونية عملي هذا تجنباً لقيام نزاع جديد بين المنطقتين.

بلغني في اليوم التالي أن قبيلة الحميدة تستعد لشن هجوم مسلح على مسكني فبادرت بالاتصال بك يا حضرة العامل لإخطارك بوجوب اتخاذ الإجراءات اللازمة لردع القبيلة المذكورة عن القيام بمثل ذلك العمل الإجرامي وحذرتك من عواقبه الوخيمة وحملتك المسؤولية فلم تفعل شيئاً لأن رجال الحميدة أطلقوا النار على منزلي فجر ١٣ مايو واستمر الاشتباك بينهم وبين رجال الحرس نحو نصف ساعة أجبر المعتدون بعدها على الانسحاب وقد منعت الحرس من ملاحقتهم. أرسلت لك آنئذ تقريراً مفصلاً عما حصل وحتى الآن لم أسمع أنك قمت باتخاذ أي إجراءات ضدهم ولقد امتنعت حتى عن رفع نبأ الحادث إلى جلالة الإمام.

وهكذا كافأني الحميدة على إعادتي البندقية للمعتدي منهم حفاظاً على كرامته القبلية وعدم محاكمته وسجنه مما أوقعني في مشكلة مع قيادة الحرس في عدن، بأن حضروا لرمي منزلي بالرصاص أهكذا تقتضي المروءة والعرفان بالجميل؟ أريدك أن ترفع ذلك إلى أعتاب الحضرة الشريفة وأخذ رأيها في الموضوع وهل هي راضية عن أمثال هكذا اعتداءات أثيمة إذا كنت حضرتك تستسيغها؟

حمولة سيارات النقل اليمنية

كما وأنه في الأسبوع الماضي انقلبت سيارة نقل يمنية تقل نحو ٥٠ راكباً بالإضافة إلى بضائع ومحاصيل زراعية على أحد المنعطفات وهي في طريقها إلى عدن قادمة من المفاليس ونتج عن ذلك إصابة خمسة ركاب بجروح بليغة. أرسلتهم في سيارة الحرس إلى المستشفى في عدن للمعالجة وكان هذا الحادث الثاني خلال شهرين. لقد سبق ورجوتك يا حضرة العامل أن تحدد عدد الركاب ووزن البضائع المنقولة في كل سيارة نقل إذ لا يجوز أن تنقل سيارة ٥٠ راكباً يجلس أكثرهم على سطح السيارة مع البضائع الثقيلة إذ في ذلك خطر أكيد على أرواح المسافرين

الـذين هم من رعايـاكم ولكنكم قلما تهتمـون بسـلامتهم لأنني أبلغتـك عن حـادث انقلاب السيارة الأخيرة ووجوب الإسراع للاهتمام بالضحايا ولكنك لم تحرك سـاكناً وزعمت أنني أتدخل بما لا يعنيني وبشؤون اليمن الداخلية كما ذكرت لي أنه بازدياد عدد الركاب في كل سيارة تزيد ضريبة الدولة على الركاب والبضائـع كأنـك لا تهتم إلا بالضريبة وتفضل جباية ٥٠ أو ١٠٠ ريالاً عن الركـاب الإضافيين على الاهتمـام بحياتهم وسلامتهم فهل يرضى جـلالة الإمـام بأن تنقلب السيـارات اليمنية بـركابهـا اليمنيين في وسط صحـراء قاحلة فـلا تتحركـون لنجدتهم وتتـركون لنـا القيـام بتلك المهمـة المؤلمة ثم تكيلون لنـا الاتهامـات لأننا حـاولنا انقـاذ أبنائكـم وتنسبـون لنـا التدخل بشؤونكم الداخلية

هل يرضى جلالة الإمـام بذلـك أو هل قمتم بـإبلاغـه عن انقلاب السيـارتين اللتين قمنـا باسعـاف ركابهمـا ونقلهم إلى المستشفى وتقديم المـاء لباقي الـركـاب وسط صحراء قاحلة؟

عامل حريب

كنت لمـدة ضابـطاً إدارياً في منـطقة بيحـان المجاورة لقضـاء حريب وكـانت المشاكل بين المنطقتين مستمرة. يغزو جماعة من حريب قرية نـائية من بيحـان فيرد البيحانيون التحية بمثلها وهكذا دواليك. ففي إحـدى المرات أمـر العامـل المذكـور بإلقاء القبض على رجلين من قبيلة المصعبين البيحـانية ولـدى سماع شـريف بيحان ومشائخ المصعبين بـذلك ثـارت ثائـرتهم وبدأوا بـإجراء الاستعـدادات للقبض على عدد من رجال حريب وإبقائهم في حوزتهم إلى أن يطلق العامل الكحلاني الرجلين البيحـانيين. علمت بمـا ينـوي الشـريف ومشـائخـه عمله فـاستـدعيتهم إلى منـزلي وألحيت عليهم بضرورة عدم الإتيان بأي حركة قبل أن أتصل بالعامـل واستفسر منـه عن سبب إلقـائـه القبض على الـرجلين. فعلت ذلـك وأوضحت لـه بـأنني عملت جهدي للحيلولة دون قيام الشريف ورجاله بأي عمل انتقامي قبل الاتصال به ولذلك ألـح عليه بـإخلاء سبيلهم وإعـلامي عن أسباب اعتقـالهم كي أقوم بمحـاكمتهم إذا كـانوا مذنبين. كالعـادة لم يستنسب حضرة العـامل الـرد على رسالتي طبقـاً للخـطة

المتبعة في كافة الأمور المتعلقة بحقوق ومصالح رعايا النواحي المحمية. عيل صبر الشريف ورجاله وأكدوا لي بأنهم لن يصبروا بعد ذلك وأنهم سيقبضون على أي يمني يلتقونه.

لما تأكدت من خطورة الحالة أرسلت كتاباً مستعجلاً إلى العامل المذكور أطلب منه عقد اجتماع عاجل في مكان يقع حوالي منتصف الطريق بين النقوب في بيحان وحريب فأجابني بأنه مستعد لمقابلتي في مقره وليس في منتصف الطريق كما اقترحت. أدركت أن العامل يريد التهرب من مقابلتي ظناً منه بأنني لن أوافق على القدوم إلى مقره فسارعت إلى قبول دعوته وأرسلت له كتاباً بأنني سأكون في إفضاله صباح اليوم التالي.

غادرت مقري في النقوب صباحاً وبرفقتي الشريف عوض بن أحمد عم شريف بيحان صالح بن حسين وشقيق نائبه الشريف حسين بن أحمد وعشرة أشخاص آخرين من مشائخ وحرس. كان الشريف عوض الرفيق الدائم لكافة ضباط حكومة عدن في منطقة بيحان وجوارها نظراً لما عرف عنه من لطف وكياسة ومهارة في المعاطاة مع القبائل وفهم مشاكلهم واتجاهاتهم أما مشكلته الوحيدة فهي كونه رجلاً مزواجاً لا يمكنه البقاء في أي مكان أكثر من أسبوع إلا إذا صاهر البلدة التي يحل فيها، وصلنا إلى مقر العامل وطلبت من أحد رجال حرسه أن يبلغه عن وصولنا فعاد لتوه ليدعونا إلى الدخول. لما كنت أخشى أن ألقى نفس الاستقبال البارد الذي خصني به عامل البيضاء من قبل أبلغت الحرس بأنني ورفاقي لن نتقدم خطوة واحدة قبل أن نرى العامل بانتظارنا على مدخل مقره.

حضر العامل إلى المدخل فاقتربت منه وتبادلنا التحيات فأوصلني إلى قرب المكان الذي يجلس فيه ودعاني للجلوس وسط عبارات الترحيب «يا هلا وحيا بالوافدين الكرام».

كان علي العودة إلى مقر عملي في النقوب باكراً لذلك باشرت في بحث قضية البيحانيين المعتقلين مع حضرة العامل الذي لم يكن باستطاعته تقديم أي برهان قاطع عن ارتكاب هذين الشخصين لما يتهمها به من جرم وجل ما قاله أنه إذا

لـم يـرتكبـا الجرم فلا شك أن أحداً من قبيلتهما قد فعل ذلك. سألتـه إذا كان قـد ورد في أحكام الشرع الشريف ما يبرر اعتقال رجلين لمجرد وقوع الظن بأن قبيلتهما متهمة بارتكاب المخالفة فلم يشأ أن يجيبني على ذلك لعلمه أنه حاشـا على الشرع الشريف أن يجيز ذلـك فرجـوته استفتـاء جلالـة الإمام حـول هذه النقـطة فلم يجب أيضاً. على كل تمكنت من اقنـاعه بعـد جهد كبيـر بأن يـطلق سراح المـوقوفين كي يعـودا معي إلى ذويهما وقبيلتهمـا وهكذا كـان بعد أن أصـر علينا للبقـاء حتى اليوم التـالي: أجبت العامـل أنه إذا كنـا سنبقى في ضيافتـه فعليـه أن يبحث عن عـروس للشريف عوض.

غـادرنا مقـر العامـل بعد اتمـام المهمة التي جئنـا من أجلها وبعـد أن وعدت حضـرة العامـل بـأن أوافيـه بكـافـة الصحف المصـرية التي تصلني وعلى الأخص المصورة منها.

الدول التي تولت حكم اليمن
ملوك وسلاطين الاحتلال العثماني لليمن

١ـ دولة بني زياد في زبيـــد	٢٠٣ ـ ٣٩١ هـ
٢ـ دولة بني يعفر الحوالي الحميري في شبام	٢٢٥ ـ ٣٩٣ هـ
٣ـ دولة آل نجاح في زبيد	٤٠٣ ـ ٥٥٥ هـ
٤ـ دولة بن الصليحي الهمدانـي في اليمن	٤٣٩ ـ ٥٣٢ هـ
٥ـ دولة بني زريع الهمدانيين في عدن	٤٦٧ ـ ٥٦٩ هـ
٦ـ دولة سلاطين بني حاتم الهمدانيين	٤٩٢ ـ ٥٦٩ هـ
٧ـ دولة بني أيوب في اليمن	٥٦٩ ـ ٦٣٦ هـ
٨ ـ دولة بني رسول الغسانيين	٦٣٦ ـ ٨٥٨ هـ
٩ـ دولة بني طاهر	٨٥٨ ـ ٩٣٣ هـ
١٠ـ دولة الجراكسة في اليمن	٩٢١ ـ ٩٤٥ هـ
١١ـ الدولة العثمانية في اليمن	١٠٤٥ ـ ١٣٣١ هـ

١ـ دولة بني زياد في زبيد:

استولى الأمير محمد بن عبد الله بن زياد بأمر من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد على عدن وحضرموت وتهامة وأسس دولة عرفت باسمه.

٢ـ دولة بني يعفر الحوالي الحميري في شبام:

تولى الأمير عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي على اليمن ثم عقبه محمد ابن يعفر بن عبد الرحيم بأمر الخليفة المنتصر بن المتوكل.

٣ـ دولة آل نجاح في زبيد:

استولى العبد نجاح وهو من عبيد بني زياد على زبيد وتهامة وأعلن طاعته لبني العباس.

٤ ـ دولة ابن الصليحي الهمداني في اليمن:

تمكن علي بن محمد الصليحي من التخلص من العبد نجاح وشرع في نشر الدعاية الإسماعيلية في اليمن، وتحصن في منطقة حراز وتغلب على الأمير جعفر القاسم، واستولى على صنعاء ثم على جنوبي اليمن وعدن وتهامة وهو في طريقه لتأدية فريضة الحج. تصدى لهم سعيد بن الأحوال بن نجاح وقتل عليًّا وأخاه عبد الله وأسر زوجته السيدة أسما بنت شهاب التي أنقذها فيما بعد ولدها المكرم الذي دحر حكام آل نجاح واستولى على اليمن. آزرته زوجته السيدة أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي التي استقلت بعد وفاته بدولة ال الصليحي حتى وفاتها سنة ٥٣٢ هـ.

السيدة أروى بنت أحمد الصليحي

وفي صدد الحديث عن المرأة في اليمن يجب ذكر أشهر سيدة عرفتها اليمن ألا وهي السيدة أروى بنت أحمد الصليحي، التي كانت أول سيدة وصلت إلى كرسي الحكم في العهد الإسلامي عام ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ ميلادي توفي زوجها المكرم بن علي الصليحي عام ٤٨٤ هـ ١٠٩١ ميلادي وهو مؤسسر, الدولة الصليحية التابعة للحكم الفاطمي في مصر وأوصى بضرورة إسناد الملك والحكم إلى زوجته السيدة أروى التي استقلت بالحكم واختارت بلدة ذي جبلة عاصمة لها. كانت داهية سديدة الرأي ومقدامة ـ توفيت عام ٥٣٢ هـ ـ ١١٣٨ ميلادي بعد حكم استمر أربعين عاماً، وكان حافلاً بالأعمال الجليلة والعمران والبناء وشق الطرق وجر المياه وبناء المساجد والمعاهد.

خضعت لحكمها أغلبية المناطق اليمنية الجنوبية وكان حكمها أفضل ما عرفته اليمن في العهد الإسلامي، وقد كان حكام عدن وجوارها تابعين لها. وهكذا يحق

للمـرأة اليمنية أن تفـاخر بهـذه السيـدة اليمنيـة الجليلة والـرائـدة في حقـول الإدارة الحكيمة والبناء والعمران.

٥- دولة بني زريع الهمدانيين في عدن:

ولى المكــرم بن علي الصليحي العبـاس ومسعود ولــدا المكــرم الحشمي الهمداني على عدن وخلف العباس ابنه زريع ثم أولاد وأحفاد زريع الذين دحرهم السلطان ثوران شله ونفاهم إلى الحبشة فانقرضت دولتهم.

٦- دولة سلاطين بني حاتم الهمدانيين:

ارتضت قبائل همدان بحكم السلطان حاتم بن أحمـد اليامي وقـد جاوره في صنعاء الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وسمح له بـالسكن في الروضــة، خلفـه في حكم قبائـل همـدان ابنـه السلطان علي بن حـاتم، وإنمـا قضى السلطان توران شاه على حكم بني حاتم سنة ٥٦٩ هـ.

٧- دولة بني أيوب في اليمن:

لمـا كانت اليمن قـد انقسمت إلى عـدة دويـلات متخـاصمـة طلب الخليفـة العباسي الناصر بن أحمد من السلطان صلاح الدين الأيوبي نصرة الشريف قاسم بن يحيى. أرسـل صلاح الـدين أخاه تـوران شـاه على رأس ٣٠٠٠ مقـاتـل إلى اليمن فقضى على دولـة عبد النبي بن مهـدي، ثم على دولة بني زريـع في عدن ثم فتـح مدن أخرى يمنية وقضى على دولة علي بن حاتم، وأصبحت زبيد عـاصمته. خلف تــوران شـاه أخــوه طغتيكن بن أيـوب سنــة ٥٧٩ هـ الـذي إستــولى على صنعـاء وحضرموت وسكن مدينة تعز - جاء بعده ابنه العـزيز ثم سليمـان بن سعد الـدين ثم الملك المسعـود يوسف ثم الأميـر نور الـدين الأيوبي الـذي أسس الدولـة الرسـولية وقضى على حكم أمراء بني أيوب.

٨ - دولة بني رسول الغسانيين:

أسس السلطان نـور الدين هـذه الدولـة وخلفه ابنـه الملك المظفـر يوسف،

الـذي فتح ظفـار وقد خـاض عدة حـروب ضد أئمـة اليمن ـ جاء بعـده ولده الملك الأشرف عمر بن يـوسف ثم أخوه داود بن يـوسف ثم ولده الملك المجـاهد علي بن المؤيد ثم الملك الأفضل العباس، ثم ابنه الملك الأشـرف اسماعيـل وخلفاؤه حتى قيام حكام بني طاهر، بإعلان استقلالهم وتأسيس الدولة الطاهرية.

٩ـ دولة بني طاهر:

ضعفت دولة بني رسول فاستولى حكام بني عامر على عدن سنة ٨٥٨ وتولى الحكم الملك عامر بن طاهر، واتخذ من مدينـة رداع عاصمـة لملكه. خلفـه شقيقه الملك المجاهد علي بن طاهر ثم ابن أخيه الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر، ثم السلطان الظافر عـامر الـذي استولى على صنعـاء وأسر الإمـام محمد بن علي الـوشلي وهزم كـافـة أخصـامـه، ثم زالت دولـة بني طـاهـر على يـد قـانصـوه الغوري.

١٠ـ دولة الجراكسة في اليمن:

قاد الأمير حسين الجركسي قوة من جراكسة مصـر بأمـر من السلطان قانصـوه الغوري لمقاومـة البرتغـاليين في البحر الأحمـر. لم يتعاون معهم السلطان عـامر بن عبد الوهاب فحاربوه وتغلبوا عليه وقد رحل بعدها إلى الهند ثم نهب أتباعه صنعاء. لدى دخول السلطان العثمـاني سليم بايـزيد إلى مصـر قضي على السلطان الغوري الذي مات قتلاً. دخل الأتـراك إلى اليمن وقضوا على مـا تبقى من الجراكسـة، مما يسّر دخول الإمام شرف الدين إلى صنعاء.

مغادرة المصريين لليمن

لدى مغادرة المصـريين لليمن في عام ١٨٤٠ م عمت الفـوضى جميع أنحـاء اليمن نـظراً لضآلـة نفوذ الإمـامة بعـد الحروب الـداخلية والخـارجية العـديـدة التي خاضتها، مما أفسح في المجال لعدد من المشـائخ اليمنيين لإعـلان استقلالهم عن الـوطن الأم. هذا مـا شجع الشـريف حسين بن علي حيدر شـريف أبـو عـريش من

الاستيلاء على الحديدة بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٨٤٠ بمساعدة قبائل عسير. كانت معاملة هذا الشريف لسكان الحديدة في غاية القساوة وقد فرض عليهم الضرائب الفادحة ثم لم يلبث أن اختلف مع السلطات البريطانية وأنذرها لتسليمه ميناء عدن.

حاول الإمام عبد الله بن أحمد في السنوات ١٨٤١ و١٨٤٢ و١٨٤٣ الحصول على مساعدات السلطات البريطانية في عدن لطرد الشريف حسين وأشراف أبي عريش من الحديدة والموانىء التهامية الأخرى. وإنما دون جدوى لعدم رغبة البريطانيين بالتدخل في الشؤون العربية الداخلية. وفي عام ١٨٤٨ تمكن الإمام محمد بن يحيى بمساعدة قبيلتي حاشد وبكيل من دحر الشريف المذكور وسجنه وإنما أطلق سراحه بعد دفعه ٢٠ ألف ريال، وقد تمكن من استعادة ما خسره بعد ما يقارب الشهرين.

في عام ١٨٤٩ اغتنمت الدولة العثمانية هذا النزاع الطويل بين الإمام والشريف وأرسلت حملة بحرية احتلت الحديدة وطردت الشريف منها. وافق الإمام مجبراً على تسليم المنطقة الشمالية التي يسيطر عليها إلى الحكم العثماني طبقاً للشروط التالية:

١ـ يستمر الإمام في حكم المناطق التي يسيطر عليها بشرط اعتباره تابعاً للباب العالي.

٢ـ تقسيم الإتاوات والضرائب المحصلة مناصفة بين الخزينة العثمانية وخزينة الإمام.

٣ـ يعسكر في صنعاء ألف جندي نظامي عثماني.

٤ـ يحتفظ الإمام بمبلغ ٣٧ ألف ريال شهرياً لمصاريفه الخاصة التي تخصم من قبل تقسيم المدخول.

وهكذا عاد العثمانيون إلى اليمن لبدء سلسلة حروب ومناوشات جديدة.

العثمانيون في اليمن للمرة الأولى

الاحتلال العثماني لليمن

١٥٣٨ ـ ١٥٦٨ ميلادية الاحتلال العثماني الأول

١٥٦٩ ـ ١٦٣٦ ميلادية الاحتلال العثماني الثاني

١٨٤٩ ـ ١٩١٤ ميلادية الاحتلال العثماني الأخير

العثمانيون في اليمن للمرة الأولى من سنة ٩٤٥ ـ ١٠٤٥ هـ

سنة ٩٤٥ هـ قاد القائد العثماني سليمان باشا قوة بحرية لمطاردة البرتغاليين وللقضاء على مطامعهم في البحر الأحمر. نزل في جزيرة قمران ثم في عدن حيث أمر بقتل الأمير عامر أمير عدن.

ناصر هذا القائد العثماني عامر بن داود ضد الإمام شرف الدين في بادىء الأمر، ثم أمر بقتل الأمير عامر، ثم قضى على أمير الشراكسة الذين انضموا إلى قواته. خلفه في القيادة مصطفى باشا ثم أويس باشا. فتح تعز وقتل في زبيد على يد أمراء الجراكسة.

عين إزدمر باشا والياً على اليمن، توجه من تعز إلى صنعاء واستولى عليها مع رجاله ونهبوها ثم تقدموا إلى منطقة حاشد وأسروا ابن الإمام شرف الدين، ثم سمحوا له بالعودة إلى صنعاء. عزل إزدمر سنة ٩٦٢ وعين مصطفى نشار مكانه الذي خلفه مصطفى باشا ثم محمود باشا ثم رضوان باشا.

سنة ٩٧٣ تمكن المطهر بن الإمام شرف الدين من استعادة معظم المناطق التي احتلها العثمانيون.

وصل القائد مراد باشا إلى تهامة حيث قتل على أيدي رجال الإمام. استسلم العثمانيون في صنعاء وعقدوا صلحاً مع الأمير المطهر الذي استولى على تعز وجوارها وعلى عدن.

وصلت قوة عثمانية كبرى إلى اليمن بقيادة حسن باشا وعثمان باشا، استعادوا تعز وصنعاء.

سنة ٩٧٨ ـ عين بهرام باشا والياً على اليمن.

سنة ٩٨٤ ـ عين مراد باشا والياً على اليمن، عقبه الوزير حسن الذي قبض على الإمام الحسن بن علي وأولاد المطهر. خلفه سنة ١٠١٣ هـ سنان باشا الذي عزل سنة ١٠١٦، وتوفي في المنحا وخلفه جعفر باشا الذي تمكن من المنحا واستعاد المناطق التي خسروها. تقدم حيدر باشا إلى صعدة فاحتلها ثم انسحب بعد تغلب اليمنيين على قواته والفتك بها.

سنة ١٠٢٥ عزل جعفر باشا وخلفه محمد باشا الذي عزل أيضاً وعين مكانه فضلي باشا ثم حيدر باشا، وقد تمكن اليمنيون من إخراج العثمانيين من صنعاء وغيرها. وصل قانصو باشا على رأس قوة عظيمة إلى تهامة، وإنما خسر المعارك التي خاضها وتم إخراج العثمانيين سنة ١٠٤٥ من كافة الأراضي اليمنية واستقلت اليمن بجهود أبناء الإمام القاسم. كانت حضرموت ويافع وعدن الخ.. قد خرجت عن حكمهم.

وصل خليل باشا من مصر إلى تهامة واستعادها مع البنادر، ثم عقبه إبراهيم باشا موفداً من والده محمد علي باشا والي مصر واستولى على بعض المناطق التهامية الساحلية.

وقع الخلاف بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا فكف السلطان عبد المجيد يد محمد علي باشا.

سنة ١٢٦٥ هـ أرسل السلطان عبد المجيد القائد توفيق باشا مع الشريف محمد بن عون شريف مكة، ولدى وصول توفيق باشا إلى صنعاء ثار عليه أهالي صنعاء فخرج إلى الحديدة حيث توفي.

خلفه في حكم منطقة الحديدة سليمان بك، ثم محمود باشا، ثم مصطفى صبري باشا، ثم محمد يسري، ثم بونابرت مصطفى باشا الذي أراد غزو الزرانيق فهزم وتوفي في بيت الفقيه. خلفه محمد باشا، ثم أحمد باشا السليماني.

سنة ١٢٨٦ عين علي باشا الحلبي ووصلته قوة عثمانية كبيرة بقيادة رديف باشا الذي أقيل وتعين أحمد مختار باشا مكانه.

سنة ١٢٩٠ ـ عزل **أحمد مختار باشا** وخلفه **أحمد أيوب** الذي عزل أيضاً وتعين **مصطفى عاصم**.

سنة ١٢٩٧، عزل **مصطفى عاصم** وخلفه المشير إسماعيل حافظ الذي عزل سنة ١٢٩٩، وخلفه **الوالي محمد عزت** الذي **توفي** في صنعاء سنة ١٣٠١، وخلفه **أحمد فيضي باشا** الذي خلفه **أحمد عزيز باشا**، ثم المشير **عثمان باشا** الأعرج الذي **عزل** وخلفه الفريق **عثمان نوري**، ثم الوالي الأسبق **إسماعيل حافظ** سنة ١٣٠٧الذي توفي خلال محاولة القوات العثمانية فك الحصار عن صنعاء، خلفه الفريق **حسن أديب باشا** الذي زحف مع **أحمد فيضي باشا** الذي عاد إلى اليمن للمرة الثانية على صنعاء واستعادوها، واستمرت ولايته حتى ١٣١٦. عزل **أحمد فيضي باشا** وخلفه **حسين حلمي باشا** كوالٍ، وفي قيادة القوات العثمانية **عبد الله باشا**.

سنة ١٣٢٠ **عزل الوالي حسن حلمي** وخلفه المشير **عبد الله باشا**.

سنة ١٣٢٢ **عزل عبد الله باشا** وخلفه **توفيق باشا** (وفاة الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى وخلفه الإمام يحيى).

تغلبت القوات اليمنية على جيش توفيق باشا وتم الصلح بين الطرفين بخروج الأتراك من صنعاء إلى حراز.

سنة ١٣٢٣ ـ عين أحمد **فيضي باشا** لولاية ثالثة في اليمن فزحف على صنعاء واستعادها من الإمام يحيى، الذي تمكن بعدها من إلحاق الهزيمة بالقوات العثمانية قرب شهارة.

سنة ١٣٢٦ ـ **عزل فيضي باشا** وخلفه **حسن تحسين باشا**.

سنة ١٣٢٨ ـ **عين محمد علي باشا** والياً على اليمن إثر خلع السلطان عبد الحميد وتنصيب أخيه محمد رشاد.

سنة ١٣٢٩ ـ وصل **المشير** أحمد **عزت** لفك الحصار عن صنعاء وعقد الصلح مع الإمام (اتفاقية دعان)، بحضور **عصمت باشا** الرئيس للجمهورية التركية لاحقاً (كان ضابط أركان).

كانت من أوائل أعمال الإمام يحيى قيامه بمهاجمة العثمانيين وملاحقتهم حتى أسوار صنعاء التي دخلها دخول الفاتحين، وإنما اضطر لإخلائها لدى وصول نجدات عثمانية قوية فانسحب إلى «قافية أضهر»، حيث استمر في مناوشة القوات العثمانية الغازية. لدى فشل العثمانيين في القضاء عليه أو إبداله بإمام آخر، اضطروا إلى عقد اتفاقية معه عام ١٩١٢م، وذلك بفضل توسط ضابطين عربيين من ضباط أركان المشير العثماني عزت باشا وهما البكباشي عزيز علي المصري واليوزباشي طه الهاشمي، اللذين تمكنا من التوفيق بين الحكومة العثمانية والإمام يحيى وعقد اتفاقية «دعان».

فيما يلي الشروط التي تضمنتها هذه الاتفاقية بين الإمام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين وبين عزت باشا لإصلاح أمور بلاد صنعاء وعمران وحجه وكوكبان وحور وآنس ويريم ورداع وحراز وتعز التي يقطنها الزيود الذين هم تحت إدارة الدولة.

«١ ـ ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية (ولاية صنعاء) ذلك وهذه تطلب من الأستانة التصديق على ذلك الانتخاب.

٢ ـ تؤلف محكمة استئناف للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام ويكون مركزها في صنعاء وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق الحكومة على تعيينهم.

٣ ـ تكون مسائل الأوقاف والوصاية منوطة بالإمام.

٤ ـ يصدر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف الضرائبية التي سلفت.

٥ ـ لا تجبى التكاليف الأميرية لمدة عشرة سنوات من أهالي أرحب وخولان لفقرهم وخراب بلادهم بشرط أن يحافظوا على صداقتهم للدولة.

٦ ـ تجبى التكاليف الأميرية بحسب موجبات الشرع الشريف.

٧ ـ يحق للزيديين تقديم الهدايا للإمام إما مباشرة وإما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام.

٨ ـ يسلم الإمام عشر حاصلاته للحكومة.

٩ ـ لا تجبى الأموال الأميرية من جبل الشرق لمدة عشر سنوات لفقره.

١٠ ـ يخلي الإمام سبيل ما عنده من الرهائن من أهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران.

١١ ـ يمكن لموظفي الحكومة واتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء اليمن بشرط أن لا يخلّوا بالسكينة والأمن.

وهكذا هدأت الحالة واستقرت الأمور بعد ما يقارب الثلاث قرون من الثورات والفتن.

خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حافظ الإمام على عهوده للعثمانيين رغم الفظائع التي ارتكبوها في بلاده طيلة سنين عديدة، وأبى محالفة البريطانيين ضدهم حتى ولو كانوا أعداء لبلاده قائلاً: «حاربت الأتراك لضمان استقلال بلادي، والآن آثر أن تقطع رقبتي ورقاب أولادي على أن أحالف الكفار».

سنة ١٣٣١ ـ غادر **المشير أحمد عزت** اليمن إلى الأستانة وخلفه الوالي محمود نديم (أعلنت الحرب العالمية الأولى).

زحف القائد العثماني علي **سعيد باشا** على اليمن الأسفل (لحج وعدن) خسر العثمانيون الحرب واستقلت اليمن.

بعض الشخصيات اليمنية المرموقة
زيارات بعض الشخصيات لعدن

القاضي عبد الله العمري

يصفه الكاتب الإيطالي أبونتي بأنه الذراع الأيمن لجلالة الإمام ويشغل بالإضافة إلى رئاسة مجلس الوزراء حقيبة وزارة الداخلية. هو رجل متفان في الولاء والإخلاص لملكه وبلاده. ينتمي إلى بيت معتدل لا أثر فيه للتعصب ويستطيع تفهم الآراء الغربية وتقبلها قبولاً حسناً.

كما وإنه رجل بشوش - متواضع - سكوت - ذكي - يستمع باهتمام لمحدثيه ولا يعلق على كلامهم إلا باقتضاب وبواقعية. خجول لدى الثناء عليه ويحسده أكثر سيوف الإسلام وكبار رجال الدولة على نفوذه ومدى ثقة الإمام به.

فالقاضي عبد الله هو أبرز رجل في الدولة فلا يقدم الإمام على اتخاذ أي قرار إلا بعد التأكد من موافقته، ولقد أطلق عليه بعض النافذين في الإدارة اليمنية لقب (إمام اليمن غير المتوج).

السيد علي الوزير

ولد عام ١٨٨٦ وتلقى علومه الدينية التي أجيز بها بالغاً مرتبة الاجتهاد.

برز السيد علي كقائد بارز خلال حرب اليمن مع العثمانيين وقد قاد الحملة

الهادفة إلى توحيد اليمن، ووصل إلى القرب من عدن، كما وإنه حارب البريطانيين بغية تحرير النواحي المحتلة.

خلال ولايته لإمارة تعز أسس عدة مدارس وهو من الشخصيات البارزة القليلة التي رفضت الاعتراف بولاية عهد سيف الإسلام أحمد، والمعروف عنه أنه آزر الحركات الإصلاحية ورفض نظام الإمامة الجائر ساعياً لإقامة نظام جمهوري عادل مكانه. كان لمساعيه الإصلاحية هذه أسوأ الأثر لدى الإمام يحيى، وعلى الأخص لدى سيف الإسلام أحمد ولي العهد الذي شعر بأن السيد علي قد أصبح في نظر الكثيرين رائداً للنهضة في اليمن.

أعفي من منصبه كأمير للواء تعز وحل سيف الإسلام أحمد محله وذلك بعد أن تجرأ السيد علي على اتهام الأمراء سيوف الإسلام بالرجعية وباستغلال الشعب ومص دمائه، وقد شجع نجله عبد الله وسكرتيره القاضي محمد محمود الزبيري على الفرار إلى مصر لتأسيس نواة المعارضة اليمنية هناك.

لدى قيام انقلاب ابن عمه السيد عبد الله الوزير اختير رئيساً لوزارة الانقلاب، وقد كان بين الأوائل الذين أعدموا بعد فشل الانقلاب عام ١٩٤٨، عندما خاطب الجماهير المحتشدة قائلاً: «إنني أخرج إلى الصلاة ـ صلاة الدم ـ ليعم السلام والحب هذا الشعب وهذه الأمة ـ ليسود الحق والخير والعدل هذا الشعب ـ ليغفر الله لي ولتعم رحمته ومجده شهداء الشعب» ومن أقواله المأثورة أيضاً:

«لا وجود لشعب يتحكم به فرد».

السيد محمد أحمد باشا

(عامل تعز ثم أمير لواء الحديدة بالنيابة)

كان أمراء الألوية أو نواب الإمام فيها من الأمراء سيوف الإسلام أبناء الإمام.

بدأ الإمام أحمد بتعيين بعض كبار السادة والقضاة أمراء ألوية أو نواب أمراء ألوية لتحسين الإدارات المحلية التي كانت شبه مقاطعات مستقلة يهيمن عليها الأمراء وكأنها ملكهم الخاص.

عين السيد محمد أحمد باشا عامل تعز أميراً للواء الحديدة بالنيابة إذ إن أمير اللواء الأصيل كان الأمير سيف الإسلام محمد البدر ـ ولي العهد ـ نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والخارجية.

السيد محمد أحمد باشا كان من المقربين من الإمام أحمد، اهتم بعائلة الإمام خلال انقلاب سنة ١٩٤٨ عقب اغتيال الإمام يحيى وسهر على راحتها وسلامتها خلال مغادرة سيف الإسلام أحمد تعز إلى حجة فصنعاء.

كان السيد محمد باشا تقدمياً ورغم امتعاضه من الكثير من أعمال أحمد، فإنه حافظ خلال الانقلاب على عائلته كواجب إنساني.

اختاره الإمام أحمد لنيابة إمارة الحديدة لأنه كان أبرز شخصية جنوبية في حكومة الإمامين أحمد ويحيى. المعروف أن أسرة السيد محمد كانت زيدية وكان أحد أجداده وهو الإمام قاسم بن الحسين في القرن الثامن عشر ميلادي قد اعتنق المذهب السني، وبعد وفاته حكم بنوه لواء تعز كسلطنة مستقلة. اعترف العثمانيون في محاولتهم الثانية للاستيلاء على اليمن بعائلة السيد محمد كباشوات جنوبي اليمن بين أعوام ١٨٧٢ ـ ١٩١٨.

بعد عام ١٩١٨ درج الإمام يحيى على تعيين عِمّال تعز من بين أفراد هذه العائلة.

عرفته في تعز حيث لمست مدى تعلق سكان المدينة وثقتهم به وبعدالته. جعل أحد قصوره في تعز دار ضيافة لعدد من كبار الزوار.

رافق السيد محمد الأميرين البدر ويحيى في رحلتهما مع وفدهما إلى بعض الدول العربية بين ديسمبر سنة ١٩٤٨ وفبراير سنة ١٩٤٩.

فهو محدث لبق يهوى النكتة المهذبة، وهو مثال الكرم والوفاء لأصدقائه.

وقد تولى ابنه السيد أحمد مراكز وزارية بعد انقلاب سنة ١٩٦٢ وسفارات هامة.

القاضي محمد راغب بك بن رفيق

وزير خارجية اليمن

خـدم القـاضي محمـد راغب بن رفيق جلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الـدين كوزيـر لخارجيـة حكومتـه مدة ٢٠ سنة. أما خدمته في اليمن فقـد بلغت ٤٥ عاماً لأنه سبق وأمضى ما يقـارب الخمسة والعشرين عامـاً كموظف كبيـر في الإدارة العثمـانيـة المحتلة. وفيمـا يلي ملخص للمناصب التي شغلها في حياته:

بدأ حياته العملية كملحق عسكري في روسيا وأنهاها في اليمن.

عين وهـو لا يزال ضـابطاً صغيـراً ملحقاً عسكـرياً في سـانت بطرسبـرغ وكان موضع عطف وتقدير الأمبراطورة الوالدة.

في العقد التاسع من القرن التاسع عشـر انتقل كملحق عسكـري في السفارة العثمانية في باريس.

في ١٩٠٢ عين قنصلاً عاماً للأمبراطورية العثمانيـة في الجبل الأسـود، وكان موضع تقدير الملك بطرس، ثم أصبح بعـدها منـدوباً عـاماً على الحـدود العثمانيـة والجبل الأسود.

عين بعدها مرافقاً للسلطان عبد الحميد الثاني.
نقل إلى البلاد العربية كحاكم لطرابلس الشام.
ثم قائمقاماً في الحديدة ـ تعز ـ سعى لترميم مسجد الجند التاريخي.
في ١٩١١ نقل إلى مكة المكرمة كسكرتير عام لحاكم الحجاز العثماني.
ثم قائمقام الحديدة للمرة الثانية.

في ١٩١٦ عندما كـان قائمقـاماً لتعـز رافق القوات العثمـانية إلى لحـج حيث ضم سلطنتي العبـادل والحواشب وإمـارة الضالـع الأميريـة إلى ولاية تعـز التي كان يحكمها خلال الحرب العالمية الأولى.

بعـد الحرب الأولى أقنـع الإمام راغب بـك للبقاء في خـدمته لتنـظيم الدولـة اليمنية بعد مغادرة العثمانيين لبلاده.

في ١٩٢٢ سمح الإمام لراغب بالعودة إلى تركيا على أمل رجوعه إلى اليمن. قام صديقه السر بـرنارد ويلي والي عـدن بترتيب سفـره على ظهر بـارجة حـربية من عدن إلى استامبول.

بقي راغب في تركيا بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٦ ـ لم يرق له التغيير الذي حصـل في الحكم في تركيا وبناء على رجاء الإمام لمصطفى كمال سمح لـراغب بالعـودة إلى اليمن مع الاحتفاظ بحقه ورتبته التركية.

بين أعوام ١٩٢٦ ـ ١٩٤٦ شغل منصب وزير خارجية اليمن ـ لم يغادرهـا إلا بالوظيفة إلى مصر وعدن ـ أسكنه الإمام في أحد قصوره في شرارة.

فاوض لعقد معاهدات مع الاتحاد السوفياتي سنـة ١٩٢٧ ـ العربيـة السعوديـة ١٩٣٤ ـ بـريطانيـة سنة ١٩٣٤ ومـع الولايـات المتحـدة سنـة ١٩٤٦ ومـع إيـطاليـا الخ...

أشـرف على أعمال نحـو ٥٠٠ موظف تـركي رفضوا الـرحيل عن اليمن بعـد جلاء العثمانيين عنها.

تقاعد قبل مصرع الإمام يحيى بوقت قصير عنـدما أسـنـدت وزارة الخارجيـة إلى سيف الإسلام عبد الله.

عينه الإمام يحيى مستشاراً للدولة وبقي كذلك في عهد الإمام أحمد.

تـوفي في منزلـه في صنعاء في ٥ ينـاير سنـة ١٩٥٩ عن عمر نـاهـز الثمـانيـة والثمانين عاماً، رغـم أن كبار رجال الدولـة حاولـوا الإيقاع بـه لدى الإمـام فإنـه ظل موضع ثقته.

كان راغب بك يعزني ويثق بي ويطلعني على ما يلاقيه من جفاء من أكثرية كبار رجال الدولة اليمنيين. سألته ذات يوم كيف تمكن من عيش تلك السنوات الطويلة في اليمن فأجابني: «من قلة الموت كما يقول أهالي طرابلس الشام».

أما الزوار العرب والأجانب الذين قدموا إلى اليمن في عهده فلا يزالون يذكرون لطفه وعلى الأخص لدى استقباله ضيوفه في منزله منحنياً وسائراً إلى الوراء لفرط تهذيبه ومخاطباً إياهم بعبارات رنانة مثل «شرفتم بالعز والإكرام أفندم».

كان رحمه الله محبًّاً للخير والإحسان، يحدب على الأيتام ويساعدهم ما أمكن على شق طريقهم في الحياة.



القاضي محمد راغب بك بن رفيق وزير خارجية اليمن

الفصل الثامن عشر

التحاقي بسكرتيرية الأمم المتحدة
اجتماع جدة الثلاثي سنة ١٩٥٦

انتدابي للعمل في بعثة الأمم المتحدة في الصومال:

بعد أن اشتركت بحضور ثلاث دورات للجمعية العامة للأمم المتحدة بين ١٩٤٩ و ١٩٥١ كمستشار للوفد اليمني، وبعد أن ساعدت السيد عبد الرحمن أبو طالب على تأسيس المفوضية اليمنية في واشنطن، ونظراً لعدم تمكني من العودة إلى اليمن لأسباب صحية فقد سعيت للالتحاق بسكرتيرية الأمم المتحدة وقد تم لي ذلك في أوائل عام ١٩٥٢ عندما جرى تعييني كرئيس مساعد لقسم الشرق الأوسط وأفريقيا في سكرتيرية مجلس الأمن، ورغم إلحاح جلالة الإمام أحمد بوجوب عودتي إلى عملي في اليمن. كان الإمام قد أذن لي بمرافقة وفد بلاده إلى دورة الجمعية العامة لعرض نفسي على الأطباء في نيويورك، ولما لم أعد إلى اليمن بعد انتهاء الدورة المذكورة كتب إلى السيد عبد الرحمن أبو طالب ليسأل عن موعد عودتي وعن سبب تأخري في نيويورك، وأنه إما أن أكون قد تعافيت تماماً خلال مدة غيابي عن اليمن ولم يعد هناك من مبرر لبقائي في أميركا أو إنني مريض لدرجة لا أمل لي منها بالشفاء. على كل تكرم الإمام بعدها ووافق على استقالتي.

من إحدى واجباتي في سكرتيرية مجلس الأمن كانت تقديم تقرير يومي عن أهم الأحداث السياسية في كل بلد من بلدان الشرق الأوسط وأفريقيا مع تجنب التعرض للشؤون الداخلية فيها، كما كان على دائرتنا إعداد أوراق العمل المتعلقة

بالمشاكل حول وجوب منح دول الاستعمار الاستقلال لمستعمراتها وبينها عدد من الدول العربية.

المهمة التي أسندها الي السكرتير العام للأمم المتحدة في الصومال

في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٥ اختارني السكرتير العام للأمم المتحدة لإشغال وظيفة المستشار السياسي والإعلامي لبعثة الوصاية التابعة للأمم المتحدة في مقديشيو ـ الصومال، وكان من أهم واجبات هذه البعثة الإشراف على انتقال كافة السلطات من الإيطاليين إلى الصوماليين بعد نيلهم الاستقلال لكونهم أصحاب البلاد الحقيقيين.

كان عليَّ استقبال الصوماليين والسماع لشكاويهم ضد رجال الحكم الإيطالي ورفع هذه الشكاوي إلى لجنة الوصاية في الأمم المتحدة لمراجعة الحكومة الإيطالية بخصوصها. لم تكن هذه السلطات راضية عن عملي وتشجيعي لأفراد الحكومة الصومالية وأحزابها وحثهم على الإلحاح بانتقال مقاليد الحكم إليهم.

كان علي الاجتماع بقادة الحزبين السياسيين الكبيرين وبأعضاء المجلس التشريعي الصومالي وبحضور جلسات ذلك المجلس الذي كان قد افتتح جلساته بقرارين هامين هما:

١ـ إقرار الإسلام ديناً رسمياً للجمهورية الصومالية.

٢ـ إقرار اللغة العربية كلغة رسمية للدولة.

كما وإنني حاولت قدر الإمكان إحلال التفاهم والتصافي بين الصوماليين والجالية اليمنية والحضرمية والعدنية وتناسي ما علق بالأذهان من مساندة بعض العمال العرب سابقاً للإيطاليين في حروبهم ضد الصوماليين ـ فالصوماليون عموماً متدينون ومسلمون أقحاح ويساندون كافة القضايا العربية بدافع إسلامي قوي، وهم الآن أعضاء في جامعة الدول العربية يسعدني أن أكون قد ساعدت الوزير المصري المفوض كمال الدين صلاح، عضو المجلس الاستشاري لبعثة الأمم المتحدة في الصومال في جهوده الحميدة لتحرير الصومال من بقايا الحكم الاستعماري. لن ينسى الاخوان الصوماليون ما أسدى إليهم الوزير صلاح الذي كان في طليعة

المدافعين عنهم والذي استحضر البعثة الأزهرية والمدرسين المصريين للعمل في اليمن وعلى حساب الجمهورية العربية المتحدة.

لأسباب صحية قاهرة عدت إلى لبنان وقدمت استقالتي إلى السكرتير العام للأمم المتحدة الذي أرسل لي كتاب شكر لما قمت به من خدمات في الصومال. قبيل مغادرتي مقديشيو أقام لي الوزير صلاح حفلة غداء دعا إليها كبار الموظفين الصوماليين وأعيان الجالية العدنية واليمنية وأعضاء البعثات المصرية، كما أقام التاجر اليمني المعروف الشيخ أحمد علوي القربي حفلة مماثلة. كما وإنني شاركت قبيل سفري في استقبال قنصل اليمن العام محمد الزهيري المعين في الصومال.

صعقت لدى سماعي بعد عودتي إلى لبنان نبأ اغتيال الوزير المجاهد على يد مجرم صومالي أثيم مدفوع من بقايا المستعمرين وأذنابهم المناهضين لنيل الصومال استقلاله. وهكذا قضى ذلك البطل العربي المجاهد واستشهد في سبيل تحقيق استقلال الصومال.

دعوتي لمقابلة الإمام أحمد

تسلمت في شهر ابريل سنة ١٩٥٦ وكنت آنئذ الضابط السياسي في بعثة الأمم المتحدة في العاصمة الصومالية «مقديشيو» برقية من جلالة الامام أحمد يستدعيني للسفر على عجل لمقابلته في الحديدة لأمر في غاية الأهمية. لم يكن من السهل علي إذ ذاك تلبية طلب جلالته لأنني كنت موظفاً في المنظمة الدولية ومحذراً علي بموجب الوظيفة التدخل بأي أمر والقيام بأي مهمة خارج نطاق الأمم المتحدة، كما وأنه لم يكن من السهل على جلالته أيضاً تقدير ذلك والاقتناع به. وجدت أن أفضل حجة أتذرع بها هي طلب إجازة مرضية لمدة أسبوع وسط استغراب المسؤولين في سكرتارية الأمم المتحدة لدى إطلاعهم على رغبتي في إجراء تلك الفحوصات الطبية في اليمن وليس في وطني لبنان.

سافرت من مقديشيو جواً إلى عدن ومنها بالسيارة إلى مدينة تعز ثم بالطائرة إلى ميناء الحديدة حيث كان جلالة الإمام وسيف الإسلام البدر وباقي كبار رجال

الدولة. لدى وصولي إلى دار الضيافة في الحديدة زارني معالي القاضي محمد عبد الله العمري مرحباً بقدومي ومعزياً نيابة عن جلالة الإمام بوفاة المرحوم والدي وقد أخبرني أن جلالته سيقابلني مساء ذلك اليوم وأنني سأسافر في معيته والوفد المرافق إلى جدة في اليوم التالي لعقد اجتماعات مع جلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بغية عقد حلف دفاعي بين الدول الثلاث ـ حاولت الاستفهام من القاضي محمد عن بعض النقاط المتعلقة بالمهمة التي ستسند إلي فأجابني بأن جلالة الإمام سيطلعني على تفاصيل ذلك في المساء.. بعد انصراف القاضي العمري زارني أحد أعوان سمو سيف الإسلام البدر للترحيب بي أيضاً ولإبلاغي سرور سموه لتمكني من ترك وظيفتي الدولية وتلبية طلب جلالة الإمام مؤكداً أن جلالته يعول على معرفتي وخبرتي في كل ما يتعلق بالنواحي اليمنية الجنوبية المحتلة التي سيجري بحثها في المؤتمر الثلاثي وهو واثق من إخلاصي خصوصاً بعد زيارته لعدن عام ١٩٤٦.

قابلت جلالة الإمام مساء فكرر ترحيبه وتعازيه لي ثم أوجز لي القصد من عقد المؤتمر الدفاعي الثلاثي في جدة وأنه يريدني أن أعدّ ورقة مسهبة عن ظروف الاحتلال البريطاني لمدينة عدن وما جاورها من الأراضي اليمنية الجنوبية لاطلاع وفدي السعودية والجمهورية العربية المتحدة على ذلك ولاتخاذ قرار يسند مطالبة المملكة المتوكلية اليمنية باستعادة جنوبها السليب ولو بإجراء استفتاء عام في هذه النواحي اليمنية المحتلة الذي سيأتي ولا شك في صالح العودة إلى أحضان الوطن الأم ـ اليمن ـ أجبت جلالته بأنني سأعد الورقة المطلوبة فوراً وإنما أنصح بتجنب إثارة فكرة الاستفتاء في الوقت الحاضر. لم يكن الإمام مرتاحاً لنصيحتي هذه وألح بوجوب ذكر ذلك وقد لاحظت من نظرات القاضيين حسين بن علي الحلالي القائم بأعمال رئاسة الوزارة، والقاضي محمد العمري أنهما مؤيدان كلياً لاقتراحي رغم عدم الجرأة على المجاهرة بذلك طبقاً للعرف والبروتوكول المتبع في الديوان الملكي أي بعدم معاكسة آراء ورغبات الحضرة الشريفة حتى ولو كانوا متأكدين من عدم إصابتها.

بعد استئذاني بالانصراف قابلت القاضيين الحلالي والعمري فسارعا للثناء على النصائح التي أسديتها لجلالة الإمام حول قضية الجنوب اليمني المحتل وقد قال لي أحدهما بالحرف الواحد «والله لو أجرينا استفتاء عاماً في صنعاء أو تعز أو الحديدة لجاءت النتيجة في غير صالحنا فكيف بالأحرى في النواحي المحتلة التي يغبطها اليمانيون عموماً رغم ما في تلك النواحي من شوائب ومظالم هي توأم الاستعمار في كل مكان وزمان.»أكدت أن ما ذكراه ليس بخاف على جلالة العاهل السعودي والرئيس جمال عبد الناصر. أخبرني القاضي العمري أن جلالة الإمام ليس راضياً عن شدة تعلق ولي عهده الأمير البدر بالرئيس عبد الناصر وبالهالة التي يحيطه بها والاستعداد الذي يبديه لرمي اليمن وإمامها في أحضانه. لم أستغرب سماع ذلك إذ أنني كنت أدرك مدى الغيرة التي يشعر بها الإمام وكبار رجال دولته لدى سماعهم أي ثناء على أي حاكم عربي ملكاً كان أم رئيس جمهورية أم وزيراً نافذاً الخ. لقد كان الأمير البدر متأكداً من أن تقربه من الرئيس عبد الناصر والاستعانة بما بإمكان الجمهورية العربية المتحدة تقديمه إلى اليمن من معونات في حقول الإدارة والاقتصاد والصحة والتعليم والمواصلات والجيش الخ، سيساعد اليمن على الانتقال من القرون الوسطى إلى عتبة القرن العشرين

حضرت صباح اليوم التالي إلى مطار الحديدة الذي كان يعج بالمودعين والمتفرجين فإذا بي إمام طائرات ثلاث أرسلتها الحكومة السعودية لنقل جلالة الإمام ومرافقيه وكنت أظن أن عدد أعضاء الوفد لن يتعدى العشرة فإذا العدد أضعاف ذلك. تقدمت من جلالته للسلام عليه وكانت دهشتي كبيرة عندما رأيته يحمل فوق كتفه بندقيته الثقيلة. وحزامان من الرصاص رغم أنه كان بالكاد يستطيع المشي بمساعدة اثنين من حرسه اللذين اتكأ عليهما وعلامات الضعف والإرهاق بادية على وجهه. سألت أحد الأصدقاء عن سبب حرص الإمام على حمل السلاح الذي عادة ما ينقله الجنود لا الضباط فكيف بالأحرى جلالة ملك وإمام فأجابني إن جلالته ذاهب لحضور مؤتمر دفاع ثلاثي ويريد أن يفهم زميليه في المؤتمر العاهل السعودي والرئيس عبد الناصر بأنه على أتم الاستعداد للبدء بنفسه في واجبات الدفاع عن ضمار وحمى الأمة العربية.

الأمر الآخر الذي استرعي انتباهي هو اصطحاب جلالة الإمام لكافة الشخصيات القوية والنافذة في حكومته من مدنيين وعسكريين ويظهر أن بعض الأئمة قد درجوا علي خطة اصطحاب كل من يخشون شرهم لدى انتقالهم من العاصمة صنعاء حتى إلى المصائف المجاورة داخل اليمن فكيف بالأحرى إذا كان الانتقال إلى خارج حدود الوطن؟ فبهذه الطريقة الدبلوماسية يظهر الإمام تقديره لمن يختاره أو ينعم عليه بشرف مرافقته وفي الوقت نفسه يضمن عدم انقضاضهم عليه وهو خارج البلاد. لقد طالعت امثال تلك البوادر التي سبق واعتمدها عدد من الأئمة السابقين.

ففي اليوم التالي لوصول الوفد إلى جدة اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود بن عبد العزيز والإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بغية عقد حلف دفاعي ثلاثي وكان الأمير البدر كما سبق وذكرت قد بذل جهوداً جبارة لإقناع والده بوجوب الانضمام إلى هذا الحلف ولمقابلة الرئيس عبد الناصر والتعرف إليه.

كان الإمام أحمد قد أصر على ولده قبيل السفر إلى جدة بعدم الانجراف في التيار التحرري الناصري. فعند مقابلة الرئيس عبد الناصر للإمام في قصر الضيافة التي اتسمت بالود قال الرئيس للإمام «أنت يا جلالة الإمام كبيرنا ومنك نستمد البركة والدعاء» مما أثار قريحة الإمام وعواطفه الفياضة وألقى كلمة استغرقت نحو العشر دقائق وكلها إشادة ببطولة الرئيس عبد الناصر وهذا ما كان قبل يومين ينهي ابنه الأمير البدر عنه ويلح عليه بوجوب تجنبه.

أسفرت المحادثات عن عقد اتفاقية الدفاع المشترك وأبدى الرئيس عبد الناصر استعداده لمد حكومة اليمن بالخبرات الفنية ولمساندة المساعي التي يقوم بها البدر لتحسين بلاده. كان رد الإمام أحمد علي ذلك هو «يجب الاختيار بين الاستقلال والفقر والاحتلال والثروة وأنني قد اخترت الاستقلال». وكأن الاستقلال يتنافى مع الرخاء.

لدى إمضاء هذا الاتفاق تعهدت المملكة العربية السعودية كما أشيع بدفع

عشرة ملايين دولاراً إلى اليمن وقد لاقى عقد هذا الاتفاق التأييد الكامل من الأحرار اليمنيين الذين أصدروا بياناً بهذا الخصوص.

ورد في كتاب الدكتور محمد سعيد العطار «التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن» ما يلي: «يعود الفضل الأكبر في دخول اليمن في عضوية هذا الاتحاد إلى الأمير محمد البدر وتعلقه بقيادة عبد الناصر وإعجابه الشديد به. الدوافع التي دعت الإمام للانضمام إلى ذلك الاتحاد ولو على مضض كان التأثر المتعاظم للجاليات اليمنية في الخارج التي اتخذت من إذاعة صوت العرب المصرية وسيلة لمهاجمة وانتقاد الحكومة اليمنية وقد ظن الإمام أنه بدخوله الاتحاد سيتمكن من إسكات تلك الحملات، كما وإن شعبية عبد الناصر داخل اليمن تعاظمت إلى درجة حدت بالإمام إلى محاسنته والتقرب إليه رغم ما كان يضمره له من أحقاد إذ لم يكن يخلو منزل داخل اليمن من رسم الرئيس عبد الناصر.

أوفد عبد الناصر إلى اليمن عدة بعثات عسكرية واقتصادية وثقافية التي لم تتمكن من الاتيان بأي عمل يذكر رغم شدة الحاجة لها في مصر فعادت إلى بلادها بعد أن لاقت شتى أنواع المشاق وعدم الاكتراث. والذي يبدو أن جلالة الإمام ومن قبله والده كانوا يقبلون بدخول البعثات المعروضة عليهم والمقدمة لهم مجاناً لذر الرماد في العيون وحتى يقال أن اليمن تستحضر البعثات العلمية والفنية بقصد التقدم ولكن بالفعل كان مخططاً لهذه البعثات سلفاً عدم التمكن بالإتيان بأى عمل مفيد وأذكر أن بعض الفلسطينيين الذين وصلوا في أواخر سنة ١٩٤٩ لم يجدوا أي عمل يقومون به ولا مكاتب يعملون فيها وقد قال أحدهم يوماً أن عملي اليوم كان ككل يوم وهو تعداد عدد الخيول والبغال الداخلة إلى الزريبة قرب المقام الشريف في تعز والخارجة منها.

حلف جدة الثلاثي

النص الكامل للاتفاق العسكري الثلاثي

بين مصر والمملكة العربية السعودية واليمن

إن حكومات جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية توطيداً لميثاق جامعة الدول العربية وتوكيداً لاخلاص الدولة المتعاقدة لهذه المبادىء ورغبة منها في زيادة وتقوية وتوثيق التعاون العسكري حرصاً على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وإيماناً منها بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملاً رئيسياً في تأمين سلامة واستقلال كل منها وتحقيقاً لأمانيها في الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية وأنابت عنها الموقعين الآتية أسماؤهم:

عن حكومة مصر: الرئيس جمال عبد الناصر ـ وعن حكومة المملكة العربية السعودية حضرة صاحب الجلالة الملك السعودي عبد العزيز ـ وعن حكومة المملكة المتوكلية اليمنية حضرة صاحب الجلالة الإمام أحمد ـ بعد تبادل وثائق التفويض التي تخولهم سلطة كاملة والتي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقوا على ما يلي:

المادة الأولى ـ تؤكد الدول المتعاقدة حرصها على دوام الأمن والسلام واستقرارها وعزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية.

المادة الثانية ـ تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو على قواتها اعتداء عليها. ولذلك وأنه عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانها تلتزم بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الأمن والسلام إلى نصابهما وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وبما اتخذ في صدده من تدابير وإجراءات وتتعهد الدول المتعاقدة بألا تعقد أي منها صلحاً منفرداً مع المعتدي أو أي اتفاق معه بدون موافقة الدولتين الأخريين.

المادة الثالثة ـ تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب أحداها كلما توترت

واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في سلامة أراضي أي واحدة منها أو استقلالها، وفي حالة خطر الحرب الداهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف.

المادة الرابعة ـ أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات الدول المتعاقدة فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ.

المادة الخامسة ـ تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدول المتعاقدة إنشاء الجهاز التالي: مجلس أعلى ـ مجلس حربي ـ قيادة مشتركة.

المادة السادسة ـ

١ـ يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدول المتعاقدة وهو المرجع الرسمي للقائد العام للقيادة المشتركة الذي يتلقى منه الجميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته.

٢ـ يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربي تنظيمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها، وهو المختص بالتعديلات التي تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربي، وللمجلس الأعلى حق تكوين اللجان والمجالس الفرعية أو الموقتة عند اللزوم.

٣ـ يختص المجلس الأعلى بالنظر في التوصيات والقرارات التي يصدرها المجلس الحربي مما هو خارج عن اختصاصات رؤساء الأركان.

٤ـ يصدر المجلس الأعلى اللوائح التي تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربي.

المادة السابعة ـ

١ـ يتألف المجلس الحربي من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ورئيس هيئة أركان حرب الجيش السعودي ورئيس هيئة أركان حرب الجيش اليمني، وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة.

٢ـ يصدر المجلس الحربي توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية وعن كل ما يتعلق بها في الدول المتعاقدة.

٣ـ يدرس المجلس الحربي البرامج الموضوعة من قبل القيادة في تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادته، كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدول المتعاقدة ويتخذ الإجراءات الكفيلة بتحقيقها ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره.

٤ـ لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التي تعرض عليه وينظم المجلس الأعلى هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها.

المادة الثامنة ـ

١ ـ تشمل القيادة المشتركة:

(أ) القائد العام

(ب) هيئة أركان حرب

(ج) الوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها ـ تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهي ذات صفة دائمة.

٢ـ يتولى القائد العام قيادة القوات التي توضع تحت أمرته وهو المسؤول أمام المجلس الأعلى.

٣ـ يختص القائد العام بما يلي:

(أ) وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التي تضعها الدول المتعاقدة تحت أمرته بحيث تصبح قوة موحدة وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربي لتحقيقها ورفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها.

(ب) إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة أي احتمال متوقع من اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدول المتعاقدة أو على قواتها ويعتمد في إعداد هذه الخطط ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات.

(ج) توزيع القوات التي تضعها القوت المتعاقدة تحت أمرته في السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة.

(د) وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربي لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى.

٤ـ يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام، أما باقي هيئة القيادة فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المهني.

المادة التاسعة - تضع الدول المتعاقدة تحت تصرف القيادة المشتركة في حالة السلم والحرب القوات التي يرى المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت أمرته وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى.

المادة العاشرة - تدفع كل دولة من الدول المتعاقدة الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل في القيادة المشتركة والمجلس الحربي واللجان الأخرى وفقاً لأنظمتها المالية الخاصة بها.

المادة الحادية عشر - ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التي قد تترتب على كل من الدول المتعاقدة بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة والمسؤوليات التي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولي.

المادة الثانية عشرة - مدة هذه الاتفاقية خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى.

وهكذا ولأي دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدة المذكورة سابقاً.

حررت هذه الاتفاقية في جدة في ٢١ أبريل سنة ١٩٥٦ ميلادية - وقد وقع على هذه الاتفاقية من أربع نسخ واحتفظ كل من الأطراف الثلاثة بنسخة وترسل النسخة الرابعة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

عن جمهورية مصر: جمال عبد الناصر حسين.
عن المملكة العربية السعودية: **سعود بن عبد العزيز**.
عن المملكة المتوكلية اليمنية: **أحمد حميد الدين**.

الفصل التاسع عشر

أحداث ونوادر وزيارات

أحيكم برأس الامام

لم يكن لإخواني السوريين واللبنانيين ولي من فرصة أو سبيل لممارسة أي نوع من الرياضة البدنية التي ألفناها في مدارسنا سوى ركوب الخيول، التي تنقلنا بين منازلنا ومكاتبنا ولذلك فكرنا بضرورة اللجوء إلى نوع من الرياضة لا يسبب أي استهجان أو انتقاد من اليمنيين وذلك للمحافظة على صحتنا ولياقتنا البدنية.

زارت صنعاء بعثة أجنبية دعتنا ذات يوم للخروج معها إلى قرب ثكنات الجيش حيث بالإمكان إقامة مباراة في كرة القدم بينها وبيننا وقد دعونا الأمير سيف الإسلام القاسم والقاضي محمد راغب لحضور المباراة فلبيا الدعوة، ورغم أننا خسرنا المباراة بسبب الانقطاع الطويل عن ممارسة اللعبة فقد كانت مناسبة سارة لنا جميعاً. غادرت البعثة الأجنبية هذه صنعاء وتركت لنا الكرة التي استعملناها في المباراة.

سألنا الأمير القاسم إذا كان هنالك من مانع لممارستنا لعبة كرة القدم مرة أو مرتين في الأسبوع للمحافظة على صحتنا وهو وزير الصحة فأجاب بأنه لا يعتقد أن هنالك أي مانع ونصحنا باختيار مكان غير مأهول للعب كي لا يتجمع الأولاد حولنا ويزعجوننا. تجولنا حول صنعاء فوجدنا مكاناً مناسباً بالقرب من قاع اليهود فدخلناه مع فريق من الأصدقاء للنزهة والرياضة.

بعـد نحو ربـع ساعـة من بدء اللعب رأينـا يمنياً يجـري باتجـاهنـا وهـو يـردد نداءات لم نفهمها لأن اللهجـة اليمنية المحليـة يصعب فهمها على العـرب القادمين حـديثاً إلى اليمن. تـابعنا اللعب، ولمـا جلسنا لـلاستـراحـة تقـدم الأخ اليمني منـا لإشعارنا بأنه سيتقدم بشكوى ضدنا إلى جلالة الإمـام لأنه «قـد حجرنـا برأسـه» فلم نعر ذلك أي اهتمام وبذلك اقترفنا ذنبين، أولهما عدم الاكتراث عندما حجرنا برأس الإمام، وثانيهما دخول أرضه دون إذنه.

«أحجركم برأس الإمام» معناها أطلب منكم برأس الإمـام الخروج من أرضي فوراً. حاولنا أن نقنعه بأننا لم نفهم كلامه وأننـا مثله نجل رأس جـلالة الإمـام ولكن دون جدوى.

جاءني في اليوم التالي أحد مـرافقي القاضي عبـد الله العمري رئيس الـوزراء وطلب مني الذهاب لمقابلة القاضي عبـد الله الذي اختـارني من بين زملائي لكـون مكتبي قـريبـاً من مقـره، فـاجـأني لـدى وصـولي بـالسؤال عن سبب تجـرئنـا على الاستمرار في اللعب بعد أن حجـرنا صـاحب الأرض برأس الإمـام لمغادرة أرضـه؟ أكدت له أنني وأخواني لم نفهم كلامه وإننا أوقفنـا اللعب عندمـا توضـح لنا معنـاه، وإننا حريصون على احترام رأس جـلالته وأكـدنا لـه بأننـا لن نعود إلى ممـارسة أي شكل من الرياضة فتقبـل العذر ونصحنـا بالكف عن اللعب بـالكرة كـالأولاد الصغار وبسراويل قصيرة وغير لائقة لأننا موظفو الدولة، والشعب يحترمنا ويقدر أعمالنا.

الذي اتضح لي فيما بعد أنه إذا حجر أي يمني يمنياً آخر برأس الإمام ليرافقه إلى مجلس الإمام بقصد الشكوى فعليه الاستجابة لذلك.

وهكذا انتهى موسمنا الرياضي بعد مبـاريتين خوفـاً من أن نحجر ثـانية بـرأس الإمام واتقاء للمشاكل في المستقبل.

الدويدار

لا أعلم أصل هذه الكلمة التي تطلق في اليمن على الـولد بين سن السـابعة والثانية عشرة الذي يخدم في جناح الحريم ولعلها تركية. فالدويدار هو بمثابة ساعي

البريد أو ضابط الاتصال بين الحرملك والسلملك أي جناحي الحريم والرجال، فينقل إلى المسؤول في القصر أو المنزل قائمة المحتاجات اليومية من مأكولات وملبوسات وغيرها ورسائل من السيدات إلى أزواجهن وأولادهن في الطابق الأسفل من المنزل حيث يجلس الرجال. أما الذين يستخدمون الدويدار فهم عادة علية القوم وأثرياؤهم فيعاملون هذا الصغير برفق وعطف ويلبسونه الثياب المزركشة الخاصة ويصبح من أعز أفراد العائلة على قلوبهم.

كان أول عهدي بالدويدار عندما استدعاني جلالة الإمام إلى جناحه الأعلى في قصره، وكان يومئذٍ مريضاً. وصلت إلى مدخل القصر ووقفت أمام مكان حرس القصر فصاح أحد الجنود بأعلى صوته قائلاً: «دويدار طريق» أي أفسح الطريق أمام الزائر يا دويدار. حضر الدويدار ليقودني إلى مكان الإمام وكان كلما صعد درجتين أو ثلاثة من السلالم يصيح «طريق» إشعاراً للحريم بوجوب إخلاء الطريق للزائر الصاعد إلى غرفة الإمام، فيردد الجندي المرافق «طريق لا إله إلا الله والله يحفظ الإمام»، كانت الرحلة شاقة بين الطابق الأسفل والرابع، حيث يستريح جلالته وسماع كلمات «طريق» كل خمس ثوانٍ يجعل الزائر يشعر بنوع من الرعب والمهابة، وكأنه شخص غير مرغوب في دخوله القصر أو مشتبه في أخلاقه أو نواياه. إنني كعربي أدرك الأسباب الداعية لمثل تلك الإجراءات وإنما إذا اضطر أجنبي لمقابلة جلالة الإمام في هكذا ظروف فإنه قد يسيء فهم حقيقة القصد من تلك التدابير.

اقترحت على المسؤولين المقربين من جلالته درس إمكانية تخصيص غرفة منامة خاصة به قرب مقامه الشريف، يستريح فيها عندما يكون مريضاً أو معتكفاً أو صائماً، وبذلك يسهل وصول من يستدعيهم أو يأذن بمقابلتهم من الزائرين وعلى الأخص الأجانب منهم، مع العلم أن جلالته كثيراً ما يعمد إلى الاعتكاف بسبب المرض والصداع والتعب والصوم، أو نزولاً عند نصيحة المنجمين الأفاكين بعدم الخروج لأنه سيتعرض للخطر فتعتكف معه أعمال الدولة وتتعطل مصالح الرعية. أعتقد أن أولئك المقربين لم يجرأوا على مفاتحة جلالته باقتراحي فعدت أقترح عليهم التأكد من إخلاء السلالم الموصلة إلى مكان استراحة جلالته ثم دعوة

الزائرين للدخول دون «التطريق»، أي الصياح «طريق ـ طريق»، ولم يكن هذا الاقتراح الثاني بأوفر حظاً من الأول.

ليأخذ الإمام ضيوفه إلى منازله

في عام ١٩٣٩ استلمت حكومة عدن كتاباً من جلالة الإمام يشكو فيه التعديات التي تقوم بها بعض قبائل يافع العليا الكائنة اسمياً تحت الإدارة البريطانية على القبائل التابعة للواء البيضاء اليمني، وألح بوجوب اتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع حد لمثل تلك التحرشات التي قد تقود إلى ما لا تحمد عقباه. عهدت إليّ السلطات العدنية الاهتمام بشكوى جلالة الإمام والقيام بالتحريات اللازمة لمعرفة أسباب تلك الاعتداءات، هذا إذا ثبت وقوعها فعلاً لأن كثيراً ما كان عمال اليمن يرسلون تقارير غير صحيحة أو مبالغ فيها إلى جلالته عندما تقوم قبائلهم بالاعتداء على جيرانهم.

اتصلت بعامل البيضاء مبدياً رغبتي في الاجتماع به في أقرب وقت ممكن للتداول معه في الشكوى اليمنية ضد قبائل يافع العليا. أجاب العامل المذكور مرحباً بزيارتي فاستقليت طائرة إلى مكيراس في سلطنة العواذل وبصحبتي ضابط من الحرس الحكومي وثلاثة من رجاله. بتنا ليلتنا في دار الضيافة الحكومة مكيراس وأرسلت كتاباً إلى العامل بأنني سأزوره عند ظهر اليوم التالي وجاءني جوابه في الليلة نفسها بأنه بانتظار زيارتي. تركت مكيراس جوالي الساعة العاشرة صباحاً وقد لاقاني في منتصف الطريق الشيخ سالم بن حسين الرماح ابن شيخ مشائخ البيضاء ونحو ثلاثين من المستقبلين جلهم من التجار اليمنيين الذين يعملون في عدن وفي مقدمتهم الشيخ صالح علوي القربي الذي استضافني في منزله الأنيق في مدينة البيضاء، وقد تفضل وأقام وليمة غداء على شرف زيارتي حضرها المستقبلون وأعيان المدينة. وهكذا كان منزل آل القربي الكرام معداً لاستقبال كبار ضيوف اللواء كما كانت منازلهم في مقديشيو أيضاً مفتوحة دوماً للضيوف العرب في صوماليا وهذا ما خبرته بنفسي خلال عملي كمستشار سياسي لبعثة الأمم المتحدة التي أشرفت على انتقال السلطة سن الإيطاليين إلى أصحاب البلاد الشرعيين.

عند الساعة الثالثة بعد الظهر توجهت مع ضابط الحرس ومضيفي الشيخ صالح القربي والشيخ سالم حسين الرماح لمقابلة العامل الذي كنت قد سمعت الكثير عن تعاليه ولدى دخولي قاعة جلوسه وحوله كبار معاونيه ألقيت عليهم السلام، ولما رأيت أن العامل لم يكلف نفسه عناء الوقوف لاستقبالي كما تقتضي أصول الآداب العامة واللياقة وحسن الضيافة العربية، وقفت في مكاني منتظراً وقوفه فلم يفعل ودعاني للجلوس فأجبته بأنني لن أتحرك من مكاني، ولن أجلس قبل أن يقف ويأخذني بيدي للجلوس بجانبه، وإلا فأنا على استعداد للعودة من حيث أتيت، وإنني قد جئت لزيارته بمهمة رسمية بناء على شكوى وصلتنا من جلالة الإمام، وإنني كنت أنتظر منه استقبالي على مدخل الدار طبقاً لمقتضيات الآداب والضيافة العربية التي لا أظنه يجهلها. أخيراً نهض حضرته معتذراً ومؤكداً أنه يكن لي كل احترام، ثم بدأنا بدرس تفاصيل الشكوى واتفقت معه على أن أتوجه مع الشيخ سالم الرماح إلى حدود يافع العليا في اليوم التالي لإجراء التحقيق اللازم. عدت إلى منزل مضيفي الشيخ صالح علوي القربي بعد أن رافقني حضرة العامل إلى المدخل الخارجي لمنزله داعياً لي بالتوفيق.

غادرت مدينة البيضاء في صباح اليوم التالي وتوقفنا في إحدى قرى لواء البيضاء لقضاء ليلتنا فيها، فأخذني الضابط اليمني المرافق إلى المنزل الذي سنبيت فيه، ولدى وصولنا إلى باحته طلب الضابط من صاحب المنزل فتح الأبواب لضيوف جلالة مولانا فانبرت له الزوجة صارخة بأعلى صوتها، «وما شأننا نحن المساكين بضيوف الإمام؟ على مولانا الإمام إنزال ضيوفه في منازله أو في بيوت عماله وحكامه الذين لم يبقوا لنا شيئاً لنقدمه إلى هؤلاء الضيوف».

تأثرت كثيراً من هذا المشهد المؤلم واقتربت من الضابط وقلت له: إننا لا نقبل فرضكم استضافتنا على أحد وعلى الأخص على الفقراء ونظرت إلى المرأة وزوجها وسألتها إذا كانا يسمحان ببقائنا ليلة واحدة في منزلهما، وإنني مستعد لدفع المبلغ الذي يرتئيانه لقاء ذلك.

وافق الزوجان على بقائنا ورحبا بنا وقاما بتنظيف المنزل، بينما كنا نستريح في الخارج ولدى دخولنا قدمت لهما مبلغ عشرة ريالات نمساوية وطلبت منهما بيعنا

كبشاً لعشاء الجنود والمرافقين، مؤكداً لهما أنني لا أقبل إلا أن أدفع ثمن كل شيء يقدمانه لنا مع إكرامية إضافية.

في صباح اليوم التالي طلبت صاحب المنزل ودفعت أجرة المنزل وثمن الطعام الذي جهزوه لنا مع الأجرة المستحقة فطلبت مني الزوجة العجوز تمديد ضيافتي لهما يوماً ثانياً، فاعتذرت لضرورة متابعة السفر إلى حدود يافع ثم قالت: «أنت الضيف الكريم الذي يدفع ثمن كل شيء قدمناه له لا تبقى إلا يوماً واحداً، بينما ضيوف الإمام وجنده الذين لا يدفعون شيئاً والذين يفرضون ضيافتهم على المساكين. يبقون أياماً ولا يتركونا إلا بعد أن يكونوا قد استنفدوا كل ما لدينا من مؤن».

صحافي عربي متطفل يبايع الامام

وصل إلى تعز صحافي عربي وحل ضيفاً على الحكومة في دار الضيافة.

زارني في اليوم نفسه وسألني عن الموعد الذي حدده جلالة الإمام لمقابلته، فأجبته أنني لم أبلغ رسمياً عن وصوله وعن القصد من زيارته وأن جلالته قد عهد إليّ استقبال الوفود الدبلوماسية والرسمية فقط، ونصحته بأن يكتب إلى الإمام ويبلغه عن وصوله ويطلب موعداً لمقابلته. أكد لي أنه حضر إلى تعز للقيام بمهمة رسمية وعليه يلزم اعتباره موفداً رسمياً. سألته عن الجهة الرسمية التي أوفدته وعن كنه مهمته الرسمية فأجاب بأنه قادم بصفته الشخصية لمبايعة جلالة الإمام أميراً للمؤمنين. أخبرته أنه يحسن والحالة هذه أن يتصل بحاكم المقام الشرعي ويبحث معه الموضوع الذي اعتبره خارجاً عن اختصاص وظيفتي، إذ إن الوفود الرسمية التي تصلنا تأتي للقيام بمهمات دبلوماسية ولا أظن أن مبايعة جلالة الإمام بإمارة المؤمنين لها أي صلة بالدبلوماسية بل هي في نظري محض دينية ولا شأن لي بها.

ظن الزائر الكريم لأول وهلة بأنني غير راغب بمساعدته فأقنعته بأنه مخطىء في ظنه، إذ كثيراً ما يصل إلى دار الضيافة زوار غير رسميين يدعوهم جلالة الإمام لزيارته لسبب ما، وإنه قد يكون هو من هذه الفئة وأن عليه الاتصال بمدير دار

الضيافة الذي عليه إعلام المقام الشريف عن وصوله وعن طلب موعد لمقابلة الإمام. مضت بضعة أيام والضيف بانتظار موعد المقابلة فجاءني يشكو إهمال المسؤولين واستخفافهم بكرام الناس، وسألني إذا كان من اللائق أن يعامل على ذلك النحو، وقد تجشم مشاق السفر وأضاع عدة أيام في الانتظار لكي يقوم بواجب مبايعة جلالة الإمام. قلت له وهل طلب منك جلالته القدوم لمبايعته وهل أنت يمني الجنسية كي تلح على مبايعة جلالته إذ لم أسمع أن أحداً من غير اليمنيين قد قام بهذه المهمة من قبل. أجاب أنه كمسلم استحسن القيام بهذا الواجب المقدس واستغرب كيف أنه قد مضى على وجودي عدة سنوات في اليمن ولم أقم بهذا الواجب بعد. أجبته بأنني لم ولن أفعل ذلك وجلالة الإمام لا ينتظر ذلك من غير اليمنيين الذين سبق لزعمائهم وأهل الرأي فيهم مبايعته فور اعتلائه سدة الإمامة. سألني إذا كنت كما يعتقد غير محبذ لمهمته هذه، فأفهمته أن لا شأن لي بمهمته إطلاقاً وأن المبايعة أو عدمها هي من اختصاصه وحده. وبينما نحن في المداولة دخل علينا أحد الموظفين العرب فكرر له الضيف القصد من زيارته لتعز وما لاقاه حتى الآن من استخفاف وعدم اكتراث، فما كان من هذا الموظف وهو من نفس جنسية الضيف الزائر إلا أن صارحه بأن جلالة الإمام ورجال حاشيته سيتبادر إلى أذهانهم فور الإطلاع على القصد من زيارته بأنه جاء للاستجداء طالما أن جلالة الإمام لا يطلب مبايعته من غير رعاياه. غضب الضيف لاتهام مواطنه له بأنه قد قدم للاستجداء نافياً التهمة وأنه رجل معروف ومتدين ونزيه.

وفي صباح اليوم التالي استدعي الضيف لمقابلة جلالة الإمام الذي لاطفه والذي شكره على المبايعة التي فرضها على نفسه وأمر له بمائتي ريال نمساوي.

عاد صديقنا إلى دار الضيافة غاضباً ومعترضاً على حقارة الهدية التي لا تفي بجزء مما تكبده من نفقات ومشاق للوصول إلى تعز، ودخل غرفتي ورمى الكيس الذي يحوي الريالات على طاولتي وصاح بأعلى صوته: «مائتا ريال فقط لمكافأتي على مبايعتي له - إنني أرفضها وأسحب مبايعتي». ثم أضاف عدة عبارات غير لائقة مما اضطرني إلى الطلب منه الخروج من غرفتي مع فلوسه.

إنقاذ الناجين من ركاب باخرة بريطانية

في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ وصلت أنباء إلى القيادة البريطانية العليا للجيش بأن غواصة عدوة قد تمكنت من إغراق مركب تجاري بريطاني قرب ميناء سلطنة حورة الواقعة غربي مدينة وميناء المكلا في منطقة حضرموت، وأن نحو خمسة عشر رجلاً من الناجين قد وصلوا إلى ميناء حورة وأنهم يرجون سرعة التمكن من إنقاذهم. اتصل القائد البريطاني بالمعتمد البريطاني وطلب منه تعيين أحد ضباطه كي يسافر فوراً إلى حورة وأن مركباً حربياً قد خصصته قيادة البحرية لنقل الضابط المذكور وأعوانه إلى ميناء حورة. كنت آنئذٍ في منزلي فاتصل بي المعتمد البريطاني وطلب مني الاستعداد للسفر خلال مدة ساعة وأنه سيرافقني أحد الضباط العرب بجيش محمية عدن مع بعض رجاله، وأنه لا لزوم لأخذ أي شيء معي لأن قائد المركب الحربي سيجهز لي ولمرافقي كل ما نطلبه وسيخصص لنا الأماكن المريحة لقضاء الليلتين التي قد تستغرقها الرحلة.

وصلنا إلى حورة فجر يوم ٢٨ سبتمبر ووجدنا أن كافة رؤساء فخائذ باشهيد وعضي والسليماني من أهل ذييب وآل عبد الله وخرخوري وحسين بانتظارنا في حصن كبير رؤسائهم. تقدمت من البريطانيين الذين كتبت لهم النجاة بواسطة قوارب النجاة الصغيرة التي استقلوها وهنأتهم نيابة عن حكومة عدن عن نجاتهم وسألتهم إذا كانوا قد لاقوا معاملة حسنة من مضيفيهم أهل ذييب، فأكد لي كبيرهم بأن استقبالهم في حورة كان رائعاً رغم عدم وجود أي شخص يتكلم الإنكليزية بين المضيفين وأن التفاهم قد تم على أحسن ما يرام فيما يختص بالطعام والشرب والمنامة وأنه مع زملائه الناجين لا يعرفون كيف يشكرون هؤلاء القبائل الأفاضل على حسن استقبالهم وتقديم ما تيسر لهم من طعام وشاي وقهوة وأنهم فور وصولهم إلى بلادهم سينشرون على صفحات الجرائد وصف استقبالهم في حورة وما يتصف به الشعب العربي المجيد من كرم ونبل وإكرام للضيف واستعدادهم لمساعدة من يصل إلى ديارهم.

عندئذٍ شكرت مشائخ أهل ذييب على ما أظهروه من أخلاق عالية وكرم وحمية

تثبت للأجانب ما يتحلى به العربي من مزايا وخصال حميدة وإنني سأطلع حكومة عدن على ما شاهدته بعيني وما سمعته من الأشخاص الناجين عنكم فبارك الله بكم وأكثر من أمثالكم. ضفت بأن ضيوفكم هؤلاء قد ألحوا علي نظراً لعدم معرفتهم لغتنا بأن يكرر شكري لكم على معاملتكم الإنسانية لهم وطلبت منهم تعيين اثنين منهم لمرافقتنا إلى عدن لاستلام ما يستحقون من مكافأة وهكذا كان، وقد كان وداع الناجين لمضيفيهم مؤثراً للغاية. أجابني الشيخ أنه ورجاله لم يقوموا بواجب إنقاذ هؤلاء الناجين بغية الحصول على مكافأة وإنما استجابة لما تفرضه المروءة والشهامة العربيتين.

وصلنا إلى ميناء التواهي صباح ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٢ وقد اتخذت الإجراءات اللازمة لإقامة الناجين ثم ترتيب أمر سفرهم إلى بلادهم. كما وأن الممثلين لأهل ذييب استلموا مكافأة الحكومة مع كتاب شكر موجّه للقبيلة وأعيدوا إلى قبيلتهم.

نصراني

كثيراً ما يسيء الزائر العربي للجزيرة العربية وعلى الأخص الجزء الجنوبي الغربي منها فهم هذه الكلمة ويفسرها على غير حقيقتها فالنصراني في بلادنا هو المواطن المسيحي، وقد كان يطلق ذلك على إحدى القائمقامتين اللبنانيتين في أواسط القرن التاسع عشر اسم «قائمقامية النصارى».

أما في اليمن، «شماله وجنوبه» فلفظة نصراني تعني غالباً الأجنبي أو الغريب سواء كان ذلك الغريب عربياً أم أجنبياً مسلماً أم مسيحياً، وإنني لا أزال أذكر أنني طيلة الأيام الثلاثة التي أمضيتها في أحد فنادق عدن كنت أدعى «بالنصراني» ولدى وصولي إلى المنزل المعد لسكني في حي بئر العرب الجديد في صنعاء نادى الجندي الذي يحرس المنزل رفيقه قائلاً «وصل النصراني»، ثم استدعى خادم المنزل لينقل أغراض «النصراني» إلى غرفته ثم أخبر الدكتور أحمد سامي السمان طبيب الجيش اليمني أن «النصراني» ينتظر في غرفته. أفهمهم الدكتور السمان أنني مسلم عربي من لبنان ولست غريباً أو أجنبياً كما يتصورون لا شك أن لون القادمين

إلى اليمن وأكثرهم من الأجانب البيض قد حصر كلمة «نصراني» باللون الأبيض مهما كانت أديانهم وجنسياتهم.

في أول زيارة قمت بها إلى سلطنة الفضلي في اليمن الجنوبي للتعرف على حاكمها وأعوانه قابلني السلطان وأفراد حاشيته امام قصره فترجلت من سيارتي واقتربت منهم قائلاً: «السلام عليكم جميعاً»، فما كان من السلطان أن قال لأحد مساعديه «يظهر أن هذا النصراني يتكلم العربية مثلنا» وعندما أفهمه ضابط الحرس المرافق لي بأنني عربي من لبنان ولم يكن أكثرهم قد سمع باسم لبنان، سألني ما إذا كان وطني لبنان قريب من مصر فأجبته أن لبنان أقرب إلى سوريا وفلسطين منه إلى مصر. ولما حاول الضابط إقناعهم بأنني عربي ومسلم ترددت أكثرية الحاضرين في تصديق ذلك وحتى إشعار آخر.

لم أشعر طيلة إقامتي في جزئي اليمن أو أسمع أي كلمة تمس بالمسيحية أو بالإخوان المسيحيين بل بالعكس كانت الأقلية المتنورة بينهم تذكر اسم السيد المسيح بقولها «سيدنا عيسى عليه السلام»، وكانوا يدركون أن المسيحيين من أهل الكتاب وأن المسيحية دين سماوي عالمي مقدس.

أطرف ما سمعته مؤخراً عن كلمة «نصراني» هو التالي:

زار صنعاء منذ مدة قريبة أستاذ أميركي معروف مع زوجته اللبنانية التي تنتمي إلى عائلة لبنانية مسيحية عريقة، ونظراً للطفها ودماثة أخلاقها، فقد تمكنت من كسب مودة وصداقة جميع الذين قابلتهم هناك. علم أحد المعجبين بأخلاقها أنها مسيحية عربية فنظر إليها متسائلاً:

«كيف يمكن أن تتزوج سيدة مسيحية عربية مثلك من نصراني»؟ أعتقد أن هذه النادرة هي خير مثال لما حاولت نفيه.

الفصل العشرون

عادات وتقاليد يمنية ومتفرقات

المفرج اليمني:

يصف الكاتب الإيطالي «ابونتي» المفرج اليمني كما يلي:

يجتمع اليمنيون في «المفرج» الذي لا بد من وجوده والذي لا غنى عنه في الدار اليمنية على أن بيوت الأعيان وعلية القوم تحتوي على مفرجين أحدهما في الحديقة تظلله أشجار الفاكهة وأمامه النافورة الفخمة والثاني في أعلى القصر.

فالممرج بهو فسيح فتحت فيه كوات وشبابيك عدة في جدرانه وزينت حيطانه بزخارف بارزة من الجص وبه صفان من النوافذ أحدهما فوق الآخر. فالعليا وهي كعيون المها مغلفة بألواح رقيقة من الرخام والبلور. ينفذ من خلالها نور ضئيل وقت الظهيرة.

تفرش أرض المفرج ببسط شرقية زاهية الألوان وحولها وسائد وثيرة يجلس عليها رب الدار محاطاً بضيوفه على الطريقة التركية وتقدم في وسطه النرجيلة الفخمة المزركشة ويقضي الصنعانيون ساعات طويلة في الحديث والسمر وهم يدخنون ويمضغون القات ويبصقون فيما بين ذلك ومن آن لآخر في مباصق معدنية صغيرة وهم في أنس وبهجة وانشراح ويقول «لا أعتقد أن الناظر الغريب بينهم ينشرح لمشاهدة عملية البصق هذه».

الزواج

في **اليوم الأول** يحضر العريس بنفسه أو أحد أقربائه أو أصدقائه إلى بيت العروس للعشاء فقط ثم يعود إلى بيته.

في **اليوم الثاني**: المسمى بيوم «صباح العزيمة» تكون الدعوة في بيت الزوج للغداء يحضرها من أهل الزوجة ضعف عدد من حضر في اليوم الأول.

في **اليوم الثالث**: يذهب العريس صباحاً للسلام على أم زوجته وتسمى في اليمن «العمة».

في **اليوم الرابع**: يحضر جميع أهل الزوج إلى بيت الزوجة ويحضر معهم أهل الزوجة، كما أنه على الزوجة ألا تخرج من بيت زوجها وإلى بيت أهلها قبل العشرين يوماً.

نساء اليمن وعادات الزواج

إن المرأة في اليمن متحجبة ولو في منزلها لمن لا يجوز له شرعاً النظر إليها ولو من أقارب زوجها من الرجال ما عدا والد زوجها الذي يحل له النظر إليها.

ملابس المرأة السروال الطويل الملاصق للأرض ثم ثوب طويل ساتر لجميع بدنها ما عدا الكفين وباطن الرجلين وأكمامه ضيقة ويسمى «الزنة» في اليمن كما وأنها تلبس قميصاً ذات أكمام طويلة كأكمام الرجل. تضع على رأسها مصرّات من القماش الملون ثم منديل كبير أبيض يسمى «فرادى» موشى بالأحمر وبالأسود ثم يوضع فوق ذلك من الذهب الحر الخالص منقوشاً بشكل هندسي ويربط هذا الثوب بحزام حريري مذهب. عندئذ توضع الطرحة المنسوجة من حرير ملون من صنع الهند.

تلبس المرأة في عنقها عقود الكهرب الثمين ذات الحبات الكبيرة وعدة عقود أخرى يتخللها عقداً ذهبياً خالصاً مع حبوب اللؤلؤ والمرجان ثم تضع فوق جبينها عقداً ذهبياً متصلاً بشعر الرأس.

في أيام الأفراح تصبغ المرأة يديها ورجليها بنقوش سوداء.

عادات الزواج في اليمن

يدفع الزوج المهر معجلاً وقد يؤجل دفع النصف منه ويسلم الزوج ما يلزم للزوجة من التجهيز والعزومة اللذين يسميهما أهل اليمن «حق النار». يتراوح المهر بين ٣ ـ ١٠ جنيهات باعتبار الحسب والنسب والشرف الرفيع والوضيع والجمال وعكسه.

يدفع الزوج للزوجة ليلة الدخول «حق الصباح» من ٣ـ ١٠ ريالات يمنية ويدفع في ثالث يوم الزواج من ٣ـ ١٠ ريالات إلى والدة الزوجة لتشتري بها ما يناسبها من لباس حريري أو غيره.

تشتري الزوجة بالمهر الذي يدفعه العريس صيغة لنفسها.

لوازم البيت في اليمن هي على الزوج وكذلك الملبوسات وإذا طلقها زوجها فليس لها منها شيء ويسترجع الزوج الملبوسات الجديدة.

كيفية تجهيز العروسة

تجهيز العرس والولائم يستغرق ثلاثة أيام.

اليوم الأول: يوم الحمام ـ يعزم أهل الزوجة أقارب الزوج من النساء للذهاب معهن إلى الحمام ويجلسن معهن في البيت للأكل والشرب.

اليوم الثاني: «يوم النقش» يحضر أقارب الزوج من النساء إلى بيت العروس لنقش يدي ورجلي العروسة بصباغ أسود معروف وينقش مع العروسة أخص قريبات الزوج والزوجة. يصرفن فترة بعد الظهر حتى المغرب في بيت العروسة حيث يجري إنشاد الأشعار والمدائح النبوية ثم مدح العروسين وأهلهما.

اليوم الثالث: «يوم الدخلة» تجري لدى كل من العريس والعروس عزيمة خاصة يدعى إليها من يشاؤون.

اللباس اليمني

يتألف اللباس اليمني من قميص طويلة تصل حتى أخمص القدمين وهي منيلة يتأزر بها اليمني ويشدها في الوسط بحزام محشو بالرصاص وعلى رأسه قطعة من القماش المنيل فيسيل النيل على وجوه وأجساد اليمنيين عندما يعرقون. فاليمني يطلس جسده بالنيل الممزوج بزيت السمسم، وهكذا يضمن لنفسه جهازاً للتبريد صيفاً وللتدفئة شتاء. يرافق اليمني أيضاً كيس النوم الذي ينام في داخله وهو بكامل ملابسه وسلاحه ويربطه من الداخل.

بعض اليمنيين لا يلبسون أحذية ويفضلون السير وهم حفاة. أذكر أنني بمناسبة أحد الأعياد أهديت الجندي المرافق لي حذاء جديداً ظناً مني بأنه سيسارع إلى لبسه. جاءني في اليوم التالي وهو عاري القدمين فسألته عن سبب عدم استعماله الحذاء الذي أهديته إياه فأجابني بأنه لم يستطع المشي به وأنه قد سبَّب له جرحاً في أعلى قدمه وأنه يريد بيعه فوافقت على طلبه.

أما الشيخ العلامة عبد الواسع الواسعي فأنه يصف تلك العادات كما يلي:

إحدى التقاليد في الأفراح (الزواج) هي أن يهدي المهنئون العريس ما يساعده على تجهيز بيت لسكناه. هذه الهدايا هي بصفة دين، على العريس أن يردها بإهداء هدية مماثلة لدى زواج هؤلاء.

ففي آخر يوم قبل الزواج يؤخذ العريس إلى الحمام لغسله فيحيط به الأهالي الشاهرين السيوف وقد يطلق بعضهم النار في الهواء لطرد الشياطين والأرواح الشريرة.

ففي المآتم يقدم المعزون الرز واللحوم لأهل الميت لمساعدتهم على إعداد الطعام اللازم للجموع التي تحضر للتعزية.

الرهائن

تؤخذ الرهائن لكي تأمن الدولة من دسائس وعصيان القبائل ومشائخها وعلى الأخص الكبرى منها. توضع أكثرية هذه الرهائن وهم بأغلبيتهم أولاد في سن

المراهقة وأبناء المشائخ النافـذين في قبائلهم في سجن القصـر في صنعاء وفي تعـز والحديدة وعواصم الإمارات المختلفة ويجري استبدالهم بغيرهم بطريقة منـظمة بين الحين والآخر.

القيد

القيد هو كناية عن سلاسل حديدة توضع حول رجلي الشخص الذي يرتكب ذنباً ما، وقد يكون وزن هذا القيد ثقيلاً أم خفيفاً نسبة للذنب المرتكب.

شاهدت القيـد لأول مرة في حيـاتي في صنعاء. كـان مكتبي على مقربـة من إدارة المالية ولما كنت أهم لدخـوله ذات يـوم رأيت رجلاً يمشي أمـامي وفي رجليه سلاسل حديدية ثقيلة، كنت أسمع أنهـا تستعمل في بعض البلدان لتقييـد حركـات كبار المجرمين لمنعهم من الاعتـداء على باقي المسـاجين أو على حراس السجن. أما وقد رأيت هـذا الرجـل المقيد يسيـر في باحـة القصر الملكي بـدون حرس فقـد رابني أمره.

دخل هذا الـرجل مكتبي بعـد قليل بقصد السلام والتعـرف علي فاضـطربت لهذه الزيارة المفاجئة. قال لي إنه من أب تركي ووالـدة يمنية، وإنـه يعمل ككـاتب صغيـر في الإدارة الماليـة، وإن سبب وضع القيـد في رجليه هـو تأخيـره عن تقديم لائحـة حساب طلبت منـه بسبب مرضـه، مما حمـل مديـره على سجنـه في مكتبـه ووضع القيد في رجليه. تألمت كثيـراً من هذا المنـظر المؤسف، ولم أشأ أن أبـدي أي رأي في المـوضـوع. أخبـرني هـذا المسكين أن اثنين من زمـلائـه في المكتب مقيدين أيضاً ومسجونين داخل مكتبهم وطلب مني أن أرافقه لرؤيتهم فـاعتذرت عن ذلك بسبب كثرة الأعمال.

عندما بدأت بتدريس اللغة الإنكليزية في دار الأيتام، كان مدير الدار يـزورني للسؤال عمـا إذا كنت أريـد شيئاً وعن سلوك واجتهـاد الـطلاب. ففي إحـدى تلك الزيارات سألني عن سبب تغيب طالبين عن الدرس فأجبتـه بأنني لا أعلم وإن عليـه القيـام بتسجيل أسمـاء الطلاب المتغيبين. ولشـدة دهشتي وألمي حضر إلى الصف في اليوم التالي الطالبان المذكوران والقيـود الحديـدية في أرجلهمـا. توجهت فـوراً

إلى مكتب المدير وأبديت استيائي من هكذا عقاب ينزل بطالب علم صغير، وقلت له إنهم بفعلهم هذا يربون الطلبة ويعدونهم للإجرام، وإنني أوافق على معاقبتهم وإنما على طريقة أخرى كمنعهم من الخروج إلى الملعب وإعطائهم دروس وواجبات إضافية يستفيدون منها ويرتدعون عن التغيب مرة أخرى. أفادني المدير أن تقييد الطالبين جاء بناء لأوامر سمو وزير المعارف ولذلك يحسن ألا أبدي أي اعتراض على ذلك كي لا يستاء سموه مني. أجبته أنه يصعب علي أن أقوم بواجبي في هكذا جو، وأن أتخيل نفسي أستاذاً لمجرمين من الأحداث الذين لا يتجاوز سن بعضهم الاثني عشر عاماً. يظهر أن المدير أسرع إلى دائرة الوزير وقص عليه ما حصل معي وعن احتجاجي على استعمال القيود الحديدية في أرجل طلاب العلم ورجال المستقبل ومن ذلك الحين بدأ سمو الوزير يتعمد وضع العراقيل في طريق عملي، وكان يطلب من والده باستمرار تكليفي بمهام إضافية كعقاب لي.

عدت إلى منزلي ظهراً فوجدت والدي الطالبين المقيدين بانتظاري فسألاني عن سبب طلبي من مدير دار الأيتام وضع القيود في أرجل ابنيهما، فأكدت لهما أن ذلك تم دون علمي، وإنني قد احتجيت على ذلك وأظهرت امتعاضي من إنزال العقاب بالطلاب على تلك الصورة المستنكرة، ولا أعلم إذا كانا قد اقتنعا بكلامي أم لا.

كان القيد هو الجامع المشترك لكافة نزلاء السجون اليمنية من القاتل حتى مرتكبي المخالفات البسيطة التي يفرض على مرتكبها عادة غرامة معينة. وكم كنت أستهجن رؤية موكب فريق من السجناء الفقراء يخرجون يومياً من سجنهم في تعز تحت حراسة جندي للاستجداء في الأسواق كي يتمكنوا من شراء الطعام ودفع أجرة حراسهم المرافقين لهم.

القات

لقد ذكر الدكتور محمد سعيد العطار في كتابه «التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن» عن القات ما يلي:

«القات شجرة لأوراقها خصائص شبيهة بالكوكايين والأفيون يمضغ اليمنيون وريقاتها ذات المفعول المخدر ويحتفظون بالمضغة في أفواههم عدة ساعات. فعند بداية المضغ يجدون حدة في الطعم يصابون بعدها بنوع من الدوار، يليه شعور بتدفق الحماسة والتفاؤل تبدو جميع المشاكل معه بسيطة ويسيرة الحل بفضل الخيال الخصب المتولد، يستمر نشاط الخيال لبضع ساعات فيشعرون بالسعادة، وفيه عزاء للأحزان ولانهيار الأعصاب. فهو يثير الأحداث المنسية ويميل الماضغ إلى الضحك والقهقهة. يميت شهية الأكل والجنس ويسبب الأرق ويبس المعدة. يتوجب معها أخذ المسهلات.

يمضغه الفقراء بغية نسيان بؤسهم، والأغنياء الذين يعيشون في فراغ يتعاطونه لقتل الوقت، ففي فترة بعد الظهر يتوقف كل نشاط في اليمن لأن اليمنيين ينصرفون إلى المضغ حتى غروب الشمس».

ورغم كل ذلك قال الشعراء اليمانيون فيه:

زمرداً يقطف الأصحاب أوقاتاً — يصفو به العيش أحياناً وأوقاتاً

يا عاذلي عن حصول القات مت كمداً — لا تترك القات أحياء وأمواتاً

رأي الاخصائيين في القات

يضعف شهية الطعام فيهزل جسمه ويضعف نشاطه وحريته ويصبح معرضاً للأمراض.

يصاب بالصداع والأرق والإمساك والخمول.

تضعف قواه الجنسية وقد تسبب العقم.

يجعله يقتر على عياله وقد يحرمهم من ضروريات الطعام واللباس كي يتمكن من شراء القات. وقد يقود البعض إلى ارتكاب الرذائل كالسرقة والاحتيال الخ...

تحققت بعض الدول الأفريقية من مساوئه وأضراره واتخذت إجراءات لتحريمه ومنع زرعه.

طريقة مضغه والبصق لدى بعض المخزنين تجعل النـاظر يميـل للتقيؤ، منظر كريه تمجه الأذواق السليمة.

(بطاقة القات) من كتاب التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن (العـطار) عـدد الساعـات التي يضيعها الفـرد في مضغ القـات سنويـاً تتراوح مـا بين ١٨٢٥ - ٢١٩٠ ساعة.

عدد اليمنيين البالغين المقيمين: ٤,١٤٠,٠٠٠ شخص

نصفهم يمضغ القات: ٢,٧٠,٠٠٠ شخص

أي حوالى ٣,٧٧٧,٧٥٠,٠٠٠ ساعة تضاع سنوياً على مضغ القات.

أي ٥ ساعات يومياً تقريباً، أي نحو $\frac{1}{5}$ اليوم يومياً (خمس اليوم) تبذير للطاقة البشرية يجب أن تستغل للإنتاج. هي خسارة فادحة للاقتصاد الوطني.

الطبقات الاجتماعية وألقاب الأسماء والبعثات الطبية والفنية الأجنبية في اليمن

الواقع الاجتماعي في اليمن:

كانت اليمن في الماضي: وقبيل قيام النظام الجمهوري تتكون من الطبقات الاجتماعية التالية:

السادة والأشراف: الطبقة النبيلة الأرستقراطية كبار الملاكين والموظفين وذوي المكانة المرموقة، الذين لهم وحدهم حق انتخاب الإمام. يسكنون المدن في منازلهم الشامخة، ويمضون أكثر وقتهم في مضغ القات.

شيوخ القبائل وطبقة القضاة: يأتون بعد طبقة السادة، كانت هذه المشيخات عبارة عن دويلات ضمن الدولة التي كانت تأخذ منهم الرهائن للتأكد من ولائهم وعدم قيامهم بأي انتفاضة ضدها، ساعدوا الإمام أحمد على استعادة عرشه فأحسن إليهم بزيادة امتيازاتهم إلى درجة أنه سمح لهم خلال ثورة سنة ١٩٤٨ بنهب صنعاء. أما طبقة القضاة فهم حكام الشرع الشريف في كافة أنحاء البلاد.

التجار والحرفيون: هذه الطبقة تتألف من كل الحرفيين ومن يملك رأس مال صغير، وبعض العائلات تمارس التجارة والحرف أباً عن جد، ويشكل هؤلاء جزءاً من أثرياء المدن.

الفلاحون: يؤلفون ٨٠ في المائة من مجموعة الشعب، ومن عرقهم تأتي ثروات البلاد التي لايستفيدون منها إلا قليلاً. إلا أنهم بالكاد يكسبون ما يسد رمقهم.

العبيد: يمكن القول إن التجارة بالرق قد انقرضت في اليمن، كانوا ملكاً خاصاً ومرتبطين بشخص مالكهم وكانوا يعاملون بالحسنى ويتمتعون أحياناً بحرية أوسع من الفلاحين.

الأخدام: هم الطبقة الوضيعة في السلم الاجتماعي، وأكثرهم من أصل حبشي توكل إليهم الأشغال المضنية التي يرفض الغير القيام بها، وهم بالفعل طبقة المنبوذين في اليمن.

الألقاب التي تتمتع بها الأسماء في اليمن:

لقب اسم أحمد	-	صفي الدين أو الصفي - أما لقب ولي العهد أحمد فهو شمس الدين
لقب اسم محمد	-	عز الدين أو العزي
لقب اسم علي	-	جمال الدين أو الجمالي
لقب اسم عبد الرحمن	-	وجيه الدين أو الوجيه كل اسم يبدأ «بعبد»
اسم يبدأ بعبد الله	-	فخر الدين أو الفخري
اسم عبد المحسن	-	حسام الدين أو الحسام
اسم عبد الحسن	-	شرف الدين أو الشرفي
اسم يحيى	-	عماد الدين أو العماد

اليهود في اليمن

بلغ عددهم نحو ٣٠ ألفاً في عام ١٩٣٦.

قال الأستاذ أمين الريحاني عن اليهود في اليمن: «إنهم بحكم الشريعة الإسلامية لهم عهد في ذمة المسلمين، ولذا يقال لهم ذميون وأهل الذمة نسبة لحفظ الزمام وهو العهد. عاشوا تحت رحمة المسلمين وبحمايتهم ويدفعون الجزية».

صنعة اليهود:

صنع الحلي للنساء والأدوات النحاسية المنزلية. عقـود الجص والزجـاج في المنازل كانت أكثر الحرف في أيديهم لكونهم عنصراً نشيطاً جداً. يصيغون الخواتم وأقراط الآذان والسوار والدملاج. كانوا متحابين مع حماتهم المسلمين الذين اعتبروا أنـه من العار الاعتـداء على اليهود لأنهم في كنف الإسـلام وحمـايـة الإمـام. كـان أكثـرهم يتعاطى أيضـاً التجارة والنسيـج والخيـاطـة. نـزحـوا إلى فلسـطين بمحض إرادتهم وبناء على طلبهم.

لقد كان البعض من اليمنيين يتمنون لو أن حكومتهم تعاملهم برفق كما تعـامل اليهود.

الهجرة

من ميـزات اليمن إقدام رجـاله على الهجـرة لأسباب اقتصـادية وهـم من أكثـر الشعوب انتشاراً في أنحاء العالم العربي والإفريقي والغربي. ويبلغ عدد المهاجرين منـه بنحو مليـون شخص، أي بنسبة ٢٠٪ من مجمـوع سكانـه. فاستبـداد الحكـام واستغـلالهم للطبقة العـاملة وما نتـج عن ذلـك من بؤس حمـل هؤلاء على الهجـرة بـالإضافـة إلى الأسباب السيـاسية. بيـد أن هؤلاء المهاجـرين ظلوا على صلة دائمة ببلدهم. وبعيـالهم يرسلون لهم الجـزء الأكبـر من كسبهم ويـزورون وطنهم دومـاً. الهجرة اليمنية كانت سابقاً إلى الصومـال وارتيريـا وبريـطانيا وانـدونيسيا وسنغـافورة والملايو وحالياً إلى مناطق البترول في السعودية والخليج العربي. لقـد ساهم آلاف اليمنيين العـاملين في السعوديـة في خلق نهضة وانتعـاش اقتصاديين في وطنهم الأم اليمن.

إن تغييـر نظام الحكم وتصنيـع الاقتصاد الـوطني والأخذ بـالوسـائل العصـرية لضمان تقدم البلاد قد حدا بالكثيرين إلى البدء بالعودة إلى وطن الآباء والأجداد.

البعثات الطبية والفنية الأجنبية في اليمن

البعثة الإيطالية:

يفوق عدد أعضائها مجموع عدد البعثات الطبية الأخرى بما فيها العربية. كان أعضاء البعثة الطبية الإيطالية موزعين في صنعاء وتعز والحديدة وكان لديها وسائل لاسلكية للاتصال الدائم مع ارتيريا والحبشة المحتلتين من الإيطاليين. قاموا بدعايات واسعة لدولتهم. عدد الأطباء في اليمن عام ١٩٥٤ (١٥) معظمهم من الأجانب.٣ مستشفيات ـ كل منها ٣٠٠ سرير. ارتفع عدد الأطباء إلى ٢٤ في عام ١٩٦٢ أي طبيب واحد لكل ١٢٥٠٠٠ نسمة.

النفط أو الذهب الأسود

لم يكن الإمام أحمد ولا والده الإمام يحيى بن محمد حميد الدين متحمسين للتنقيب عن النفط أو غيره من الثروات والمعادن، لأن الإمام يحيى كان يعتقد أن الراية الاستعمارية تتبع دائماً التاجر أو المستثمر الأجنبي. أما الإمام أحمد فكان يضطرب وينزعج لمجرد ذكر كلمة «نفط» أو غيره من المعادن لاعتقاده الراسخ بأن الشركة الأجنبية التي تحصل على امتياز التنقيب ستنقب أيضاً عن أنجع الوسائل لاحتلال البلد وإخضاعه لسيطرتها إن عاجلاً أو آجلاً، إلى درجة جعلته يتهم رؤساء الدول البترولية العربية والإسلامية بأنها قد تخلت عن بلادها واستقلالها للأجانب لقاء مبالغ زهيدة يتقاضونها ثمناً لنفطهم، إذا ما قيست بالأرباح الطائلة التي يحصل عليها هؤلاء الأجانب من عمليات استخراج وتسويق الذهب الأسود.

عبثاً حاول الكثيرون من كبار زائريه العرب إقناعه بخطأ نظريته، وأن الشركات الأجنبية المستثمرة للنفط لا يهمها سوى المشاركة في الأرباح الناجمة عن عمليات استخراجه واستثماره، وليس الاحتلال والسيطرة على بلادنا ومقدساتنا التي لن تكسبهم سوى عداء كافة العالم الإسلامي ومقاومته لها.

حضر إلى اليمن عدد من الجيولوجيين والخبراء الأجانب في حقل التنقيب

عن البترول، وقد كان عليَّ ترجمة تقاريرهم إلى العربية ليطلع جلالة الإمام على مضمونها ويمكن تلخيص النتائج التي توصلت إليها تلك التقارير بما يلي:

١- استبعد بعضهم وجود النفط في اليمن.

٢- اعتقد البعض أنه في حالة العثور على النفط فإن كمياته قد تكون محدودة مما لا يبرر صرف المبالغ الطائلة لاستخراجه. أي أن عملية التنقيب عنه ستكون خاسرة اقتصادياً وتجارياً.

٣- رجح الفريق الثالث الذي كان أكثر تفاؤلاً من غيره، وجود النفط بكميات تجارية تبرر استخراجه واستثماره، وأوصى بوجوب بدء التنقيب والحفر في أكثر من مكان.

لقد كان هؤلاء الخبراء يعترضون على الخطط التي كان يضعها لهم جلالة الإمام لدى وصولهم ويحتم عليهم اتباعها، إذ كان يرسل هؤلاء الخبراء بصحبة عدد من موظفيه وجنده لزيارة مناطق محددة سلفاً ولا يسمح لهم بإجراء مسح شامل لجميع المناطق اليمنية. كان يحرّم عليهم زيارة المنطقة غير المحددة بناء على تقارير عماله وحكامه الذين لا معرفة لهم البتة في حقل التنقيب والجيولوجيا. وقد قال لي أحد الخبراء: «إذا كان جلالة الإمام متأكداً من الأماكن التي قد يوجد النفط فيها فلماذا يطلب مساعدتنا»؟

إن اعتقادي الشخصي هو أن جلالة الإمام أحمد لم يكن متحمساً لفكرة التنقيب عن النفط ولم يوافق على قدوم الخبراء إلى بلاده إلا تلبية لإلحاح بعض رجال المال والاقتصاد العرب. كان دائماً يوصيني بوجوب عدم اطلاع أحد على مضمون تقارير الخبراء والتأكيد عليهم بعدم إعطاء أي معلومات عن ذلك إلى أحد وقد استنتجت من أحد الزملاء اليمنيين في وزارة الخارجية، إن جلالته يرجو عدم العثور على النفط في بلاده لأن وجوده معناه توفر أسباب الرفاهية والرخاء ويرفع من مستوى معيشة السكان الذين سينصرفون إلى تعاطي الملذات والمحرمات والعيش الرغيد ويهملوا الدين ويأتون بأعمال لا يرضى عنها الله ولا رسوله. طبعاً إن جلالته كان إذا أراد الوقوف في وجه أي مشروع يتخذ من إمكانية انصراف الناس عن الدين

والآداب ذريعة لذلك لأن اليسر والبحبوحة والتقدم الاجتماعي والعلمي والثقافي والاقتصادي كانت تكوّن في نظره اخطاراً على استمرار الإمامة وحكمها الفردي المطلق وبالاختصار نهاية حكمه. لم يكن هذا رأي الإمام وحده بل كان يشاركه ويؤيده في ذلك الإقطاعيون الطبقيون من أمراء ووزراء وعمال وحكام وأثرياء. فلقد كنت أبدي تعجبي لعدم اهتمام الحكومة اليمنية باستثمار ثروتها المعدنية أمام صديق يمني الذي صارحني قائلاً: يعتبر جلالة الإمام وأعوانه الفرد اليمني كالجواد الذي إذا «شبع بطر»، إلى درجة يصعب معها ركوبه. نحمد الله أن أكثر ملوك ورؤساء الدول العربية الغنية بمواردها النفطية، لم تتقيد بنظرية الإمام الخاطئة ولم تعتمدها. فالذهب الأسود قد وفر لهذه الحكومات إمكانيات تنفيذ المشاريع الإنشائية والعمرانية في شتى المجالات في بلادها، ورفع مستوى معيشة المواطنين وتوفير الحياة الكريمة والهنيئة لهم وعلى الأخص في ميادين العلم والصحة والمواصلات والزراعة والتجارة وغيرها. كما أن ثروتها البترولية قد مكنتها من المساهمة المادية والتقنية في مساعدة البلدان العربية والأفريقية الفقيرة والمتخلفة ومن مساندة دول المواجهة العربية ضد العدوان الإسرائيلي. كما وأن الآلاف من اليمانيين الشماليين والجنوبيين الذين أبعدوا عن بلادهم ومورد رزقهم في أوطانهم قد قيض الله لهم عطف ومساعدة إخوانهم حكام دول البترول وأمن لهم العيش الكريم.

البحث عن النفط قبل انقلاب سنة ١٩٦٢

منحت حكومة اليمن عدة امتيازات بترولية منذ ١٩٥٠ لشركات أميركية وألمانية.

منح الامتياز الأول إلى «الشركة الأميركية الاستثمارية ما وراء البحار» لم تكن هذه الشركة جادة في عملها.

المحاولة الثانية قامت بها الشركة الألمانية «ديلمن». توقفت هذه الشركة عن التنقيب دون أن تكتشف أي بئر للبترول فألغت حكومة اليمن امتيازها.

في فبراير سنة ١٩٦١ حصلت شركة أميركية تدعى «ميكوم أويل كومباني» على امتياز للتنقيب في شاطىء تهامة على أساس اقتسام الأرباح مناصفة. ابتدأ التنقيب في منطقة الصليف، وبعد أن حفرت عدة آبار في الصليف والزيدية والبيضاء لم تعثر على البترول.

أما الآن فقد أصبحت الجمهورية اليمنية ولله الحمد من الدول المنتجة والمصدرة للنفط.

سد مأرب في العلم الوطني

علم الجمهورية العربية اليمنية يحكي قصة اليمن، فهو يتكون من ثلاثة ألوان، اللون الأسود ويرمز إلى عهد الظلام والحكم الرجعي، والأبيض ويرمز إلى مبادىء الثورة ونقائها، يتوسطه نجم أخضر يرمز إلى اليمن الخضراء ورخائها، ثم اللون الأحمر يرمز إلى الثورة.

أما شعار اليمن فهو النسر الذي يرمز إلى قوة الشعب وإنطلاقه إلى أفق التحرر، باسطاً جناحيه على العلم الوطني، كما نقش به رسم يمثل سد مأرب ثم شجرة البن باعتبارهما من أبرز معالم اليمن.

اعادة بناء سد مأرب

بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٨٦ أعلن عن افتتاح سد مأرب التاريخي في احتفال كبير ترأسه الفريق علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية العربية اليمنية والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الذي تكرم وتبرع بكافة نفقات إعادة هذا السد التاريخي المجيد والتي بلغت ٩٠ مليون دولار أميريكيا وبحضور السيد تورجوت أوزال رئيس الوزراء التركي والسيد الخويلدي الحميدي عضو مجلس قيادة الثورة الليبي ورهط من الأعيان اليمنيين.

وقد أدلى الرئيس اليمني الفريق علي عبد الله صالح بتصريح عقب افتتاح السد عبر فيه عن سعادته بإعادة افتتاح سد مأرب التاريخي مكرراً الشكر للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على تمويله هذا المشروع الكبير.

وقال أنه عند إنهيار سد مأرب القديم هاجر العرب من أرض سبأ إلى بقاع العالم المختلفة والآن بإعادة بناء السد نأمل أن تعود وحدة الصف العربي حتى تصبح للأمة العربية مكانتها الكبيرة كما كانت عليه في الماضي.

كما أدلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بتصريح صحفي أكد فيه أن كل ما تم إنجازه تم بعون من الله عز وجل مشيراً إلى أن أي إنجاز تحققه اليمن أو أي قطر عربي آخر يشكل قوة جديدة للأمة العربية كلها ودعا الشيخ زايد إلى تضافر الجهود للأخذ بيد الشعب اليمني والعمل سوياً للحفاظ على كل مكتسبات الأمة العربية.

وقد أصدر الرئيس اليمني الفريق علي عبد الله صالح قراراً جمهورياً بمنع

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وشاح مأرب وقام بتقليده الوشاح خلال الإحتفال تقديراً من اليمن قيادة وحكومة وشعباً لمساهمته في إعادة بناء السد.

كما قدم وزير الزراعة اليمني الدكتور عبد الله حسين العمري درع سد مأرب للرئيس اليمني العقيد علي عبد الله صالح والشيخ زايد بن سلطان والرائد الخويلدي الحميدي ورئيس الوزراء التركي.

وخلال حفل الإفتتاح ألقيت العديد من الكلمات التي أكدت أن إعادة بناء سد مأرب تعكس توجه الجمهورية العربية اليمنية نحو الزراعة وسعيها لتحقيق الأمن الغذائي كما أكدت الكلمات على عمق علاقات الأخوة التي تربط بين اليمن ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وفي كلمته أكد الدكتور العمري أن افتتاح سد مأرب الجديد يدفع بعملية التنمية الزراعية الشاملة في اليمن إلى الأمام وقال أن الوطن العربي أحوج من أي وقت مضى للتعاون الأخوي المستمر لتحقيق تنمية عربية متكاملة مشيراً إلى أن إعادة بناء سد مأرب يأتي مثالاً حياً وصادقاً لما ينبغي أن يتحقق من مشاريع في أرجاء الوطن العربي.

واستعرض الدكتور العمري مكونات السد ومراحل تنفيذه فقال إن المرحلة التي يتم الإحتفال بافتتاحها اليوم هي المرحلة الأولى المتمثلة في إعادة بناء جسم السد الذي يبلغ أقصى عمق لقاطعه الخرساني ستين متراً ومساحته أربعة وعشرين ألف متر مربع ويبلغ طول جسم السد ٧٦٣ متراً وعرضه من الأسفل عند مستوى سطح الوادي ٣٣٧ متراً والعرض عند مخرج المياه ١٩٥ متراً والعرض عند قمة السد ستة أمتار أما مساحة حوض السد فتبلغ ٣٠ كيلومتراً ونصف الكيلو المربع وسعته التخزينية ٤٠٠ مليون متر مكعب.

وأوضح العمري أن ارتفاع المياه في بحيرة السد بلغ أكثر من ٢٠ متراً وبلغت كمية المياه المخزونة حتى الآن وخلال موسم أمطار واحد، مائة مليون متر مكعب من المياه. وقال أنه تم إكمال جزء من القناة الرئيسية لتصريف المياه والتي تبلغ طاقتها التصريفية ٣٥ متراً مكعباً في الثانية وسيكتمل العمل فيها في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٧ م. مشيراً إلى أن سد مأرب الجديد سوف يروي مساحة

٦٥٧٠ هكتاراً كمساحة مروية وعشرة آلاف ومائة وثمانين هكتاراً كمساحة محصولية كما أن بحيرة السد ستغذي المياه الجوفية وستكون مصدراً جديداً للثروة السمكية ومركزاً للسياحة في الداخل والخارج.

وسيروي السد الذي يعد من أكبر مشروعات التنمية في اليمن أكثر من ٢٥ ألف فدان. وقال مسؤولون أنه تم تعمير المنطقة المجاورة حيث انتقل الفلاحون لشراء أراضٍ.

وقال السيد ناصر النويس رئيس صندوق أبوظبي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الذي يلعب دوراً كبيراً في إدارة المشروع أنه منذ ٩ أعوام مضت كانت المنطقة خالية. والآن بدأ اليمنيون في العودة إليها. إنها تزدهر مرة أخرى.

وقد تولى الشيخ زايد دفع تكاليف إعادة بناء السد البالغة نحو ٩٠ مليون دولار ويبعد مسافة ١٧٥ كيلومتراً شرق عاصمة اليمن، وقد أقيم السد مكان سد قديم بني في القرن السابع قبل الميلاد لتخزين مياه الأمطار المتدفقة من الجبال المحيطة.

وحضر الإحتفال أيضاً رئيس وزراء تركيا لأن شركة تركية قامت ببناء الخزان الذي يحجز ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه.

وقد اقترح الشيخ زايد إعادة بناء السد منذ ٩ أعوام بعد أن زارَ الموقع الذي لا يزال يضم لوحات عليها كتابات عربية قديمة واطلال السدّ القديمْ.

وقال الشيخ زايد لوكالة الأنباء الرسمية أن السد الجديد سوف يعيد عظمة اليمن ويصبح رمزاً للآخاء ونقلت عنه صحف الإمارات تحديده ثلاثة أسباب لقراره تمويل المشروع هي:

الحاجة إليه للحياة والتنمية اليمنية، خروج اليمن من حروب مدمرة طويلة ترتب عليها تشتت الشعب اليمني، ورغبة اليمنيين الشديدة في إعادة بناء سد مأرب.

ولتجنب الفيضانات التي دمرت السد القديم منذ ١,٥٠٠ عام مضت فإن الخزان الجديد به قنوات لنقل المياه الزائدة.



المراجع العربية

الواسعي، عبد الواسع بن يحيى ـ **فرحة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن**، القاهرة ١٣٤٦ هـ.

الجرافي، عبد الله عبد الكريم، **المقتطف من تاريخ اليمن**، بيروت ١٩٨٤.

نعمان، محمد أحمد ـ **الأطراف المعنية في اليمن**، بيروت ١٩٦٥.

السقاف، أحمد ـ **أنا عائد من اليمن**، بيروت ١٩٦٢، ١٩٦٦.

منصور، أنيس ـ **اليمن ذلك المجهول**.

المؤيد، علي بن إسماعيل ـ **ملوك حِمْيَر وأقيال اليمن**، القاهرة ١٣٧٨ هـ.

هويك، ايفا (طبيبة ألمانية) ـ **سنوات في اليمن وحضرموت**، بيروت ١٩٦٢.

ابونتي، سلفاتور ـ **هذه هي اليمن السعيدة**، بيروت ١٩٦٢.

حمزة، عبد القادر ـ **ليلتان في اليمن**، القاهرة ١٩٤٨.

العبدلي، الأمير أحمد بن فضل بن علي ـ **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن**، القاهرة ١٣٥١ هـ.

لقمان، حمزة علي إبراهيم ـ **تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية**، القاهرة ١٩٦٠.

الريحاني، أمين ـ **ملوك العرب**.

الشعبي، قحطان محمد ـ **الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن**، القاهرة ١٩٦٢.

المشاهدي، كامل ـ **حقائب عن الجنوب العربي**، نضال عدن، ١٩٦٣.

رابطة الجنوب العربي ـ **الجنوب العربي في هيئة الأمم المتحدة**، القاهرة ١٩٦٣.

العطار، محمد سعيد ـ **التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية**، الجزائر ١٩٦٥.

الشامي، أحمد بن محمد ـ **رياح التغيير في اليمن**، جدة ١٩٨٤

هولفريتز، هانس ـ **اليمن من الباب الخلفي**، بيروت ١٩٨٦.

الشكعة، مصطفى ـ **مغامرات مصري في مجاهل اليمن**، بيروت ١٩٤٨.

بن هاشم، محمد ـ **تاريخ الدولة الكثيرية**، القاهرة ١٩٤٨.

محمصاني، عبد الحفيظ ـ اتحاد عدن مع إمارات الجنوب العربي، بيروت ١٩٦٢.
الحسني، السيد عبد الله ـ مؤتمر حرض: وثائق ومحاضرات.
البرادي، راشد ـ اليمن والانقلاب الأخير.
الزبيري، محمد محمود ـ الخدعة الكبرى في السياسة العربية.
مطر، فؤاد (ملف جريدة النهار) ـ اليمن، جمهورية و ٥١ إماماً.



الفهرست



المراجع الأجنبية

Aitchison, C.U. - **A collection of treaties, engagements and sanads,** London 1930.

Aden, Government - **Arab tribes in the vicinity of Aden, 1920.**

Ingrams, W. H. - **Areport on social, economic and political condition of the Hadhramout,** 1936.

Playfair, Capt. R. L. - **A History of Arabia Felix or yemen,** Taiz 1961.

Sharafuddin, A. H. - **Yemen (Arabia Felix)** Taiz 1961.

Stark, Freya - **The Southern gates of Arabia,** London 1936.

Vander, Meuled. - **Aden to the Hadhramout,** London 1947.

Sanger, Richard. H. - **The Arabian Peninsula,** New York 1945.

Ingrams, W. H. - **Arabia and the Isles,** London 1952.

Belhaven, Master of - **The Kingkom of Melchior.**

Scott, Hugh **In the High Yemen,** London 1947.

Belhaven, Malter of - **The uneven road,** London 1955.

Thesiger, Wilfred - **Arabian sands,** London 1960.

Bethmann, Erich W. - **Yemen on the Threshold,** U. S. A. 1960.

Fayein, Claude - **Une Fran¸caise - M´edecin au yemen,** 1958.

Vander, Meulen D. - **Faces in Shim.**

Hichmbothum, sir tom - **Aden,** London 1958.

Trevaskis, Kennedy - **Shades of Amber, A South Arabian Episode.**

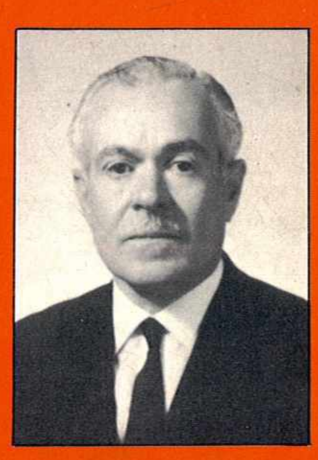
Mawer, Iune Knox - **The Sultans came to tea,** London 1961.

Reilly, sir Bernard - **Aden and the Yemen.**

Ingrams, W. H. - **The Yemen Imams, Rulers and Revolutions.**

Halliday, Fred - **Arabia without sultans.**

نجيب أبو عز الدين



نجيب سعيد أبو عز الدين

الكاتب في سطور

- ☐ بكالوريوس في العلوم السياسية والقانون الدولي.
- ☐ مستشار في وزارتي الخارجية والمواصلات في الحكومة اليمنية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧).
- ☐ رئيس الإدارة العربية في الإمارات اليمنية الجنوبية (١٩٣٧ ـ ١٩٤٧).
- ☐ مشارك في الوفد اليمني إلى مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن حول القضية الفلسطينية (١٩٤٧).
- ☐ مستشار الوفد اليمني للتوسط في النزاع العربي حول حرب فلسطين (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩).
- ☐ مستشار للمفوضية اليمنية في واشنطن وللوفد اليمني لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢).
- ☐ مساعد لرئيس دائرة الشرق الأوسط وأفريقيا بسكرتيرية مجلس الأمن الدولي (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤).
- ☐ مندوب السكرتير العام للأمم المتحدة في بعثة الصومال (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦).
- ☐ مشارك في عدة مؤتمرات حول اليمن والإمارات الجنوبية المحتلة ومؤتمر الدفاع الثلاثي في جدة (١٩٥٦) بحضور الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود بن عبد العزيز والإمام احمد حميد الدين.

دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع
بناية اميل الاشقر ـ طلعة جنبلاط ـ كليمنصو
تلفون: ٢٦٨٥٢٥ ـ ٢٦٨٥٢٨ ـ برقياً: دالباحث
ص. ب. ٥٦٦٠/١١٣ ـ بيروت ـ لبنان